

العامة والعرض

«المرجعية» و«السياسة»

هوية الإصدار: العمامة والعرش «المرجعية» و«السياسة».
المؤلف: سماحة الأخ آية الله العظمى أحمد الحسنى البغدادي دام ظله.
الطبعة الشرعية الاولى.
جميع الحقوق محفوظة.
الكمية : ٥٠٠ نسخة.
عدد الصفحات: ٢٧٩.

١٠ ذو الحجة ١٤٤٧هـ - ٢٧ أيار ٢٠٢٦م
الناشر: مكتبة الإمام المجاهد السيد البغدادي العامة - دار احياء تراث الإمام
البغدادي.

House of Revival of Heritage of Imam Al-Baghdadi

العراق - النجف.

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع ، أو
نقله على أي نحو ، أو أية طريقة سواء أكانت الكترونية، أم بالتسجيل، أم خلاف
ذلك.. إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدمات.



دار احياء
تراث الامام البغدادي



مكتبة الإمام المجاهد
السيد البغدادي العامة

أحمد الحسني البغدادي

العمامة والعريش

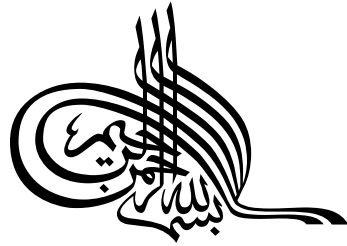
«المرجعية» و«السياسة»



دار الحياة
تراث الإمام البغدادي



مكتبة الإمام المجاهد
السيد البغدادي العمامة



وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذِرُهَا بِزَالِ النَّاسِ

سورة آل عمران، ١٤٠

محتويات الكتاب

٧	 الاهداء
٩	 المقدمة.. المفاجأة والمفارقة

مدخل

الى منظومة المؤسسة «الدينية»
الشيعية الرسمية في العراق

١٧	 ازمة مزمنة المال.. الإختراق
٢٠	 تحالف الفقيه مع السلطان
٢٢	 المال «الحوزوي» بين المشبوه واللا مشبوه
٢٥	 إشكالات حول إختيار رسالة البغدادي
٣٠	 في نقد «تقريراته الخاطئة»

الفصل الاول

مرجعية السيد الحكيم
ملايسات تاريخية ومتبنيات إنتقائية
إصطفافات مناطقية - عروبية
ملكية - شاهنشاهية

٣٥	 مدخل تمهيدي
٣٦	 حكاية الترشيح: مناشئ وتجليات
٤٠	 الكلمة المفصلية الأخيرة

الفصل الثاني

مرجعية السيد الخوئي
أهداف مشتركة بين اليمين واليسار
فوارق أم مهازل

٤٥	 إنتقائية صدام حسين لـ«المرجعية الإيرانية»
----	---

٤٦	«الخواني».. واسرار الترشيح
٤٩	موقف صدام من البغدادي والحميني
٥٥	الكلمة الاخيرة
٥٧	غربة محمد باقر الصدر ورهان «العسى التوريطية» الحكيم - الابن ..
٥٨	التصدي بالعنوان الطولي
٦٠	مرجعية الخواني خضوعية للسلطة
٦٤	ضرورة التصدي للمرجعية
٦٧	ثقافة الحذف

الفصل الثالث

مرجعية السيد البغدادي

ضحية السلطتين العراقية - الايرانية

ضحية الحوزتين العربية - الفارسية

٧٣	نقطة بداية
٧٣	«ندوة» مؤثرة.. «ندوة» متأثرة
٩٠	أطروحة فقهية.. تأسيسية إستباقية
٩٣	صراع «حوزوي» مفصلي
١١٢	إسلامية المعارك.. إجتماع تاريخي
١١٥	ثقافة الاعتذار
١١٧	جدل السيد البغدادي نظرية الحكم.. نشوء الدولة الملكية
١٢٤	عدوان ثلاثي غادر.. وموقف ملكي متواطئ
١٢٨	تحريم الشيوعية بين الاستغلال القومي.. و«المرجعية الدينية»
١٢٩	ثقافة الاستفزاز
١٣١	حضور البغدادي في مواجهة الشاه
١٣٧	خطاب الوحدة.. خطاب الطائفية
١٣٩	عالم بلا فلسطين.. نهاية التاريخ
١٤١	مخصصات ايرانية.. مخصصات عراقية
١٤٩	السفير الاميركي.. و«المرجعية الدينية»
١٥٢	تشيع شعبي غاضب.. تعتيم سلطوي صادم
١٦٣	وثائق وصور واضمات
٢٦٥	نبذة عن سيرة المؤلف الذاتية

الإهداء

إلى الشهيد خالد الذكر الإمام الحسني البغدادي وأحفاده الشهداء
صادق وحسنين وفيصل الذين اختطفت أجهزة مخابرات النظام العراقي
السابق أرواحهم الزكية.

احمد

المقدمة

المفاجأة والمفارقة

هذا هذا الكتاب الذي بين يديك ليس كتاباً تاريخياً محضاً.. أو كتاباً اجتماعياً متخصصاً.. ولا كتاباً فكرياً خالصاً.. إنَّه كتاب يحاول قدر دائرة الإمكان إعطاء تصورات ومناشئ معرفية وفقهية وتاريخية وتحليلات سلوكية كما يطرح أسئلة تهم القارئ وتلك هي غايته وهدفه، والأمر يتعلق بعلاقة الفقيه والسلطان في مؤسسة الحوزة «الدينية» الشيعية في العراق بمفهومها العام في نقطة جغرافية محصورة وفي زمن محصور بما يستدعي كل تلك المسارات وكحقول طافت بها نماذج لقيادة المرجعية «الدينية» وكمجالات تحركت عليها انطلاقاً من الأداء المرجعي الميداني كتحصيل حاصل منذ تأسيس دولة المملكة العراقية عام ١٩٢١م وحتى كتابة هذه السطور ، وسيلاحظ القارئ أنَّ هذا الكتاب يعتمد على ذاكرة المؤلف وتجاربه الشخصية ومعايشته الميدانية، خصوصاً في المراحل التي لا تتوفر فيها المدونات، دون أن يقلل ذلك من المصادر التي يعتمد عليها، وهي مهمة لتكوين تصور شامل عن الموضوع الذي يعالجه الباحث .

وأقدر أن هذا الكتاب سوف لا يرضى عنه الكثير من المتمذهبين والطائفيين والمستحمرين، وأكاد أجزم أن أول من سيواجه هذا الكتاب بعض المتنفذين باسم الدين والذين تمكنوا على مدى عقود من الزمن من تضليل العامة من الناس في الوسط الشيعي باسم المرجعية، في ظل الخطاب التمجيدي - التاريخي - التعميمي - الاطلاقي، أو تحت مظلة الخطاب الدفاعي - التوافقي - الوسطي - الإرضائي للجميع الذي ملأ هذا الموقع بطريقة «العصمة الثانوية» أو أنَّه يفترض «عصمة» مصنوعة لبشر يخطئون، علماً أنَّه لا عصمة إلاَّ لله تعالى بوصفه الحقيقي الواقعي العيني المطلق، والنبي والائمة الهداة من بعده في القضايا التشريعية فقط وفقط.

إنَّ عوامل عدم القبول المتوقع تعود الى الذين يحاولون استئناف سرد تاريخ هذه المؤسسة «الدينية» الرسمية انطلاقاً مما هو سائد بحيث يتم تعميمه لغرض بقاء هذه المؤسسة مهيمنة دون مراجعة أو سؤال أو نقد أو ملاحظة للنواقص والعيوب أو حتى للنقاش او الجدل. من لحظة الخلاص من المنظومة التي انتجتها.

إذن، ينبغي على القارئ ألا يتحسس من مفردات قد يتصورها أنها حادة أو قاسية في إصدار الأحكام على الفاعلين الحقيقيين من خلال الوثائق والمستمسكات والأسئلة والمناقشات بدلاً عن الوثائق المزورة وتفسير الأسئلة والاجابات المناقشة الهشة المريحة الباطلة، نعم إن في تفسير هذه الوثائق والحوارات والحقائق الصامدة بكل الاصوات واللغات، والهدف هو تنوير القارئ ووضعه على طريق البحث عن الاسئلة التاريخية الشائكة فضلاً عن واقع المؤسسة الرسمية.. ولا غرو إن تحدثنا عن اختراق، تجسس، خيانة، مؤامرة، انهزام، استسلام، تخلف، جهل، خرافة، استحمار، آلهة، أصنام، فقر، قحط، حرمان، استغلال، استئثار، تضليل، وهي كلمات عن مواقف ورؤى المؤسسة الدينية الرسمية وبعض رموزها المعروفين والمؤثرين.

وقد يشعر القارئ انها كلمات فيها مبالغة أو لا تحمل التقييم الموضوعي، بل فيها تجاوز على المؤلف، وأريد هنا أن أصحح أن ذلك جزء عن الحقيقة، ولا يخفى على القارئ ولكل المعنيين والدارسين في اللاهوت والفكر الديني وأن البحث في تفاصيل المؤسسة الدينية وكشف بواطن الامور وخفاياها وخباياها تثير ردود أفعال من جانبها لدرجة محاولة تشويه أصحاب الرأي وتفسيرهم ، ولما وصل الأمر الى هذا الحد فمن الواجب الشرعي والاخلاقي والوطني أن نقول:

إن هذه السردية التي ساقدها تختلف عن السرديات السائدة وسيؤكد القارئ الذي يطالع الكتاب من ألفه الى يائه، أنها تقدم رؤى مختلفة في جوهرها واسلوبها عما هو قائم وتقليدي، والهدف هو اعادة قراءة تاريخ المرجعية لتقديم مرجعية جديدة مختلفة عن المرجعية الحكيمة والحوثية وما بعدها، وذلك تبعاً لاختلاف الظروف مبناها ديني المرجعيتين «الدينيتين» واسلوبها المتبع في عملية الاستقطاب .

نقف (هنا)، ونؤكد أن النظام الاسلامي أراد اقامته أمة بمستوى المسؤولية الإسلامية الانبعاثية التاريخية يكون لها شأن بين الامم عبر بناء مجتمع إسلامي متحضر ومنسجم مع التطورات الحاصلة في العالم انطلاقاً من مبدأ «تغيير الاحكام بتغير الزمان» وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ويمكن ان تلعب المرجعية دوراً مهماً في ذلك اذا كانت بمستوى المسؤولية، لأنها تمثل أحد ادوات القوة الناعمة المؤثرة في تحديد خيارات الأمة لا سيما اذا توفرت للمرجعية الإرادة والحكمة وبعد النظر والنظافة الاخلاقية والنزاهة الروحية فالقادة لا يمكنهم أن يكونوا في منتهى البصيرة والتقوى والنسك والورع والزهد والتكشف إلا إذا عملوا على أنفسهم ونزهوها من النزوات والمصالح وانكروا ذاتهم في سبيل الله.

وتعيش المرجعيات الدينية في حالة تراجع وتدهور، بل اسفاف أحياناً وتحاول التأثير على الناس بأساليب شتى، ليس بعيداً عنها محاولات التلفيق واعطاء نفسها مكانة «مقدسة» خارج دائرة النقد والمساءلة، حتى لو اقتضى الأمر تقديم تغييرات مخالفة لجوهر الخطاب القرآني من خلال بدع العناوين الثانوية والحيل الشرعية والناسخ

والمُنسوخ.... الخ وهذا ما يفرض بحثها وفقاً لتعاليم القرآن ونصوصه وروحه عبر تعاطيه مع المؤسسة «الدينية» الرسمية التي سبقت الشريعة الخاتمة .

من هنا، لابد من المرور على بعض التفاصيل التي قد تكون جديدة ومثيرة وربما غريبة لدى البعض لتوضيح المنهج الذي نحرّره في كتابنا، هذا بوصفه يحاكي الرسالي الانبعاثي العلمي بمسميات واضحة ناقداً إياه ومؤسساً لمعرفة تنطلق من داخل أطروحة منظومته الاصلاحية أو الانقلابية، وهذا يعني أننا حينما نطرح هذه المصطلحات عن «المؤسسة الدينية»... الخ أو «الاجتهاد التقليدي»... الخ نعطيهها المشروعية الإسلامية، سواء تحفظنا عليها ووضعناها بين هلالين أم لا على أساس ارتكازها في المجتمع الجمعي الفاعل و«هيمنتها» التاريخية لا على أساس منحها المشروعية أو الاعتراف بمشروعيتها الذي هو محور المقارنة في سياق هذا الكتاب، وبناءً على ما تقدم يمكن القول: إنّ الاجابة عن مثل هذه التساؤلات الاستثنائية لن تغدو ممكنة اطلاقاً ما دمنا بمواجهة تاريخ حوزوي - فكري - فقهي - اصولي عقدي - طلاسمي - ترفي! وهو التاريخ الذي أنتج مؤسستنا «الدينية» العراقية، وأول ما يثير هذا الانتباه للقاصي والداني بهذا الصدد أنّ رواة هذا التاريخ تتعدد أبطاله وتكثر سردياته وتتصارع على امتلاك «الحقيقة» فيه قوى مختلفة، ولكنها من ذات القماش .

كلّ يصرح هذا ما حدث، وكلّ يزعم أنّه أضطهد من قبل الآخر عن طريق القتل الرمزي .

وكلّ يدعي أنّ مفهومه عن «الهوية» هو الأقرب الى تشخيص الوصول الى «الحقيقة» الضائعة .

وقبل هذا أو ذاك .

كلّ يحاول أن يقول أنّه الأكثر حرصاً على تشخيص روح منظومة المؤسسة «الدينية» الرسمية دون سواه !..

ولهذا يجد الباحث والمحقق باللمسة الوجدانية والمعايشة الميدانية والمسؤولية الاخلاقية ومن خلال «النصوص والوثائق والصيغات»، وان كان بحذر وحيطه ما ذهب اليه الشهيد الدكتور علي شريعتي في حديثه عن ظاهرة المرجعية باعتبار من يمثلها هم بشر ليست لديهم القدرة على التمييز والحسم والاختبار وتحليل الأمور، وهؤلاء يخطئون ويصيبون، أما مقلّدون فهؤلاء بالأمس مقلّدو آية الله، واليوم مقلّدو الفنان أو المتّجم وتحدد أنماطهم النفسية والاجتماعية مجلة «ماجو» وتحدد «رسالة عملية» مسيرة حياتهم الدنيوية .

إنَّ كتابنا يعتمد في بعض الأحيان على ذاكرتنا الذاتية، وعلى إشارات كاشفة أطمئن لها خصوصاً في المراحل التي لا تتوفر فيها مدونات أستاذ عليها لمواجهة التزيير والتخريف والتصحيف.. وهو أمر يقوم على الحدس، إضافة الى الوقائع، ولذلك يمكنني القول: في الأخير، إنَّ «حوزة» النجف نهضت على مشتركات بنوية وثقافية و«مذهبية» وانشدت وتوثقت بعلاقة جدلية تاريخية لم تنفصل في مرحلة من المراحل عن حركه تاريخ الحوزات «العلمية» مروراً بمراحل تطورها وصعودها كجدل «فقهـي - أصولي - عقدي».. غير أنَّها عبر قرون متطاولة، ظلت لغزاً محيراً للعقول الحداثوية المتنوعة والنزعة اليسارية الإسلامية لدرجة يدخلها أحياناً مجهول الهوية لا أصل له ولا فرع ولا كفيل له من مؤسسات ثقافية او معرفية او خيرية او عشائرية ليصبح هذا النكرة المجهول المعدم بين ليلة وضحاها قامةً من قامات «المذهب» الإمامي الشيعي باسم المرجعية «الدينية» العليا، وهذا في العراق فقط وفقط، وهي ظاهرة غريبة وشاذة برزت واستقرت فيه، وهي ظاهرة «المرجع الديني الاعلى» من خارج حدود الوطن الذي لا ينطق بلغة شعبه...؛ على حد توصيفات الأخ عادل رؤوف في أنبيائه وأصنامهم وفق الخطاب القرآني، ولا يمكن للحجة البالغة أن تتم من قبل المبدأ الفياض تعالى على الانسان نوع الانسان الا بعد أن يبعث لهم رسولاً يتكلم بلسانهم لينذر قومه أولاً ولينذر هؤلاء القوم للجماعات والأمم الأخرى فلا يرسل رسولاً أو نبياً الى باكستان يتحدث اللغة العربية، وهكذا الى الأقوام الاخرى! من هنا، النص القرآني العظيم يؤكد على ذلك بقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة ابراهيم، ٤، وكما ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، ١٥١، و﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ سورة المؤمنون، ٣٢.

ولماذا وألف لماذا نستغرب حين نلمس بيداهاً اختبار هذا الواقع الميداني النبوي الشعبي بعد أن طرحنا في مدخل هذا الكتاب من منظومته «الدينية الشيعية»، وفصوله الثلاثة أن يغدو هذا العراق حصرياً مكبلاً لكل «الآلهة» و«الأصنام» و«الاديان» التوراتية والانجيلية والمجوسية...؛ إنه سؤال مشروع ولا بد من التفكير في عواقبه وعدم السكوت عنه أو اغفاله كمنتج يهودي بامتياز؟!

لماذا ذلك بعد أن مررنا بأطوار وضعه الاستهدافي التاريخي؟ لماذا الكثرة الصنمية القاتلة لحاملي مشروع النبوة فيه؟.. والجواب على هذه الأسئلة كلها نابع من أسباب، يتوسطها سبب مركزي، يتمثل بكونه بلد الأنبياء (ع) بامتياز عبر التاريخ الكوني، ولا يستطيع احد أن يجادل في هذه الحقيقة، فهو بلد آدم ونوح وابراهيم (ع)، وبلد كل الأنبياء الآخرين ب «انتماءهم الوطني» أو «أصولهم الوطنية» إذ ان كل الأنبياء الذين مارسوا دعواتهم خارج «موطنهم العراقي الأصل» كانوا أولاداً

للذرية الإبراهيمية ومن صلب ذريته ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة آل عمران، ٣٤. فني الله موسى (ع) الذي عاش جده صاخباً على الساحة المصرية، وانتهى به المطاف إلى فلسطين، لم يبق فيها، بل عاد إلى «موطنه» العراقي، وعيسى (ع)، ومُحَمَّد (ص) كان جدهما الدعوي على أطراف المركز العراقي لـ «المسجد الاقصي ومكة»، فالعراق كما اشرنا في أكثر من مرة رابط القبلتين، ومركزهما.. فضلاً عن أنه يمثل مركز الكون الجغرافي.... وبهذا المعنى تكون كل من ايران ومصر وتركيا مجالات حيوية لدور الأنبياء (ع).

وجملة القول، فصول هذا الكتاب ووثائقه حين تقرأ بالتفصيل ستجد جولة معرفية وفكرية واجتماعية وسياسية..؛ تحمل مفارقات الحوزة «الدينية»، بين المنظور والمستور القائم على الخطاب الثوري الرقمي الوثائقي البعيد عن الخطاب المفاهيمي التعميمي المجرد عبْر محطات سلوكية استثنائية خطيرة أو من الممكن (هنا) الاطلاع على سؤال مثير للجدل طرحه الصديق الشقيق السيد علي الحسني البغدادي وأجاب عنه في كتابه القيم: «المطارحات الاسلامية» في صفحة (٩٨) طبعة ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، حيث كتب يقول: لماذا جاز لبعض الفقهاء والمؤرخين قديماً وحديثاً نقد المرجعية الدينية ورموزها؟! ألم يجب كتمان المساوي والعيوب حرصاً على كرامة الحوزة «العلمية» بل أن إذاعة تلك العيوب والمساوي قد يقود الى انحراف الأمة، لاسيما السذج البسطاء عن معرفة الدين؟!...، ولكن مثل هذا القول له وجه آخر يتعلق بتتوير العامة واطلاعهم على الحقائق لمعرفة حقيقة جوهر الدين، لمعرفة جوهر الذين يتاجرون باسم المرجعية أو يمارسون سطوتهم على العامة باسم الدين والمذهب*.

الجواب: باسمه تعالى ..

ونجيب عن ذلك بأمور :

الأول: إن كتمان المساوي والعيوب يستدعي اضاءة الحق والحقيقة.

الثاني: إنَّ أعلام الرجال والتاريخ من الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً قد ذكروا هذه المساوي والعيوب في كتبهم الرجالية والتاريخية، لاسيما في عصرنا الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام المختلفة.

* انظر بتوسع الكتب التالية:

الكافي، ط: الإسلامية، ٤٩/١، ٣٨٠/٨ و/الآمالي، الطوسي، ص: ١٣٤ و/التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري: ٩٩، ٣٠١، ٣٠٢ و/مكارم الاخلاق، ص: ١٥١، و/تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص: ٤٧، ٤٨، ٣٣٨.

الثالث: إنَّه كيف يسوغ الكتمان والستر عن هذه الممارسات المنافية للشريعة الإسلامية المقدسة مع وجوب مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يجب تنفيذه على جميع أصناف المجتمع لا فرق بين العالم والجاهل والرئيس والمرؤوس والغني والفقير والعربي والأعجمي.

الرابع: إنَّ كتمان السر عن ارتكاب المنكرات معناه الإمضاء على المنكر وانتشاره واستمراره، فيصبح سنَّة سيئة لا يمكن إزالتها، واللاحق يتبع السابق، فإذا انكشف الأمر للجاهل القاصر فسوف ينقلب على عقبيه وينحرف عن الدين.

الخامس: أليس قد وقع الاختلاف والتخاصم بين علماء الإمامية كما وقع بين الإخبارية والأصولية، وجماعة المشروطة والمستبعدة، والحوزة الناطقة والحوزة الساكنة الى غير ذلك؟

السادس: إنَّ الاختلاف والتخاصم بين علماء الإمامية لم يكن خاصاً بهم بل هو ثابت بين المذاهب الإسلامية كما وقع بين المذاهب الفقهية والكلامية من أهل السنَّة، ولتعرف حقيقة الحال راجع تاريخ الإسلام ، كما وقع الاختلاف بين الوهابية في العصر الراهن بل إنَّ الاختلاف والتخاصم وقع بين سائر الأمم كاليهود والنصارى، لاسيما بين المذاهب المسيحية المختلفة وغير ذلك من النحل والملل الكافرة.

السابع: إنَّ هذه التصريحات للدفاع عن المرجعية الدينية ورموزها نظير تصريحات أهل السنة، لاسيما الوهابية القائلين بعدالة الصحابة مطلقاً...

من هنا، لا بد أن تعرف أن هناك نصوصاً رواياتية منسوبة للنبي محمد سلام الله عليه بأنَّ الصحابة كلهم بلا استثناء عدول في سبيل ديمومة خلافة بني أمية لقيادة الدولة الإسلامية العالمية، وقد سار على هذا النهج الشيعة الإمامية من خلال نصوصٍ حديثةٍ منسوبة الى مدرسة آل محمد التي لا أصل لها بالمرَّة القائلة: إنَّ الراد على مرجعية الفقيه الجامع لشرائط الفتوى لا يسوغ باعتباره نائب الإمام المعصوم في حال غيبته بل له الولاية المطلقة والراد عليه راد على المبدأ الفياض تعالى بل هو حد الشرك بالله...! إذن، فما أضيق المدى بين الحق وبين الباطل، وما أرقه من فاصل فإنَّه شعرة دقت كما يدق الصراط بين الجنة والنار، وإنَّ هي إلا خطوة هادئة الى يمين أو الى يسار تكتب المصير المحتوم.

احمد الحسني البغدادي
النجف الاشرف

٢٩ رمضان المبارك ١٤٤٦هـ

مدخل
الى منظومة المؤسسة (الدينية)
الشيحية الرسمية في العراق

ازمة مزمنة الهال.. الإختراق
تحالف الفقيه مع السلطان
الهال «الحوزوي» بين المشبوه واللا مشبوه
إشكالات حول إختيار رسالة البغدادي .
في نقد «تقريراته الخاطئة»

أزمة مزمنة الهال.. الإختراق

إنَّ الطريق الفريد للإحاطة هو دراسة وقائع المؤسسة «الدينية» الرسمية من خلال منهج الخطاب القرآني أو منهج الخطاب العقلاني لنص القرآني الكلي، والأخبار لكشف معرفه الوقائع والحقائق وفق القرآن العظيم كمرجعية نصية كلية لنكتشف بالتحديد لما حصل لهذا العراق تحت مظلة المؤسسة «الدينية» ومن ثمَّ يرتبط تاريخها ومأساة رموزها بدورهم الرسالي الانبعاثي الثوري المعدوم! و«الحديث ليس اطلاقاً». ومهما يكن من هذا الطرح كله فإنَّ هذه المؤسسة «الدينية» لم تكن على قاعدة ايمانية قرآنية بالطريقة التي ولدت ونشأت وانتهت اليها.. فالدين أيَّ دين حينما يتحول الى مؤسسة «دينية» سيكون مآله الى تعطيل المشروع النهضوي الإسلامي، ولذا نقول بمنتهى الصراحة إنَّ المؤسسة «الدينية» إذا كانت من حيث المبدأ لا شرعية لها فإنَّ ذلك لا يعني أنَّ ثُلَّةً من مراجع دين ومفكرين إسلاميين عمالقة لم يتحملوا الاسلام القائد هما ومشروعاً، كما أمر الله تعالى بوصفه أعقل العقلاء الى تطبيقه على الساحة العالمية بغض النظر عن انتصاراتهم أو انكساراتهم في مهامهم الملقة على عاتقهم، وهي مهام جسدها على طريقة مراحل أخذت شعاراتهم لصيانة الإسلام المحمدي الأصيل بحده الأدنى، والجهاد المسلح الحقيقي في لحظات الهجوم الخارجي على التراب الوطني الإسلامي.

من هنا، بادر ثُلَّةً من رموز المؤسسة «الدينية» ادواراً مصيرية تحت مظلة هذه الشعارات الميدانية (هي مبادرات استثنائية) وليست قاعدة لكل رموز المؤسسة «الدينية»، ولا يمكن بحال لأي جهة سياسية أو معرفية أو فكرية أن تهمش تاريخ هذه القامات وثمار تحركاتهم في الدفاع عن بيضة الإسلام، وإذا حاولنا قدر دائرة المستطاع على بعض هذه الرؤى فإن الأمر يحتاج الى كتاب وعليه يمكن الحديث بإختزال شديد، نقول:

ولا داعي هنا للوقوف عند محطات «جهادية معرفية - ثورية» بارزة في إطار هذا الاستثناء لدور «رجل الدين»، من بطن «الحوزة» ككيان لا شرعي، وهو «رجل دين» يغير إلى حد ما «رجال الدين» للأديان، التي سبقت الإسلام بسبب خاتمية الأخير. وهذا له مبحثه اللاحق ضمن هذا الكتاب ..

ومهما يكن من أمر فإن هذا التاريخ - الاستثناء - لـ«رجل الدين» المعطاء - استثنائياً أيضاً - توج بثورة الإمام الخميني، الذي قلنا مقولتنا فيه على شكل سؤال «كم خميني جاء في التاريخ الإسلامي»؟.. كما توج على الساحة العراقية بالشهيد مُجَدِّ باقر الصدر، الذي هو أيضاً «رجل دين» ومن رموز «الحوزة».. لكنه حمل المشروع النبوي الإسلامي «الإمامي» بأمانة لا بعدها أمانة، وحال الشهيد الصدر الأول تنطبق على حال الشهيد الصدر الثاني، الذي لا يزال جدله قائماً في الساحة حتى الآن. إن أمثال هؤلاء الرموز «رجال الدين» و«الحوزويون» و«المراجع» وجدوا أنفسهم مع مرور الزمن في كيان «حوزوي» لا شرعي، ولا وجود له في الإسلام، بل هو في ثقله المركزي مثل أداة من أدوات حصار علي (ع) قبل غيره بعد حين، وحصار الإسلام.. إلا أن افتراض إعلانهم لعدم شرعية هذا الكيان يعد نوعاً من «الهراء» و«السذاجة».. ولذا فإن قدرهم أن يعملوا جاهدين على تحويل ما هو سلمي، ولا شرعي بإثره كله، إلى وجود إيجابي فاعل لدين الله الحقيقي، ومن بعد إرساء لبنات النظام المعرفي الإسلامي القرآني الحقيقي، الذي طمر تحت ركام نظام معرفي ديني بشري موروث (١).

ومن هنا، نرى أنَّ إشكالية المال بالنسبة للمؤسسة «الدينية» فقط وفقط، عبّر ما عرف تاريخياً، ولا يزال مع مرور الزمن، وعبّر طرق إختراقية مختلفة وخصوصاً عبّر الدولار الاصفر «الماسوني أو الاستعماري أو السلطاني»، ولا يمكن لأحد أن يلغي هذه المشتركات خصوصاً من خلال تدخل «خيري أوده» الانجليزية قبل أكثر من قرنين (٢)، ولا يمكن إدعاء الزعم الباطل بأنّه «مشروع خيري كلي» تحت ذريعة العنوان الفقهي - الشرعي، ولم تطاله يد المخترق موجودة عبّر ما إنكشف تاريخياً من تمويل مرجعية الشيخ مُجَدِّ حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ) صاحب موسوعة الجواهر ومروراً بالشيخ مُجَدِّ كاظم الآخوند الهروي الخراساني، والسيد مُجَدِّ كاظم الطباطبائي اليزدي وصولاً للسيد اسماعيل الصدر الموسوي (جد الشهيدان الصدرين الأول والثاني)، وأخيرهم الشيخ مُجَدِّ حسين كاشف الغطاء قطعت مخصصاته لسبب مفصلي عندما هدده مسؤول موزع «خيري أوده» بسبب مساندته للوثبات

(١) عادل رؤوف، انبياء واصنام «حوزة الأرض والوطن» «حوزة» الوافدين الى الوطن»، ط: الرسمية الأولى، ٢٠٠٩م، المركز العراقي للإعلام والدراسات، ص: ٥٤٣ وما بعدها.

(٢) انظر بتوسع: وثيقة رقم (٢٨) موقوفات أودة وموقوفات بهلوي ووثيقة رقم (٦٩) مع موزع خيري أوده في النجف الاشرف ووثيقة رقم (٧٠) خيري أوده الهندية وأبعادها الدينية والسياسية ووثيقة رقم (٧١) أول معالم الإمامية الزهد في الأموال ورفض المشبه منها الإمام المجاهد السيد مُجَدِّ الحسيني البغدادي إنموذجاً، في كتابنا: أحمد الحسيني البغدادي، مُجَدِّ الحسيني البغدادي المسيرة الجهادية والفكرية قراءة حوارية ووثائقية خلال سبعة عقود من الزمن ١٢٩٨ - ١٣٩٢هـ - ١٨٨١ - ١٩٧٣م، ط: ١، ٢٠١٧م، دار تراث الإمام البغدادي - النجف - العراق، ص: ٢٧٠ وما بعدها

والانتفاضات، وعلى إثر ذلك قطعت عنه! وبالتالي وزعت سرّاً بعد انقلاب الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م لا علناً الى يومنا هذا!..

إنّ ظاهرة كاشف الغطاء مثلت العمل الوطني كنفقةٍ نوعيةٍ مفصلية في مسار التصدي والصمود ضد التهديدات البريطانية وشكلت فيه إعطافةٍ إصلاحية صارمة فجرت في داخله كل التوقعات وحالات المواجهة السلبية ونقاط الغموض (٣) ولم يكن هذا التنوير والتفجير بمسار واحد فقط بل أنّه كان تثويراً وتنجيراً شاملاً إبتغاء السلطة واشكالية العلاقة بينها وبين المرجعية العربية الإسلامية وابتكار نخط مستحدث لإدارة أزمة هذه العلاقة في روافدها التقليدية، ولا نريد أن نتوسع في دوره الاصلاحى العنيد، إذ أنّ هذا مجاله الخاص في مبحث آخر.

هذا، ولا يمكن لأحدٍ في هذا الكون أن يلغي هذا المخطط الاختراقي من قبل قوى إقليمية ودولية في المسألة المالية التي تؤدي الى الإطاحة بالتشيع الإمامي كله! وقد وجدت في العراق وإيران على حد سواء.

إنّ المسألة المالية لدعم ما سمي بـ«المرجع الديني الأعلى» لم تكن وليدة عنوان «شركة خيري أوده» وحسب، انما وليدة نظام «ثقافي - عقدي - فكري» موروث متجذر على طول التاريخ (٤) راجعاً الى الشيخين (المفيد والطوسي) ومن جاء من

(٣) انظر بتوسع كتاب: محاورة الإمام المصلح كاشف الغطاء الشيخ محمد الحسين مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد، بمناسبة زيارتهما لسماحته في مدرسته في النجف، ط: المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م.

(٤) يمكن العودة الى تاريخ الترجمات «الشيعة» للاطلاع على علاقة «الفقيه» بالسلطان، ويمكن الوقوف على العلامة الحلي كنموذج تعايشي مع السلطان المغولي في كتاب (روضات الجنات في احوال العلماء والسادات)، تأليف العلامة محمد باقر الموسوي الخونساري الاصبهاني، الدار الاسلامية، بيروت. لبنان، ط ١، ١٩٩١م حيث جاء فيه: «ومن سوانح سنة سبع وسبع مئة اظهر لحدا بنده شعار التشيع باضلال ابن المطهر، وانت خبير بأن مثل هذا الكلام المنطوق صدر من أي قلب محروق والحمد لله. ثم ان العلامة . اعلى الله مقامه . اخذ من بعد ذلك بمعونة هذا السلطان المستبصر الرؤوف في تشييد اساس الحق، وترويج المذهب على حسب ما يشتهي، ويريد، وكتب باسم السلطان الموصوف كتابه المسمى بـ (منهاج الكرامة) في الامامة وكتاب (اليقين) المتقدم، ومسائل شتى وغيرهما، وبلغ ايضاً من المنزلة والقرب لديه بما لا مزيد عليه، وفاق في ذلك على سائر علماء حضرة السلطان المذكور مثل القاضي ناصر الدين البيضاوي، والقاضي عضد الدين الايجي، ومحمد بن محمود الآملي صاحب كتاب (نفائس الفنون) و(شرح المختصر) وغيره، والشيخ نظام الدين عبد الملك المراغي من افاضل الشافعية، والمولى بدر الدين الشوشتری، والمولى عز الدين الايجي، والسيد برهان الدين العبري، وغيرهم. وكان . رحمه الله . في القرب والمنزلة عند السلطان المذكور بحيث كان لا يرضى بعد ذلك ان يفارقه في حضر ولا سفر بل نقل انه امر لجنابه المقدس، وطلاب مجلسه الاقدس بترتيب مدرسة سيارة ذات حجرات ومدارس من الخيام الكرياسية وكانت تحمل مع الموكب الميمون اينما يصير، وتضرب بأمره الانفذ الاعلى في كل منزل ومصير. ونقل انه وجد في أواخر بعض الكتب وقوع الفراغ منه في المدرسة السيارة السلطانية في كرمانشاهان، ومثل ذلك غير بعيد عن السلطان المعظم اليه المذكور مع ما هو المشهور انه . رحمه

بعدهما وإلى الفاضلين الحليين (المحقق والعلامة) ومن جاء من بعدهما (كذلك) إلى العصر الصفوي ومن جاء من بعده من قامات متألفة إلى العصر القاجاري، وبالتالي إلى العصر الشاهنشاهي البهلوي...؛ «ونسوق هذا النص هنا كنموذج لحالة الفقيه «الشيوعي تاريخياً»، والواقع الذي انتهى إليه في التفرغ في غالب الأحيان إلى الدرس والتدريس، والابتعاد عن الدور الثوري أو الدور السياسي المعارض علناً للسلطان الحاكم.

إذن استدعيت التقيّة (٥)، في ظل معادلة لا تسمح دائماً بممارسة الدور الثوري والسياسي في تاريخ التشيع قبل قيام الدولة الصفوية.. وها هو. كما يؤكد النص المذكور. «مؤسس الطائفة»، كما يلقب بالشيخ الطوسي يحظى باحترام حاكم عباسي وبويهي في الوقت ذاته، ويقبل على الأقل بالعلاقة مع السلطان «علاقة التعاون»، وهكذا كان الحال مع الشيخ المفيد والشريف الرضي والسيد المرتضى «وفقهاء شيعة» آخرين!..

تحالف

الفقيه مع السلطان

إلا أن ما حصل بعد قيام الدولة الصفوية هو انخراط هذا «الفقيه» في علاقة تحالفية علنية مع الحاكم الصفوي، وجسدت هذه العلاقة من خلال العلامة المجلسي والكركي وآخرين.. الأمر الذي يشكل خروجاً صارخاً في دور «الفقيه - الشيوعي» التاريخي، فهو هنا انتقل انتقالة حادة وصارخة لا من دوره الثوري أو السياسي إلى دوره التحالفي مع الحاكم الصفوي، وإنما من دوره «التعايشي» تحت حكم «الأمر الواقع» ومبدأ «التقية» إلى الدور الثاني في العهد الصفوي، وإلا حتى في العهد البويهي كانت علاقة هذا «الفقيه» مع «السلطان الشيوعي» أو السلطان المتعاطف «شيعياً» علاقة تعاون إلى حد ما، ولذا فإن الشهيد الدكتور علي شريعتي لم يتوقف بشكل مستوف على هذا «التوقف» الثوري. آنذاك الذي لم يصل إلى تشويه بنية «التشيع» المعرفية والفكرية كما يعتقد.. بل إنه يقع في إطار أخف بكثير وهو الإطار التعايشي النابع من الأمر الواقع، الذي يجعل من «الشيعية» أقلية بالنسبة للمسلمين غير قادرة على الدوام في تجسيد الموقف السياسي والثوري، أو أنها ترى أن المصلحة

الله. كان يعتني بالعلماء والصلحاء كثيراً، ويحبهم حباً شديداً، وأنه قد حصل للعلم والفضل في زمان دولته العالية رونق تام ورواج كثير، ومن العجيب أن وفاته. رحمه الله. اتفقت في سنة وفاة السلطان المذكور كما في (الرياض) وغيره» نقلاً عن كتاب: «أنبياء وأصنام»، ص: ٣١٤، مصدر سابق.

(٥) انظر بتوسع كتابنا: «خطر التقيّة المعاصرة»، ط: ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، مؤسسة الباقر - بيروت و/منشورات مكتبة الإمام المجاهد السيد البغدادي العامة.

الإسلامية العامة تتطلب مثل ذلك، وإلا فإن الإشكال يبقى قائماً باتجاه آخر، وهو لماذا يتعاون «الفقيه الشيعي» تاريخياً مع حاكم ظالم «شيعي» في حين هو لا يتعامل مع حاكم ظالم «سني»، والظلم «السلطاني» بطبيعته يبقى أكبر من الانتماء «السني والشيعي»؟

إن مثل هذا السؤال طرحه المرحوم محمد مهدي شمس الدين، ولم يقدم إجابة له، وفي حين أنه أكد «بأن هذا الموضوع بحاجة إلى بحث تاريخي مستفيض».

نعود لنقول إن ذلك كله لا يعني أن علي شريعتي لم يضع يده على أخطر منعطف في تاريخ «التشيع» بل هو أثار وناقش بجرأة منقطعة النظير أخطار هذا المنعطف الهائل وتداعياته فيما بعد، إلا أن المفارقة أن هذه الإثارة أخذت منحاًها «الشيعي» العام دون أن تقارب العراق، أو تداعيات ذلك كله على هذا العراق حمالة «التشيع» الأولى والأساسية في التاريخ، التي لم يحصل هذا المنعطف من داخلها، إلا أنها كانت الأكثر تأثراً به. أي بهذا الانعطاف «الشيعي» الانحرافي. لا في دور العراق كمركز لهذا «التشيع» فقط، ولا عبر تحول أرض هذا المركز إلى أرض مستباحة بين العثمانيين والصفويين، وإنما أيضاً. وفي مفارقة هائلة. تربط التاريخ الأول لـ «التشيع» بالحاضر من خلال اعتياش الفكر الصفوي في العراق حاضراً أكثر من اعتياشه في إيران، التي تحولت إلى مركز ثوري إسلامي في عهد الإمام الخميني، وحتى قبل هذا العهد حيث كان الجدل الفكري الإيجابي فيها حاضراً، بينما هي الآن تعيش جدلاً أيضاً إيجابياً في تحديات الواقع.. رغم محاولة عودة الفكر الصفوي وأفكار أخرى إلى ساحتها إلا أنها ليست بالعمق، الذي كرس في العراق.

وبعبارة أخرى فإن العراق حمالة «التشيع» الأولى في التاريخ، احتضنه - أي «التشيع» - كخط سياسي وثوري وحتى تعاشي فيما بعد بشكل يجسد الإسلام الصحيح أو القريب منه، فيما أن العراق يعيش الآن أكثر من غيره تحت هيمنة الفكر الصفوي الخليط بأفكار أخرى في الخط «القيادي - المرجعي» المهيمن فيه على الخط الثوري أو أريد لهذا الفكر الخليط بالأصح أن يعيش هكذا في مفارقة مذهلة، عكستها الفوارق بين «الحوزتين» القيمة والنجفية (٦).

إنَّ تاريخ المؤسسة «الدينية» من خلال مذهبيتها الطائفية الأنوية والعصبوية وعودها على نظم قسرية «عقدية - معرفية - اقتصادية»، وهذا الأمر يرجع إلى عقود زمنية متطاولة خصوصاً المرجعية «الدينية» في العراق!.

إن هؤلاء الزاهدين الذين كان الفقراء من الشيعة يقصدونهم في كل آن إما للحصول منهم على فتاوى مكتوبة أو أجوبة شفوية مباشرة حتى عن أدق الأسئلة

(٦) فاضل الربيعي، ما بعد الاستشراق الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونيات البيضاء، ط: شباط، ٢٠٠٧م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص: ١٠٣ وما بعدها.

الخاصة والشخصية، وعن السلوك الأفضل للأفراد المؤمنين وشؤون حياتهم الخاصة لئلا يخطئوا، نتيجة الجهل بأمور الدين والشرعية، أو يقوموا بأعمال منكرة فيكونون بذلك كمن ارتكب معصية تغضب الله وتجلب السخط بدل السعادة، لم يكونوا حتماً على هذه الصورة الرومانسية للمتعبد الزاهد، كما رسمتها أقلام بعض المستشرقين من الضباط البريطانيين، الذين كانوا يتوافدون على السلطنة العثمانية قاصدين زيارة النجف وكربلاء والكاظمية في بغداد للقاء بهم والتحدث اليهم، فبعضهم كان غارقاً في الفساد المالي بصورة مشينة مثلما رأت ذلك تقارير الضباط الانكليز المكلفين بمتابعة توزيع الأموال. بينما لم يتورع آخرون من رجال الدين عن تحويل كل الأمور، بما فيهما الدين نفسه، إلى مسألة مكسب مادي، كما ارتأى آية الله البغدادي، أكثر النقاد الراديكاليين، على الإطلاق، لسلوك رجال الحوزة اليوم، والذي يمثل بحق، أهم ظاهرة ثورية في الحالة الشيعية العراقية وتاماً، كما لاحظ تويدي نفسه قبل أكثر من مئة عام من شكوى رؤوف، فالمال يوزع من دون أي رقابة حقيقية.

الهال «الحوزوي» بين المشبوه واللا مشبوه

والآن «الفساد» في المؤسسة الدينية وثيق الصلة بنوع من «الدكتاتورية» خفية، يزعم ان ممارسيها وقادتها هم من المجتهدين النافذين داخل المؤسسة نفسها، كما يذهب إلى ذلك النص المقتطف من رسالة البغدادي، وبنوع من التدخل الخارجي، أي الأصابع «الخارجية» كما يذهب إلى ذلك نص المفكر الإسلامي رؤوف، فقد تلازمت في هذه الحالة ثلاثة عناصر على نحو عضوي، وأصبحت بدلاً من مشكلة فساد مالي وحسب، مصدر مشكلة قديمة ومتوارثة ومستمرة باستمرار المؤسسة، أضلاعها الاستبداد الديني الداخلي، والتدخل الخارجي، والمال (٧).

وإزاء هذا النص المطول حول المسألة المالية التي رأى فيها أكثر «مراجع» النجف بأنها خطوة إخراجية لهم، فهو عندما يفعل ذلك كله، فانه كان مدركاً لخطورة المسألة المالية، و«نظام الحوزة المالي» بتبعاته النشأوية الذاتية، التي ستجعل من أي «طالب» إذا ما تحول إلى «مشروع زعامة» فإنه سيكون مشروعاً فاشلاً، ثم بخيلاً يدفع به «طلابه» إلى طرق منحرفة للحصول على المال، ويجعل من «الحوزة» فاقدة للحصانة الأمنية، وساحة معدة للاختراق المالي، الذي سيؤدي إلى الإطاحة بالدين كله، وما فعله الإمام الخميني أثناء إقامته في النجف، «وحوزتها».... لا يرتبط به فقط، حتى وأن امتاز به على غيره من «مراجع» إيران، الذين سبقوه، فقد قلنا للتو بان الإمام الخميني لم يكن تاجراً، ولم يكن صاحب ثروة مالية «مشبوهة».... وعليه فإذا كان

(٧) مصدر سابق، ص: ٧٠ وما بعدها.

هنالك من حديث عن مصادر هذا المال فهو حديث يرتبط بـ «الحقوق الشرعية» لإيران كلها، ودور التاجر و«البازار» - المركز التجاري - في طهران فيها، وقطعا إن هذا المركز التجاري، الذي كان على علاقة تاريخية مع «حوزة قم» وصانع عبر أمواله من صناع السياسة الإيرانية وحراكها.

... لا يمكن الادعاء بأنه مركز «خيري كلي».. ولم تطاله يد المخترق الاستعماري.. فمثل هذا الكلام لا يصح ضمن هذا الفارق، ويد المخترق موجودة وتمول اتجاهات الأطراف كلها «الشيخية، الحجتية، البابية، البهائية»، وغيرها.

... إلا أن الصحيح أيضاً أن هذا البازار - المركز التجاري الضخم - لم يكن عبارة عن «قلعة للاستعمار»... لا بل إن جزءاً مركزياً منه كان ممولاً نظيفاً مدفوعاً بدوافع وطنية ودينية لـ «حوزة قم»... هذه «الحوزة»، التي عاشت ما يشبه «صراع الأموال» للتأثير باتجاه حركتها السياسية وإدارتها الداخلية، ودورها داخل الوطن من خلال مؤسساتها الثقافية والخيرية ورعاية أماكن العبادة، وتواجدها في شتى أرجاء الساحة الإيرانية، في القرية والمدينة معاً... في المدينة الصغيرة.. والمدينة الكبيرة وفي إيران كلها.. لاسيما وأن الشخصية الإيرانية بنشأتها التربوية هي شخصية «منظمة مالياً».. وعين التاجر - دافع «الحقوق الشرعية» - تبقى مفتوحة على مآل هذا المال الذي يدفعه... وأثره العملي في ساحته، التي يعيش فيها.. وهو لم ينظر لمسألة «الحقوق الشرعية» بعين واحدة وبعد واحد.. وهو بعد «إبراء الذمة»، دون أن يتأكد ويرى بعينه الأخرى أنه فعلاً «أبرء ذمته» من خلال الموارد والمجالات، التي ينفق فيها هذا المال.. إنه تاجر لم يعط المال لـ «المرجع» وعيونه معصوبة.. ثم إذا كان هنالك من يعطي بعيون معصوبة، فهنالك دائماً من يفتح عيونه على مصير أمواله، ويفتح أذنيه جيداً لأقوال فاضحة كمقولة «ذهباً برأس عالم واطلع منها سالم»^(٨)، كما تطرقنا لذلك في كتابنا «صناعة العقول» في مسألة «التقليد».

نقول نعم إذا كانت أموال الاستعمار موجودة في «حوزة قم» فإن أموال التجار هي الأخرى موجودة فيها بطريقة واعية ذات منشأ تربوي، حتى لو سماه بعضهم «منشأ البخل» التربوي، الذي يتجلى كصفة لمتجمع في نظر هذا البعض.. لكن إذا كان هذا البخل يتجسد عطاءً تجارياً واعياً، فهو «عطاءً منظم» وليس بخلا.

ونعم ثانية: إذا كان بعض التجار عملاء فإن بعضهم الآخر أمناء.. وتاريخ المركز التجاري الإيراني - «البازار» - شاهد على ذلك في تمثيل نموذجي «المرجعية الدينية» التقليدية والتجديدية.. إذ ليس كل «المرجعية» التقليدية «المتهمة» في إيران، تعمل لصالح الأجنبي فقط، بقدر ما تعمل مناصفة، أي لصالح «الوطن والأجنبي معاً».

(٨) مقولة باللهجة العامية مفادها: إلقاء تبعات العمل على عاتق الفقيه والخروج من ذلك سالماً (المؤلف).

هذا فضلاً عن أن «البازار» كان ممولاً لـ «المرجعية» الثورية ومثلها الأعلى - الإمام الخميني - الذي لم يتحرك بأموال التاجر العميل، بل أموال التاجر الأمين.. إزاء هذا الواقع المالي لـ «حوزة قم» ماذا بإمكاننا أن نقول إزاء «حوزة النجف» وتمويلها؟.. فإذا ما أردنا أن نتجاوز شق الاختراق المالي الاستعماري، ونظرنا إلى شق التمويل التجاري، فلا يوجد في العراق «بازار عراقي»... ولا يوجد في الساحة العراقية طوال حياتها كتلة تجارية ذات علاقة بـ «الحوزة النجفية».. نعم يوجد هنالك تجار فرادى متدينين، وتجار فرادى مرتبطين، فأما المتدينون... فهم على قلتهم لم ينطلقوا أساساً من أية رؤية سياسية، أو إحساس سياسي لما يدور في بلدتهم.. إنهم والسياسة على قطيعة، وبالتالي هم والوطن على قطيعة بعبارة أخرى، ونعني بالوطن، ثقافة الوطن ومصيره. وبالتالي فإن علاقتهم بـ «حوزة النجف» هي علاقة أحادية البعد، علاقة ما أسميناه العين الواحدة، وعلاقة «إبراء الذمة» وعلاقة «ذبحاً برأس عالم واطلع منها سالم»، أما العين الثانية، فهي عين عمياء، لم تفتحها «أصوات» مثل أصوات الشهيد مطهري والشهيد علي شريعتي وآخرين كثير... من يفتح العين الثانية هؤلاء لكي يلاحقوا مصير «حقوقهم الشرعية» التي يدفعونها لمراجع «حوزة النجف»؟... من يصرخ بأذانهم ويضرب رؤوسهم ويفتح عيونهم، ويقول لهم بأن عليكم أن تراقبوا مصير هذه «الحقوق الشرعية»، هل ذهبت إلى المؤسسات الثقافية والعبادية. أم تحولت إلى أرصدة في البنوك الدولية؟ هل ذهبت إلى «طلبة الحوزة» والفقراء والشهداء والأمهات أم إلى شراء القصور الفخمة والسيارات؟ هل هنالك في العراق الشهيد مرتضى مطهري والشهيد علي شريعتي وعشرات أمثالهم من يصرخ في هذا العراق بوجه التجار «الفردى» الذين لا علاقة لهم بالوطن والسياسة أصلاً بأن تابعوا مصير «حقوقكم الشرعية» وإلا لا «براءة ذمة» (٩)!.

إذن شتان ما بين «الحوزتين» «حوزة قم» و«حوزة النجف»، فإذا كانت الأولى هي «حوزة التجار الشجعان»، فإن الثانية هي «حوزة التجار العميان».. وإذا كانت الأولى هي «حوزة الأوطان» فإن الثانية هي «حوزة صك الغفران»... وإذا كان بعض الأولى «حوزة العمالة المالية الاستثمارية المشروطة بنشاط الميدان» فإن الثانية في ثقلها «المرجعي حوزة العمالة الاستثمارية الإطلاقية لكل البلدان والأوطان» إلا العراق، الذي تقيم فيه.

نقول نظراً لخطورة المسألة المالية «الحوزوية» بشكل عام وتداخلها مع البنى المعرفية الإسلامية البشرية الموروثة، لا بد لنا أن نقف على نموذج من نماذج التعاطي النقدي معها، ولا سيما من الكتاب «العلمانيين»، إذ أن الباحث «العلماني» عندما يكتب عن «الأمر الديني» بما فيها «الحوزة العلمية» يقع في أكثر الأحيان في أزمة

(٩) انظر بتوسع: فقرة «نحو مرجعية موضوعية صالحة»، في كتابنا: «حق الإمام في فكر السيد البغدادي»، تقديم: محمد حسين فضل الله، ط: ٢، ١٩٩٩م، مؤسسة الباق، بيروت - لبنان، منشورات الإمام المجاهد السيد البغدادي العامة، ص: ٣٣ وما بعدها.

تشخيص، حتى وهو يكتب كتابة نقدية «تجديدية»، فواحدة من أزمت القراءة لديه تتمثل بقراءته للدين، انطلاقاً من فهم الغرب وتدخله فيه وفي بلدانه، وإذا كان هذا يعبر عن شيء في بعض الأحيان، فإنما هو يعبر عن «تبعية المنهج» المخبوء، التي تبقى ماسكة بعقله وقلمه، حتى في لحظة إعلان «تمرده» على أفكاره ذات المنشأ الغربي، ففي الآونة الأخيرة، بدأ بعض «العلمانيين» يكتبون عن «المسألة الدينية» في العراق بحكم «نفوذ الحالة الإسلامية فيه»، وكمثال في ما يرتبط بالمسألة المالية، جاء في كتاب الباحث «فاضل الربيعي» ما أثرنه حولها في كتابنا «عراق بلا قيادة»، مختاراً نصاً من رسالة للسيد أحمد الحسني البغدادي وجهها إلينا، آخذاً من هذا النص مادة لاسقاط العمل الاستشراقي عليها، وموحياً للقارئ بأن «المُرسل والمرسل إليه» هم في حالة من «الحيرة المعرفية»!! و«الحزن المعرفي»!!، و«الجهل» بجذور أزمة المال في «الحوزة»!!! وبالتالي فهم لم يطلعوا على «المعرفة الاستشراقية»!!! ولو اطلعوا عليها لما «احتاروا أو حزنوا»!!! فوضع نفسه في موقع «حلال» المشاكل، والألغاز الكاشفة لما «احتار» به «الآخرون» من خلال تدخل شركة أودة الانكليزية!.

إشكالات

حول إختيار رسالة البغدادي

ولا أعرف ما الدافع الذي دفع الباحث إلى اختيار نص رسالة البغدادي . رغم وضوحها وعدم صلاحيتها كمادة يؤسس عليها موقعية الكاشف للغز . ولم يأت بنص السيد حسن الكشميري . الذي هو على علاقة بالمسألة المالية وعلاقتها بالنظام المعرفي الإسلامي البشري الموروث، بما فيه مبنى «التقليد» الفقهي، فالباحث أشار إلى هذه الرسالة . رسالة الكشميري . التي تكشف عن أزمة «الحوزة» في مصادر المال، لكنه لم يعتمد كمصدر، ولو اعتمدها كمصدر ل «اكتشف» أن عمر هذه الأزمة يرجع إلى ما قبل العمل الاستشراقي بمراحله كلها.. فضلاً عن أننا عالجت دور شركة «أودة» الانكليزية في كتبنا الأخرى، لاسيما كتاب «العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية» وكتابنا «مُجد باقر الصدر بين دكتاتوريتين»، فقد اقتطع الباحث نصاً من رسالة البغدادي الموجهة إلينا، والمنشورة في كتابنا «عراق بلا قيادة»، والنص المقتطع كالتالي:

يعد كتابك صرخة مدوية على دكتاتورية المؤسسة الدينية، التي تنتسب إلى الشريعة الإسلامية ظلماً وعدواناً وتدرس فقه الشريعة، وقلوبها عنه بعيد، ولا تأخذ عقيده رسالية حركية ولا تتقي الله ولا ترهبه، وإنما تدرسه لتتأول وتحتال باسم تضخيم العناوين الثانوية، والحيل الشرعية وتوجهه كيف تشاء في تلبية الرغبات والاطماع حيثما انكشفت لها، أن هناك مصلحة ذاتية تنجز، وأن هناك شيئاً من أشياء هذه الدنيا يكسب. ومن هنا - يا أخي - نريد أن تكشف لنا

الشيء الكثير عن هؤلاء الرموز الحوزوية المستترين والمختفين باسم الدين، الذين تحولت حياتهم المعيشية الضيقة إلى قصور شامخة وحياة مترفة في دول الخليج وأوروبا وأمريكا الاستكبارية، وتحاسبهم من أين لكم هذا من خلال كتاباتك الموثقة، آية الله العظمى الشيخ أحمد الحسني البغدادي (١٠) انظر الوثيقة رقم (١).

وقد علق الباحث على هذا النص قائلاً: في جوابه على رسالة المرجع الديني آية الله البغدادي، والذي ضمنه كتابه الجريء (عراق بلا قيادة)، كتب المفكر «الشيوعي» عادل رؤوف ما يلي:

أما دلالات هذا المشهد المرتبط بالمال الشيوعي وضوابط صرفه، فلا داعي للاستغراق فيها فهو مال لا يضبطه ضابط لا في احتكاره، ولا في مصادره، ولا في طريقة توزيعه، ولا في علاقة أولاد المرجع فيه، ثم يضيف بعد اسطر عدة وبشيء من السخط واليأس: وحتى لا أطيل، فإن هذا المال لا ضابط ولا قانون ولا أساس شرعي متين له. ولكن ما العمل ووعي الأمة توارث غمطاً معيناً في تسليم حقوقه الشرعية، واختلط هذا الموروث مع أصابع خارجية، لكي يتحول بالنهاية إلى وبال على الدين بدلاً منه أن يكون في خدمته. ولعل خير من يعبر عن مصيبة هذا المال، وأبعاد التدخل الخارجي في محوره، ومتانة الأساس الشرعي له، هو الرسالة المؤملة للخطيب الفاضل العلامة السيد حسن الكشميري (١١).

لاحظ النص الذي اقتطعه الكاتب في سياق بحثه المتقدم «ومتانة الأساس الشرعي له، هو الرسالة المؤملة للخطيب الفاضل العلامة السيد حسن الكشميري»، فيما هو يسوق قبله نصاً من رسالة البغدادي، التي قلنا في ما سبق، إن موضوعها، موضوعاً عاماً.. تأتي المسألة المالية فيه، كمسألة هامشية، فيما النص، الذي جاء به كان مرشداً ودليلاً للباحث - أي باحث - لو أراد أن يخوض في هذه المسألة فعليه مراجعة رسالة الكشميري.. ليس لأن المسألة المالية تمثل الثقل المركزي فيها فقط... بل لأنها تربط هذا الثقل بجذوره «المعرفية» الذاتية الموروثة المحملة على الدين أصلاً عبر مبنى «التقليد» والإسهاب فيه، وذلك مما دعانا أصلاً عندما اقتضت الحاجة إلى معالجة البعد المالي في «الحوزة» في كتابنا «صناعة العقول» أن نعود إلى رسالة الكشميري مرة ثانية، وسنعود إليها مضطرين مرة ثالثة بعد صفحات.

وبالإضافة إلى ذلك فإن نص الكشميري، الذي سنأتي به، يطل بوضوح وجرأة ومصاديق مُعاشة، وبخطاب رقمي، على علاقة «المال المرجعي» بـ «السفارات» الأجنبية... ويبقى السؤال إذا كان الباحث بصدد التأسيس المتماسك الأدوات..

(١٠) مصدر سابق، ص: ١٠٣.

(١١) المصدر نفسه، ص: ١٠٤.

وليس التأسيس الإنتقائي الأدوات، لماذا تجاهل رسالة الكشميري، وجاء بنصوص من رسالة البغدادى؟.. والجواب مع ذلك - كما نعتقد - هو مزيج من التبعية المنهجية للغرب المحبوة لدى «العلماني»، حتى عندما يطلق «انتماء الأيديولوجي» ويمارس الخطاب النقدي... وما يقتضيه «عنوان البحث» الذي يعمل عليه الباحث، فقد كتب الربيعي تحت «العنوان الاستشراقي»... ولاحظ أن نص البغدادى هو النص «المنسجم» مع العنوان، الأمر الذي أوقعه في تأسيس انتقائي الأدوات.

وبالإضافة إلى «التبعية المنهجية» والحاجة العنوانية يبرز الهروب من نص الكشميري عبر ثقافة الباحث «العلمانية» الذاتية، إذ إن هذه الثقافة تفقد الباحث ثقافة الإسلام التاريخي البشري الموروث بنظمه المعقدة، ومتطلبات استيعابه العسيرة، لاسيما مع خطابها الطلاسمي، الذي ليس من السهل على «المثقف الإسلامي» أن يحل «ألغازها» فضلا عن «المثقف العلماني»... ومثل هذا العجز المعرفي لتشوهات الإسلام المصاغة نظماً مطلسمة الخطاب تدفع الباحث إلى الهروب بالاتجاه الأسهل، والأسهل لا يؤسس معرفة تأسيساً علمياً، بقدر ما يستعير لبوس التأسيس العلمي، ومع هذا لو أن الباحث عاد لرسالة الكشميري لما سمح لنفسه أن يقول: هذا الحوار الحزين الذي يدور بين رجلين حائرين، أحدهما يتمتع بمنزلة دينية كبيرة فهو مجتهد معروف من كبار آيات الله في النجف، والآخر مفكر إسلامي شاب هجر العمل السياسي، وتفرغ كلية للفكر، يتخطى حدود الفساد المالي بكل تأكيد ويتجاوز مسألة التصرف فيه، أو توارثه. انه يثير، ومن حيث لا يدرك الرجلان، ربما مسألة عتيقة وثيقة الارتباط بالاستشراق الكلاسيكي، ودور المؤسسة الدينية «الشيعية» في تكريس نظرة الاستشراق إليها. هذه المؤسسة كما برهنت الوقائع التالية، لم تكن قط، بمنأى عن تدخل البريطانيين منذ القرن الثامن عشر، يوم كان البريطانيون يتسللون إلى العراق العثماني، ويتغلغلون في إيران القاجارية(١٢).

لو كان الباحث جاء بنص الكشميري، لما أمكنه أيضاً أن يقول في نصه هذا «ومن حيث لا يدرك الرجلان، ربما أنها مسألة عتيقة وثيقة الارتباط بالاستشراق الكلاسيكي»، إلا أن كل ما جاء به الباحث هو - كما أشرنا - أموال شركة «أوده» الانكليزية، التي قلنا إنها قصة مررنا عليها في كتبنا السابقة يعوزها «العنوان الاستشراقي» أو «المفردة الاستشراقية»، ومن الصدف أن ناقشناها في كتاب لنا سابق لصدور كتابه وهو «صناعة العقول» قبل أن يطلقها كتاب الأستاذ فاضل الربيعي.. وعلى أساس من هذا «اللبوس التأسيسي» سيكون من السهل على الباحث أن يؤسس لتراجيديا «الحيرة والبؤس والحزن والجهل وعدم الاطلاع على المعرفة الاستشراقية»، حيث يقول:

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

لم تكن النجف بمدارسها الدينية ومؤسستها الشيعية الكبرى الحوزة «العلمية» في أي وقت، بمنحى من هذا النوع من الشكاوى المريرة، التي تخص المال المتلاعب فيه، ولكن نادراً ما صادف المرء رجالاً اتصفوا بالنزاهة والشجاعة والجرأة، أو سعوا إلى الربط وحتى مجرد التساؤل، عن العلاقة بين «الأصابع الخارجية» من جهة و«الفساد المالي» من جهة أخرى، وهي رابطة وثيقة وحقيقية. وبالتالي العمل على دراسة العلاقة بين هذه الظاهرات بمجموعها، مع السياسات، التي اتبعتها قادة الحوزة ورجالها في مختلف الحقب والفترات. إن إثارة موضوع المال، من منظور الاستشراق الكلاسيكي (وما بعد الاستشراق استطراداً) وفي هذا الوقت بالذات، وهو منظور جديد بكل تأكيد، لم يجرب الباحثون الموضوعيون، بعد، الخوض فيه، دلالة واحدة مباشرة وغير قابلة للحجب والتعمية، هي أن الظاهرات الجديدة في سلوك الحوزة ومواقفها، ليست سوى استطراد في مشكلة قديمة تلازمت مع بزوغ الاستشراق، الذي كان يمسح، تقريباً، وقبل قرنين من هذه الرسائل الحزينة، كل ركن من العراق (١٣).

وكانت النجف بالطبع، أهم ركن بعد النفط اتجهت إليه أبصار المستشرقين البريطانيين. بينما انشغل الفرنسيون والروس عنها وتجاهلها العثمانيون، ثمة عنصر ضاغط آخر في وظائف الاستشراق الكلاسيكي ونظراته غير المتبصرة للنجف، مهد على امتداد وقت طويل، بشكل جلي، السبيل أمام أخلية المدينة المقدسة والدفع بها إلى واجهة دور ما كان لها أن تتمناه، لولا أنها كانت في وقت ما مرغمة على أن تبدي، ومن خلال حفنة من رجالها الأقوياء، بعضاً من الميول والاستعدادات للبقاء مؤقتاً خارج أسوار «الروحانيات» الشفافة، والتي تفصل عادة بينها وبين جماهيرها المتدينين، قبل أن ترغمها الظروف ثانية وتسارع الأحداث كذلك، على الدخول في حقل السياسة من بوابة المال. ما قصده آية الله البغدادي في النص الآنف المأخوذ من رسالة متأخرة عن الأحداث التي ندرسها بنحو ٢٠٠ عام تقريباً، وهي العمر الفعلي لنشوء وتطور الحوزة وظهورها كمؤسسة فاعلة وذات نفوذ هائل في المجتمع العراقي، وما قصده «تويدي» كذلك، بفطنة المستشرق الانكليزي ومن خلال سطور مفعمة باليأس والاستسلام، هو ان المال ولا شيء آخر، كان لب المشكلة الأكثر حساسية والذي غالباً ما يفضل التغاضي عنه بشكل مقصود، أو تحاشيه بكل الطرق عند محاولة تفسير بعض الأحداث والمواقف السياسية الغامضة (١٤).

ومضافاً إلى تراجيديا الحزن، التي تحمل في ظلها تمايزاً «اكتشافياً» مفتعلاً على حساب «الضحايا الحائرين».. تبرز لدينا عبر النصوص المارة ما يؤكد الهروب من النظام المعرفي البشري الإسلامي الموروث بينائه وطلاسمية خطابه، عندما تقرر تلك النصوص الرجوع إلى ٢٠٠ عام كتاريخ لـ«العمر الفعلي لنشوء وتطور الحوزة وظهورها

(١٣) مصدر سابق، ص ١٠٥.

(١٤) المصدر سابق.

كمؤسسة فاعلة في المجتمع العراقي»... وإزاء هذا «التقرير» يتلاشى «التسامح» إزاء «علمانية» الباحث بشكل قطعي.. فالباحث هنا يقتل «تسامح» الآخر، قبل أن يقتله هذا الآخر، وهو يناقش هكذا نصوص... إذ عندما يفرحه هذا «التقرير الأمي» حول تاريخ الحوزة الفاعل والمؤثر والخطير قبل الـ ٢٠٠ عام، ماذا بإمكان الآخر أن يناقش سوى أن يواجه «تقرير الباحث» بـ «تقرير أمية هذا الباحث» في الموضوع، الذي يبحث فيه؟ إذ هو لم يترك أي «وسيطية» للحوار والنقاش عندما تذهب عباراته إلى «قطعيات تقريرية» بالصورة، التي تقدمت، فلو كان الباحث قد اطلع على تاريخ هذه «الحوزة» الفاعل في العراق وعلى مناهجها ونظمها المعرفية، لاكتشف ببساطة أن المسألة المالية لـ «المرجع» لم تكن وليدة «العنوان الاستشراقي» ولا وليدة ما قبل لـ ٢٠٠ عام.. إنها وليدة لنظام «معرفي - فكري» موروث، غائر في بطن التاريخ راجعاً إلى الشيخ الطوسي ومن جاء من بعده وإلى المحقق الحلي ومن جاء من بعده وإلى العهد الصفوي، ومن جاء من بعده من رموز وصولاً إلى العهد القاجاري... إن تاريخ الحوزة يمتد مع تاريخ ما بعد الإسلام بعقود، ومع بروز «رجل الدين»، و«المؤسسة الدينية»، و«طائفيتها ومذهبيتها» وتفعيلها على نظم قسرية «فكرية - مالية»، وعلى علاقة «فقهيّة - سلطانية مالية» ويرجع إلى مئات الأعوام الأخرى المضافة إلى الـ ٢٠٠ عام، التي افترضها «تقرير» الباحث كعمر فعال لـ «الحوزة» في العراق. كما تكرر نصوصه الأخرى ذلك فهو يقول:

يمكن أن نحدد منتصف القرن الثامن ونهاية التاسع عشر، كبداية حقيقية لتاريخ المشكلة التي يثيرها البغدادي كما يثيرها رد عادل رؤوف، وذلك حين دخل المال، ولنقل حين تدفق على مؤسسة دينية متقشفة وزاهدة وحتى فقيرة، بوصفه العنصر الضاغط و«الخارجي» الأكثر أهمية، والذي كان يبلور ويدبر على أكمل وجه، الصراعات على المركز «البابوي الشيعي» ويتحكم في كل شأن مهما كان صغيراً بل وقد يقرر الموقف بشأن أكبر وأكثر الأمور خطورة كمسألة الحرب. لقد لعب المال المتدفق عبر بومباي إلى النجف وبإشراف بريطاني ومن وراء ظهر العثمانيين، دوراً في تسليح بعض أبناء الشيعة والدفع بهم ربما عبر التضليل والخداع، إلى إعلان انخيازهم للشاه القاجاري الذي كان ويا للعجب خصم المجتهدين اللدود وعدوهم، وذلك بقصد تصعيد المواجهة المكشوفة ضد السلطان العثماني. كان السلطان العثماني الذي لم يدرك بقدر حصيف من حسن تقدير الأوضاع، وبالضد من ذلك، يخطب ود المرجعيات الشيعية نظراً إلى معرفته بحقيقة المخاطر التي كانت تترصد للمنطقة بأسرها. كما فعل السلطان عبد الحميد في مبادراته التصالحية مع الشيعة وسماحه بالمطبوعات وتأسيس الجمعيات السياسية والثقافية.. ولكن ومن دون أن ينتبه أحد أو حتى يجرؤ بفضل الحساسية المفرطة، على رؤية موضوع المال المتدفق من بومباي أو

حتى التحدث عنه كموضوع دراسي يخص التاريخ، فانه . أي المال . ظل مصدراً أساسياً من مصادر «التدخل الخارجي» ونتاجاً له في الآن ذاته (١٥).

في نقد

«تقريراته الخاطئة»

لا يمكن بعد تلك النصوص إلا أن يكتشف القارئ وليس الباحث أزمة «العلماني» - أي «علماني»، عندما يخوض في «دهاليز» الدين البشري الموروث -، هذا إذا كانت منطلقات «التأسيس العلماني» بريئة.. وإزاء كل ذلك سندرج مضطرين - كما قلنا - جزء من نص الكشميري المنشور في كتابنا «عراق بلا قيادة» ليلاحظ القارئ سهولة الاختيار بين نص البغدادي والكشميري لتأسيس «علمي» حول المسألة «المالية المرجعية»، وليلاحظ أيضاً اختيار الباحث «الخطأ» هنا الذي وضعه في موقع «تقريراته الخاطئة» التي ضمنها تراجيديا «الحزن» ومن ثم «الجهل» بالاستشراق لـ «المرسل والمرسل إليه» كـ «شرط» لتأسيس «إبداعه ومنجزه العلمي الانتقائي» ونص الكشميري هو كالتالي:

ثق واعتقد بأني ومنذ بواكير صباي بدأت اكتشف هذه اللعب والحيل، وكيف يتم إغراء العامة بالجهل، وكنت أبصر الوجه الآخر للأمور تماماً باعتباري ابن النجف الأشرف ووليد هذه المؤسسة وترعرعت في جحورها وكهوفها ولاحظت كيف أثرى من أثرى على حساب هذه التشريعات، التي ما أنزل الله بها من سلطان لكنها اكتسبت قالب التبعيد والتقديس لتكون أخطر مؤامرة لامتناع أموال الناس واستعبادها وجني خلاصة أتعابها، وشاهدت وأنا في أواسط العقد الثاني من العمر كيف كان بعض زملائي في الدراسة يكابدون الجوع والفقر وقسوته ثم ساقهم الحظ إلى مصاهرة المرجع أو صهره أو ولده وإذا بالواحد منهم يقفز من فقير متقع، إلى شاب مغامر يغلق باب بيته وأكداس الملايين تحت تصرفه وشاهدت الآغا الفلاني... كيف كان حائراً في تدبير مبلغ (٦٠٠) فلس لسداد فاتورة كهرباء منزله ثم طبخت له الشبكة الفلانية المرجعية بالتنسيق مع السفارة.. ومع تلك الجهة الدولية وتلك الجماعة وصار مرجعاً لهذه الطائفة ثم مات عن مليارات من الدولارات ورثها للمراهقين من أبنائه وأسباطه وأحفاده ليصبحوا أباطرة المال وتقدم لهم إدارة البنوك في سويسرا ولندن وأميركا البيويلات الذهبية باعتبارهم أكبر أصحاب ودائع ثابتة في بنوكهم وهي ليست إلا من الحقوق الشرعية والأخماس.. هذا بالإضافة إلى أكثر من ٨٠ ثروة باطلة حظي

بها أحفاده ولصقاؤه ومرترقة حواشيه، وكل هذا الابتزاز والنصب يتم باسم القداسة وباسم العقيدة والدين وذر الرماد في العيون» (١٦).

ويضيف: منذ شبابي وأنا أسمع من فم السيد الحكيم إلى أذني مباشرة وهو يتحدث بصوت هادئ: «نحن لا علاقة لنا بالحقوق الشرعية وإنما نحن أفراد مؤمنين عليها، يا ابني فأني مورد يحرز فيه رضا الإمام المهدي تصرف هذه الأموال» وسمعت من السيد محمد الروحاني (رحمه الله) وهو يتحدث في مجلس خاص وليس للنشر قال: «نحن لا يوجد لدينا دليل واحد حاكم على علاقة المرجع بالحقوق الشرعية والأخماس فالتقليد شيء ودفع الحقوق شيء آخر». انتهى كلام هذين السيدين، هذا وإني أدعوك يا أخي عادل كما أهيب بغيرك من ذوي العقل الوقاد بمراجعة أمهات المصادر الفقهية لمتابعة واكتشاف هذه الحقيقة، التي غُيبت على الناس وُعُثم أمرها على هذه الطائفة المقهورة المغلوبة على أمرها، يمكنك على عجل مراجعة كتاب «حدائق الأنس» للمرحوم آية الله السيد إبراهيم الزنجاني صفحة ٩٦، وكذلك مراجعة الآراء الفقهية للمرجع الأصولي الراحل الميرزا باقر الزنجاني ومراجعة ما كتبه المجلسي في البحار حول صرف الخمس وكذلك جواب المرحوم البحراني في الحدائق في باب الخمس في جواب المرحوم المجلسي (قده) وكذا الجواهر وغيرها من أمهات الصناعة الفقهية (١٧). ويواصل القول: لكن العجب العجيب حين ترى وتلاحظ المؤامرة الفنية والمعقدة في فبركة الأمر وبلورة الحكم الشرعي على صعيد الرسائل العملية في التاريخ الشيعي. راجع أول رسالة عملية وهي رسالة جامع عباسي، ومروراً بأكثر من ٦٥ رسالة عملية إلى زمننا الحاضر تلاحظ بوضوح عملية استدراج الناس وعمق المؤامرة وخطورة الشباك، يكمن بدقة قراءة المتن في هذه الرسائل حول مسألة صرف الخمس والتدرج الهادئ في قنصه حتى ذهب بعض الفقهاء الكبار خصوصاً المتأخرين من مراجع النجف الأشرف إلى التشدد في تسليم الحقوق للمقلدين بل وحتى بالنسبة إلى سهم السادة «الأحوط وجوباً أخذ الإذن من المقلد» تعالى ديننا ومذهبنا عن هذه البدع والمداخلات علواً كبيراً ولولا هذه الخدع لما ابتزت المليارات من أموال هذه الطائفة لتبسط بها الموائد الفخمة والقلائد والملابس الثمينة ويعيش المدللون من ذوي المراجع وغلماهم وصبيانهم أسعد أنواع الحياة والرغد ينتقلون بين مساكنهم في إيران ولبنان وسوريا وأوروبا وأمريكا والعزاء كل العزاء لهذه الطائفة المغشوشة (١٨).

(١٦) عادل رؤوف عراق بلا قيادة، قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق الحديث، ط: ٢٠٠٣م، المركز العراقي والدراسات، سوريا، دمشق، ص: ٤٠٣ وما بعدها.

(١٧) المصدر نفسه، ص: ٤٠٤ وما بعدها.

(١٨) المصدر نفسه، ص: ٤٠٦.

إن رسالة الكشميري هذه كتبت في ظل نظام الجمهورية الإسلامية، الذي أنتجته «الحوزة الثورية» بزعامة الإمام الخميني، لكن لا أشك . وهذا أمر واضح لمن يقرأ نص كلامه بدقة . بأن الألم الذي تنبض فيه كلماته كان يلامس واقع «الحوزة» النجفية أكثر مما يلامس واقع «الحوزة» القمية، وما شهدته من جدل حاد بين خطيها التقليدي والتجديدي، لم تشهد مثله «الحوزة» النجفية التي هيمن عليها الخط التقليدي بالتمام والكمال. هذا أولاً، وثانياً، فإن رسالة الكشميري بنصوصها المارة، كانت كافية على «قصدي» الكاتب الذي أراد أن يؤسس «إبداعه» المعرفي على «حيرة المتحاورين» - البغدادي ورؤوف -، ولا أرى أن الكاتب كان مضطراً لممارسة هذه «القصدي»، إذ كان بإمكانه أن يؤسس للمسألة المالية دون هذه الانتقائية، ودون أن يقلل بشكل محبوء من جهود الآخرين، وكان على الكاتب أن يطلع على ملابسات الملف «المالي المرجعي» بالرجوع إلى كتاب: «آية الله نجفي قوجاني - سياحة في الشرق»، حتى لا تثقل عليه بالعودة إلى كتب التراجم «الشيعة» ليحيط بالتاريخ الإشكالي لهذا الملف بدلا من أن يقصره على العنوان الاستشراقي.

ولا بد من الإشارة هنا، الى ان رسالة الكشميري والمصادر التاريخية حول «المال الشيعي» لم تخض في المباني المعرفية والفكرية لهذا المال على ضوء القرآن الكريم، إذ لا وجود لشيء اسمه «المال الشيعي» وغير «شيعي»، وان «آية الخمس» هي إحدى التشريعات القرآنية وهي تشكل مبنى من مجموعة مبادئ قرآنية تؤسس للمسألة المالية في الاسلام، وهو مبنى وظيفته «طوارئ حربية» (١٩).

الفصل الأول
مرجعية السيد الحكيم
ملايسات تاريخية ومتبنيات إنتقائية
إصطفايات مناطقية -عروبية
ملكية -شاهنشاهية

مدخل تهديدي
حكاية الترشيح.. مناشئ وتجليات
الكلية الهفصلية الأخيرة

مدخل تهديدي

ذكر لي احد الثقات حول الظروف، التي رافقت تصدي السيد محسن الحكيم إلى المرجعية وكان الأخير يدرس لدى الميرزا محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥هـ)، وكان من تلامذته أيضاً شخص اسمه السيد جمال الدين الكلبايكاني وهو أعلى طبقة من التلامذة وتوجهت الأنظار نحوه بعد وفاة أستاذه. وفيما أن مسؤول إدارة الصحن الحيدري فرش سجاد الصلاة للكلبايكاني على أن يصلي محل النائيني صلاة المغرب والعشاء، في هذه الأثناء جاء السيد محسن الحكيم محاطاً بعدد من «الشقاوات» يحملون الخناجر، والمراوات، وصلى في مكان النائيني، وعندما أخبروا الكلبايكاني قبل وصوله إلى الحرم بذلك وهو لا يزال في منتصف الطريق، وقف ثم عاد من حيث أتى قائلاً باللغة الفارسية: «همجنين نماز بزوري نمي خواهد» أي «صلاة كهذه بالقوة لا تُراد»، ويواصل هذا الشخص كلامه لي قائلاً: ثم واصل الحكيم صلاته في هذا المكان إلى أن مات (٢٠)، ثم يضيف، وعندما جئت إلى إيران التقيت المرحوم السيد احمد نجل السيد جمال الدين الكلبايكاني عندما كان وزيراً في حكومة الشيخ هاشمي رفسنجاني، فسألته: عن تلك القصة، فنقلها لي كما هي، ثم سألت نجله الثاني السيد علي جمال الدين الكلبايكاني، فنقلها لي كما هي.

ويذكر أن السيد محمد جمال الهاشمي نجل آية الله الكلبايكاني، وبفعل صدمة هذه الحادثة نظم قصيدة شعرية يهجو بها السيد الحكيم وأفراد جهازه الإداري، الذين جاؤوا بالحكيم على أساس انه مرجع «عربي»، والغريب أن هذا الهاجمي أصبح من اقرب المقربين إلى السيد الحكيم، والسبب في ذلك حسب ما يرى العارفون، أنه كان في الأساس مرتبطاً بشاه إيران [جهاز السافاك]، وعندما فرضت مرجعية الحكيم كأمر واقع عاد مرة أخرى من هجائه انتقاماً لاستقصاء والده عن سدة المرجعية إلى ارتباطه مع شاه إيران، الذي يملئ عليه بالنهاية خيار الالتحاق بالحكيم كمحمي من هذا الشاه.

(٢٠) وعلى قاعدة الشيء بالشيء يذكر: في أثناء هذا المشهد كان السيد البغدادي والسيد الخوئي شهود أعيان لهذه المسرحية الهزيلة! والخوئي في تلك اللحظة لم يمتلك نفسه فأخرج لسانه مستهزئاً بما حدث من أزام الحكيم.

ويذكر أن الصراعات المرجعية بين الخط الفارسي والخط العربي لم تكن هي الشكل الوحيد لما يدور في المؤسسة الدينية، وإنما حكمت هذه الصراعات أيضاً إلى الخط الفارسي ذاته، نتيجة التنافس في ما بين أقطابه للوصول إلى سدة المرجعية العليا، ولذلك نرى أن مرتضى النقشواني الفارسي رفض في ظل صراعات الخط الإيراني الالتحاق بمرجعية الحكيم، لأنه كان داعية إلى مرجعية أبي الحسن الأصفهاني قبل أن يصبح فيما بعد داعية لمرجعية الخوئي، كما أن هذه الصراعات داخل الخط الإيراني ترجمت عبر التحاق أربعة من الإيرانيين، الذين تربطهم علاقات أيضاً مع شاه إيران بمرجعية الحكيم، رغم أن هؤلاء الأربعة، وهم السيد إبراهيم الطباطبائي نجل السيد علي السيد محمد كاظم اليزدي، الذي تزوج فيما بعد من كريمة السيد الحكيم والشيخ محي الدين المامقاني نجل الشيخ عبد الله المامقاني ابن المرجع الشيخ حسن المامقاني، والشيخ محمد الرشتي ابن المرجع الشيخ عبد الحسين الرشتي، بالإضافة إلى السيد محمد الهاشمي ابن السيد جمال الدين الكلبيكاني (المذكور)، رغم أن هؤلاء الأربعة كانوا في خضم الصراعات المرجعية يرون بأن آبائهم المذكورين هم الأولى بموقع المرجعية العليا، وأن إقصاءهم عن هذا الموقع، أوجد لديهم عقداً إزاء القوى الخفية، التي تتدخل في ترشيح «المرجع الأعلى»، كما أوجد إحساساً بمظلومية هؤلاء الآباء (٢١).

حكاية الترشيح مناشئ وتجليات

في البدء كان ترشيح السيد محسن الحكيم للمرجعية «الشيعية» سياسياً قبل أن يكون دينياً، فبعد تهجير الشيخ محمد حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني إلى إيران لاعتراضهما على تنفيذ الملك فيصل الأول أوامر الانجليز، مثلما اتخذ مجلس الوزراء يوم ١٧ حزيران ١٩٢٣ قراراً بنفي «رجال الدين» الأجانب واستئناف الانتخابات بعد عودة الملك من جولته في الألوية (المحافظات) العراقية (٢٢). قام بتهجير الشيخ محمد مهدي الخالصي إلى الهند ومنها إلى إيران بسبب اصدار فتاواهم بشجب انتخاب عام ١٩٢٢م (٢٣) خطط النظام الملكي لضرورة ترشيح مرجع ديني مسلم يتخوف من المواجهة ولا ينتج سياسة إصلاحية أو ثورية منظمة، وسياسة ذات ضربات محدودة، وعدم إقامة دولة إسلامية عادلة في عراق العروبة والإسلام، إلا من

(٢١) عراق بلا قيادة، ص: ١١٣ وما بعدها، مصدر سابق (بتصرف خفيف) و/انظر: انبياء واصنام، ص: ٨٨ وما بعدها، مصدر سابق.
(٢٢) فيني مار، تاريخ العراق المعاصر، نقلاً عن د. نديم عيسى الجابري، إشكالية الصراع بين حكام العراق ورجال الدين، ط: ٢٥، ٢٠٢٠م، بيروت، ص: ٣٣٧.
(٢٣) وكان بطل إحباط المجلس التأسيسي السيد الاستاذ الأكبر، انظر بتوسع: فصل «جدل السيد البغدادي نظرية الحكم.. نشوء الدولة الملكية»، من هذا الكتاب.

خلال الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وعلى ضوء هذا اختاروا مرجعية الحكيم(٢٤)، وهمشمو مرجعية محمد حسين كاشف الغطاء الاصلاحية الجريئة! الذي «كان يطرح، لأول مرة «نظام ولاية الفقيه» كبديل لنظام الحكم الملكي، إذ كان مؤمناً بولاية الفقيه المطلقة. وقد اتضح ذلك بقوله: «أنا غارق فيها الى هامتي، وهي من واجباتي، وأراني مسؤولاً عنها أمام الله والوجدان، وهي من وظائفني ووظيفة آباي الذين كانت لهم الزعامة الدينية منذ ثلاثة قرون أو أكثر، لا في العراق فحسب، بل في دنيا الإسلام كله، وهي النيابة العامة والزعامة الكبرى، والخلافة الالهية العظمى(٢٥)».

وكذا اختار شاه ايران السيد الحكيم للمرجعية «الدينية» العليا حينما أرسل برقية تعزية بمناسبة رحيل المرجع العام السيد حسين البروجدي (١٣٨١هـ) الى الملاء الأعلى، انظر وثيقة رقم (٣)، مفضلاً مرجعاً دينياً «عربياً» من حوزة النجف ليحجم الدور الفاعل الذي يمكن أن تنهض به المرجعية القمّية في ايران، ومنع نشوء مركز للسلطة الدينية داخل الأصقاع الإيرانية لاسيما السياسية الإيرانية تعتبر الشاه «حامياً التشيع في العالم!».

ورد في أحد النصوص، ما يلي: كانت أسباب انعزال الخميني شبه الكامل عن باقي علماء الشيعة في العراق متعددة فأية الله السيد محسن الحكيم ظل حتى وفاته عام ١٩٧٠ متخوفاً من الخميني، لأنّ الحكيم كان يعتقد أنّ تغيير الأوضاع في إيران سيؤدي ربما الى إستيلاء اليساريين على السلطة عدا ذلك فقد كانت له علاقات

(٢٤) صرح الباحث عادل رؤوف في كتابه: «محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين» ط: ٤، ص: ٣٠٩:

يقول البعض أنه لم يكن لأية الله محسن الحكيم علاقة متوترة مع الأسرة المالكة في العراق بدليل:

أولاً: عندما كان يصلي على أموات الاقطاع في العراق تجدد الصحف العراقية تنشر الخبر باسم تلك الأسرة ويقدمون الشكر الجزيل على أداء هذه المراسيم في الوقت الذي تمتنع الصحف بنشر أي خبر للمراجع الآخرين!...

ثانياً: إجتمع السيد محسن الحكيم مع الملك فيصل الثاني ونوري السعيد والوصي عبد الله في عام ١٩٤٩ وهذه آخر زيارة للملك فيصل وحاشيته. ودعوى البعض رفض لقاء الملك لم تكن صحيحة.

ثالثاً: عندما كانت التظاهرات الاستنكارية تخرج ضد الحكم الملكي كانت تلك الجماهير تجتمع على المصلين الذي يصلون خلف الحكيم وتفرقهم مستنكرة سكوت الحكيم وتعاطفه مع الأسرة المالكة في العراق بخلاف المصلين خلف أية الله المصلح محمد حسين كاشف الغطاء وآية الله المجاهد السيد محمد الحسيني البغدادي وآية الله المظلوم السيد حسين الحماشي فلم تتعرض تلك الجماهير المتظاهرة ضد إمامة هؤلاء المراجع لأن مواقفهم معروفة ضد الملكية المقبورة. انظر الوثيقة رقم (٢). (٢٥) محمد مكية، خواطر السنين، ط: ٢٠٠٥م، دار الساقبي، بيروت، ص: ١٥٠.

جيدة مع إيران لا يريد أن يضر بها عن طريق الأتصال بعناصر المعارضة الإيرانية(٢٦).

وفي ظل هذا المنعطف تنكشف لنا إنَّ علاقة السيّد الحكيم بشاه إيران السابق مسألة لا تقبل الشك أو الطعن، وهذه المسألة متروكة للباحثين، الذين يدرسون مراحل التاريخ المختلفة، وتعلل الأسباب بمسبباتها وكانت (...) مصلحة في مثل هذه العلاقة و(...) لمواجهة حركة علماء الدّين المجاهدين، وعلى رأسهم الإمام الخميني حفظه الله، وذكر لنا أحد رجال الدّين ممن كانوا يعرفون الشاه بأنه كان يعظّم الإمام الحكيم ويطريه كثيراً، وغايته هي ضرب الحركة الإسلامية في إيران، وليس ذلك فقط، فالسيّد مهدي الحكيم غادر العراق هارباً، واستقر به المقام في عاصمة الشاه، ونزل في أحد قصوره، وتمتع بأمواله، أنظر وثيقة رقم (٤) ونسق مع رئيس جهاز السافاك نصيري، وكان معه مجموعة من السياسيين العراقيين لا نريد ذكر اسمائهم، وإن قلنا إنَّ سعد صالح جبر هو أحدهم، وحتى الدكتور خليل الطباطبائي صاحب الدور البارز في رابطة السيّد مهدي الشيعة العالمية كان من العاملين في المستشفى الإيراني الملكي في دبي، ولو كان السيّد خليل من المعادين للشاه لما سمح له بالعمل في هذا المستشفى.

إنَّ علاقة الإمام الحكيم بشاه إيران من الامور التي لا تنكر، وفي حوزة وزير الامن والمعلومات الإيرانية حجة الإسلام ري شهري، وثائق وصور ورسائل تثبت هذا وغيره لمن يريد الاطلاع، أو معرفة حقائق الامور، وحتى السيّد مرتضى العسكري (من أقطاب حزب الدعوة) لجأ الى إيران بعد هروبه من العراق، وما زال يعيش فيها، وبعد الثورة الإسلامية سمعنا إنَّ الإقامة الجبرية قد فرضت عليه في بيته(٢٧)، وأن مجيئه للعلاج في لندن دليل على أن هذا الحظر قد أزيل عنه.

(٢٦) فرهاد إبراهيم، الطائفية والسياسة في العالم العربي.. الطائفية السياسية في العراق أمودجاً. ص: ٣٧٠، مصدر سابق.

(٢٧) يروي الشيخ طالب السنجري: ونقل لي مسؤولي في حزب الدعوة «أبو أحمد الخليجي»، وكان يومها بالخليج فحمل هذا اللقب وأشتهر به أنَّه التقى مع مجموعة من الدعاة بالسيّد علي الخامنئي في أول أيام الثورة الإسلامية، وطلبوا تسهيل بعض قضاياهم. فقال لهم: تبراؤ من مرتضى العسكري، (ت ٢٠٠٧م) والسيّد مهدي الحكيم (ت ١٩٨٨م) نجل المرجع الديني محسن الحكيم. فقالوا له لماذا؟!!

قال: لأخما مرتبطان بالسافاك. والكلام للسيّد الخامنئي يذهب من أنَّ السيدين المذكورين وغيرهما كانا يحظيان برعاية المخابرات الشاهنشاهية فهما يلتقيان في حرهما على الدكتور علي شريعتي (ت ١٩٧٧م) وللخميني. طالب السنجري، محطات في رحلة الحياة، ط: ٢٠٢٤م، دار الوارث للطباعة والنشر، ص: ٢٣.

الدكتور عباس مهاجراني هو الذي اقام مراسيم العزاء على روح الحكيم، وقد حضر رضا بجلوي بنفسه هذه المراسيم، وكذلك هو الذي اقام مراسيم العزاء على روح والد السيد محمد بحر العلوم، وفي علمنا أنَّ الإمام الراحل لم تصدر عنه أية فتوى، أو رسالة، أو كلمة تدين الشاه ونظامه، أو يؤكد فيها تأييده، أو عطفه على العلماء المجاهدين في إيران، أو الانتصاف للشعب الإيراني المظلوم. اننا نقول هذا ليس من باب الهجوم أو التحريض وإنما نقول من باب تثبيت الشيء الثابت، وهو أمر لا ينكره، حتى الدكتور صاحب، الذي لم يتطرق اليه في رده، وفي إحدى المرات سألت السيد مهدي، هل كانت لوالدك رحمة الله عليه علاقة بالإمام الخميني في العراق؟ فكان جوابه بالنفي، وفي مرة أخرى سألته عن صحة ما يقال عن تعاونه هو وغيره من بعض المحسوبين على الشيعة مع نظام الشاه في إيران، فأكد ذلك بقوله: «لقد تعاوننا مع حكومة الشاه ضد حكومة البعث في العراق، وذلك مثلما تعاون السيد الخميني في العراق مع حكومة احمد حسن البكر ضد الشاه في إيران!!».

في البداية كنت اعتقد أن القول يمثل هذا مجرد دعايات مغرضة يرددها الخصوم، أو أعوان السلطة الى أن جاء يوم تعرفت فيه على أبطال هذه المواقف ومنهم.. لا من غيرهم تأكيدات أن ذلك له أساس من الصحة، وعليه ليس من السهل على المرء أن ينزع جلده بين ليلة وضحاها، وأن ينكر كل شيء قام به، وإنما نقول ان السياسي كالشاعر تتحكم فيه ظروف معينة، وعلينا بدراسة هذه الظروف قبل الحكم عليه،

من هنا، أخبرني السيد حسين حفيد السيد الخميني: إنَّ السيد الخامني في يوم من الأيام توارى عن الأنظار فلم يتواجد في منزله بل حتى في مكتبه الرسمي. وقد استغرق هذا الغياب من الصباح الباكر إلى غروب الشمس!

والقيادة السياسية ارتبكت على غيبوبة «رهبر»، أي السيد القائد. وبعد اللتي واللتيا تفاجأ الشيخ هاشمي رفسنجاني بمكالمة تلفونية، وإذا بصوت الخامني. فعاتبه رفسنجاني على مضض ناصحاً له لا تنسى يا سيدنا نحن دولة مؤسسات لا يمكن أن تقع بهذه الشطحة اللا قانونية التي لا تغتفر، وسماحتك المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية. وبالتالي عرف أنَّه كان ضيقاً عند مرتضى العسكري العدو اللدود في العراق وإيران للسيد القائد المؤسس الخميني، والأخير بعد انتصار ثورة (بهمن) العاشر من شباط عام ١٩٧٩م يرفض أي لقاء أو طلب مع سماحته الى يوم صعوده إلى الملكوت الأعلى.

ومن العجب العجائب أصبحت علاقة السيد الخامني مع الشخص غير المرغوب به وطيدة بإمتياز، غير أنَّه نسي موقفه الرسالي (يومذاك) مع الدعاة في بداية نجاح الثورة عندما طلبوا تسهيل بعض قضاياهم، ولكن ناشدهم بتحقيق ما يصبون اليه بشرط البراءة من العسكري والحكيم لكونها مرتبطان بجهاز المخابرات السافاكية الشاهنشاهية!

وقد تعرض العسكري للملاحقة في أواخر سبعينيات القرن المنصرم من قبل النظام العراقي مما اضطّر أن يغادر الى إيران فكان في استقباله أركان نظام الشاه. أنظر وثيقة (١٠).

وأخيراً.. بعد صعود الخميني الى الملأ الأعلى بادر في تأسيس كلية أصول الدين في قم، ثم استحدث فرعاً منها في طهران، ثم في محافظة الأحواز وفي مدينة ساوه. وبعد احتلال العراق أميركياً - بريطانياً بادر في عام ٢٠١١م بفتح الكلية في بغداد - الكرادة الشرقية أيام نوري المالكي رئيس مجلس الوزراء الأسبق.

بالتالي فبإمكاننا أن ننسى أو نغفر، ولكن ليس بإمكاننا أن نكذب، وأن نقلب طبيعة الألوان(٢٨).

إنَّ التقليد هذا لم يكن تمرداً على المنهج الدراسي إذ ليس جواب الصدر على الحائري رفضه تقليد أي عالم هو شهادة بالتمرد(٢٩). بل إنَّ هذا الوصف يعبر عن أزمة فهم مثلما أن نبوغ الشهيد الصدر يتحول بحذ ذاته الى أزمة له، وهو التصدي للمرجعية والى مصدر استعداد وخوف(٣٠)، في حين كان السيد البغدادي يؤكد في تحصيله الموسوعي:

قال بعض السادة الأجلة: كان عمل الإمامية وطريقتهم في المرجع الديني، وهو المقلد [بفتح اللام] أن يكون من أهل الكرامات التي كانت للأولياء والصالحين، ثم تسافل الأمر بانسداد هذا الباب من أصله، فاضطروا إلى الإكتفاء بالورع العادل من العلماء، وقد شاهدنا ذلك في أوائل أيامنا على نحو كان شائعاً فاشياً، بل كان الاقتداء بأي واحد أمراً ميسوراً نقبل عليه بلا عروض أدنى توقف وتردد، ولكن هذا الأمر أصبح اليوم متعسراً كالمعتذر. ونسأله تعالى أن لا يبتلينا بما هو أشد وأشنع وهو أن يأتي زمان تشتد الحنة فيه بنحو يكون تحقق إسلام المرجع وإيمانه كالمعتذر(٣١).

الكلمة

الهفصلية الأخيرة

إنَّ انعكاس هذه الملفات على عبقرية الصدر الاول التي كانت مشخصة من قبل البغدادي - الكبير - وكان هو القائل للصدر الأول في إحدى زياراته الأخيرة إليه برفقة الشيخين خاليه محمد رضا، ومرتضى آل ياسين، حيث خاطبه وبحضور خاليه «إنك أعلم من خالك».. فالبغدادي، الذي يعطي شهادة للصدر الأول بـ«أعلميته الفقهية» وهو ابن السادسة عشر، كان إحباطه أقوى بكثير من أن يقرأ

(٢٨) سامي فرج علي، صحيفة المسار، بتاريخ ١٩٨٦/١/٣٠م، و/أنظر: نص جواب من الحكيم الى شاه ايران ردّاً على رسالة منه في وثيقة رقم: (٥) و/أنظر: مقال لهذا المصدر نشر في مجلة (الإحياء) الشاهنشاهية حول علاقة الحكيم بالشاه، و/أنظر: وثيقة رقم (٦) صورة الحكيم مع مسؤولين شاهنشاهيين.

(٢٩) شلبي ملاط، تجديد الفقه الإسلامي، محمد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم، ترجمة: غسان غصن، ط: ١، ١٩٩٨م، دار النهار، ص: ٥٠.

(٣٠) عادل رؤوف، محمد باقر الصدر، بين دكتاتورين، ط: ٤، ٢٠٠٣م، المركز العراقي للاعلام والدراسات، سوريا - دمشق، ص: ١١١.

(٣١) محمد الحسني البغدادي، التحصيل في أوقات التعطيل، ط: الاولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ص: ١٦٢.

بدقة ظاهرة الصدر الأول بعدما خاض المعتزك المعرني، وأسس للمشروع الإسلامي، وكان من المفروض أن يلاحظ البغدادي هذه النقلة النوعية، التي أحدثها الصدر الأول، حتى لو كانت نقلة محسوبة شكلياً على «خط السيد محسن الحكيم»، وهذا هو الآخر لم يحصل، ولو أنه حصل مع تجاوز البغدادي لإحباطه وقناعاته حول «استحالة التأسيس في النجف وواقعها المستهدف باستثناء» لكان تأثير ذلك أكبر من أي تأثير آخر، ولأمكن إدراج مقولة أخرى مضافة إلى مقولة قلناها في كتابنا «عراق بلا قيادة» وهي «أنه من سوء حظ العراق لم يلتحق الصدر الأول بمحمد الخالصي... لا، يمكن أن نقول «إنه من سوء حظ العراق أكثر من مرة لم يلتحق البغدادي بالشهيد الصدر الأول».

وواضح أن «الالتحاق» هنا لم يكن «خيار» الصدر الأول.. وإنما خيار كل من الخالصي والبغدادي، اللذين تعاملتا مع منجز الشهيد الصدر الأول المعرني - الفكري.. انطلاقاً من التصنيف الخطي، السطحي له.. على أنه «منسجماً» مع الظاهرة الحكيمية.

ولم يدرك في حينها لا الخالصي، ولا البغدادي، أية عراقيل وضعها بتصنيفهم هذا أمام الصدر الأول للالتحاق بهم.. وأيضاً نحن نقول التحاقه بهم لا انطلاقاً من الخلفية المعرفية المقارنة، لأن الصدر الأول بلور مشروعاً إسلامياً لم يبلوره لا البغدادي، ولا الخالصي، ولا كاشف الغطاء، ولا الجزائري، ولا عبد الكريم الزنجاني، ولا أي رمز ثوري. معرني آخر... وإنما انطلاقاً من الخلفية العمرية، والفارق العمرى بين البغدادي والخالصي والآخرين من جهة، والصدر الأول من جهة ثانية.. وإلا فإن الأصح - معرفياً - هو أن يلتحق كل من البغدادي والخالصي معرفياً بالشهيد محمد باقر الصدر. وأن يلتحق هذا الأخير «عمرياً» بهما لمواجهة «حوزة» منحرفة ومرتهنة لشاه إيران! بزعامة «المرجع الأعلى» في حينه السيد محسن الحكيم.

وكان التحاق البغدادي بحكم موقعه «النجفي» أكثر تأثيراً من التحاق الخالصي، بحكم الفارق المناطقي «الحوزوي» (٣٢).

ولكي نتوقف عند هذا الأمر الذي يحتاج الى قراءة نقدية تفي بمتطلبات إجلاء الحقيقة كاملة لما قصده عادل رؤوف وظروف المرجعية في العراق بوصفها «المرجعية في العراق تنقسم إلى قسمين أو اتجاهين، الأولى، مرجعية تنحو نحو الدعة والراحة واللا عمل واللا جهاد، شغلها الشاغل الدرس والتدريس في علوم الشريعة والدين. والاتجاه الثاني، يتجه نحو تحقيق الأطروحة الإسلامية كدين ودولة وشريعة ونظام، لكن مرجعية النجف تختلف اختلافاً كلياً عن مرجعية قم «الثورية» لذا تجد مرجعية النجف على طول التاريخ سكوتية انهزامية رجعية تتماهى مع الأنظمة الفوقية

(٣٢) أنبياء وأصنام، ص: ١٧١ وما بعدها، مصدر سابق.

الشمولية في العراق باسم التقية اللاشرعية على طول التاريخ، ولذا تظل هي الأقوى ضد الحوزة الثورية التقدمية الإسلامية، لأنها تمتلك الثروة والسلطة، بوصفها مدعومة من خارج الدائرة الإسلامية هذه هي الحقيقة يجب أن يفهمها الناس وكل حركات التحرر العربية والإسلامية والعالمية (كما أشرنا إليها في مدخل منظومة المؤسسة الدينية من هذا الكتاب).

وبالعودة مرة ثانية الى السيد محسن الحكيم فقد كتب شقيقي حيدر في مؤلفه: «هكذا عرفت النجف...»، حيث ذهب قائلاً:

قد تحدث السيد الجد الإمام البغدادي إلى السيد الوالد والشقيق السيد أحمد: لقد غادرت النجف الأشرف في أيام تعطيل الدراسات الحوزية متوجهاً إلى بغداد، وكان بصحتي السيد علي شبر والسيد محسن الحكيم والشيخين الشقيقين حبيب وخضر الدجيلي، وبعد زيارة الإمامين الجوادين كان مبيتنا في تلك الليلة عند والدي، فرحب بنا أحسن ترحيب، وبعد فترة زمنية ليست طويلة أراد التعرف على حياة أصدقائي وعن تحصيلهم العلمي وعن آبائهم، فانبرى كل واحد منهم يتحدث عن سيرته بإختزال ومنهم السيد محسن الحكيم، وعندما قال إني نجل السيد مهدي الحكيم وكان أحد زملائك حين حضوره درس الشيخ الأخوند الخراساني، فأجابه السيد الوالد: لا أتذكره، وربما الشيطان انساني، فبادره: كان والدي يلقب في حينها بـ(التتنجي)، قال والدي: نعم، نعم، عرفته حق المعرفة، وكان على ما أتذكر كثير السفر رحمه الله .

ومن هنا خاطبني السيد الوالد: إني لك يا ولدي من الناصحين، لا تتخذ السيد محسن صديقاً حميماً، وضرب لي مثلاً: «إن الحية لا تلد إلا حية»، فقد حدثني ثقة ومؤتمن اسمه فخر الدين وكان خادماً عند السيد محمد حسن الشيرازي صاحب فتوى حرمة شرب التبنك الشهيرة ضد ناصر الدين القاجاري شاه إيران، هجم عليه لصاً في منتصف الليل وكان في حينها مشغولاً بعزل الحقوق الشرعية من الأخماس والزكوات... فوقف على رأسه شاهراً سلاحاً جارحاً وهدده بالقتل إذا لم يسلم له هذه الأموال التي في حوزته، فاستجاب له وسلمها إليه، وبعد خروجه من الدار بادر السيد بايقاظي من النوم وأمرني على الفور بإلقاء القبض عليه، فهرعت بسرعة مذهلة إلى تلك الأزقة الضيقة الملتوية المظلمة الموحشة أبحث عنه، وعثرت عليه وجئت به إلى السيد، فأمره في تلك اللحظة الخروج من سامراء وإن عشت أراك الدهر عجباً، والسيد لم يسلمه للشرطة خشية من الفضيحة (٣٣).

(٣٣) حيدر الحسني البغدادي، هكذا عرفت النجف، أسر وبيوتات.. مفاجآت ومفارقات، ط: مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط: الثانية، ٢٥٠٢٥م، الناشر: دار إحياء تراث الإمام البغدادي، العراق - النجف، ص: ١٨١ وما بعدها..

الفصل الثاني

مرجعية السيد الخوئي

أهداف مشتركة بين اليمين واليسار

فوارق أم مهازل

انتقائية صدام حسين لـ «المرجعية الإيرانية»

«الخوئي».. واسرار الترشيح

موقف صدام من البغدادي والذهبي

الكلية الاخيرة

غربة محمد باقر الصدر ورهان «العسى التوريطية» الحكيم
- الابن

التصدي بالعنوان الطولي

مرجعية الخوئي خضوعية للسلطة

ضرورة التصدي للمرجعية

ثقافة الحذف

إنتقائية صدام حسين لـ «المرجعية الإيرانية»

بعد إختيار الخلافة العثمانية الإسلامية المركزية، ونشوء الدولة القومية - القطرية في
علمنا العربي وتأسيس الدولة الملكية العراقية عام ١٩٢١م الى يوم إحتلال العراق
أميركياً - بريطانياً عام ٢٠٠٣ م بات المرجع اللا عروبي الذي لا يتدخل في شؤون
القضايا السياسية هو المطلوب من قبل السلطات الحاكمة لأنه لا يوجد الحلول لها،
فيما أن المرجع العروبي الذي يؤمن من حيث المبدأ التدخل في الشأن السياسي فهو
إذن المستهدف من هذه الأنظمة الحاكمة، لأن هاجس الشيخ محمد مهدي الخالصي
الكبير بقي في العقل الباطني لها، فيما هو بالضرورة الإسلامية الثورية الملحة سيكون
معارضاً صلباً للمرجعيات الخضوعية المستسلمة للسلطات الحاكمة في العراق.

ومن العجب العجائب أن «إيرانية المرجع الأعلى» التي أفرزت هكذا واقع ميداني
ملموس أمام السلطات العراقية المتعاقبة الحاكمة والمهددة في كل لحظة في التسفير الى
وطنه الأم فيما اذا «تأمر» على سيادة الأمن الوطني القومي العراقي!..

ثم يتزايد بيّ العجب العجائب حين أرى أن هذه القضية أهملت في العقل المجتمعي
العراقي بصورة عامة ولم يصار الى محاولة تصحيحها في أي وقت من الاوقات
اللاحقة، ولم تتحول الى نقلة ثقافية ومعرفية وتاريخية في العقل المجتمعي العراقي او
العقل الحركي الإسلامي، إذ بعد مرور ما يقارب سبعة عقود من الزمن يذهب
العراقيون الى «المرجع الأعلى» الايراني أبي القاسم الخوئي ويناشدونه في إصدار فتوى
جهادية شرعية تدعو العراقيين الى الزحف الى بغداد لإسقاط نظام صدام حسين
المجيد ولم يضعوا في تصفية حساباتهم هذه القيود التاريخية الموصلة بـ«إيرانية المرجع»
والفارضة وجوباً عينياً على عدم تدخله بالشأن السياسي أو المساس بالسيادة العراقية
والخضوع لرؤية إيديولوجية السلطة الحاكمة بالحديد والنار.

حاول بعض قادة الجيش العراقي المعارضين الاجتماع مع المرحوم السيد
الخوئي في ساعة متأخرة من الليل في سبيل اقناعه بدعم الانتفاضة من خلال
إصدار: «فتوى شرعية» تحت الشعب العراقي على الوحدة الوطنية، وشجب

الشعارات الطائفية، وتوجب الجهاد المسلح لإسقاط النظام، والتوجه إلى العاصمة قبل أن يفوت الأوان علينا، فلم يتكلم السيد، أخذته الرهبة والخوف كأنما صدام حسين فوق رأسه!!.. فمسك بيده: «السبحة السوداء» فاستخار الله بوصفه المطلق العيني الحقيقي، وقال: إنَّ «الاستخارة» لا تساعد على ما تطلبونه مني!.. بَيَدَ أُنِي اقترح أن أشكل مجلساً يدير شؤون البلاد، ويطالب الشعب بالحفاظ على ممتلكات الدولة، وعدم قتل «الناس»، ودفن جثث القتلى منهم، حتى يفرج الله هذه الغمة عن هذه الأمة، وقد أيد هذا الاقتراح جهاز السيد الخوئي تأييداً مطلقاً، وقد عارضه العسكريون لأسباب يمكن فهمها لكل من لا يمتلك رؤى لوجستية وعسكرية من دعم السيد الخميني (رحمه الله) في العراق (٣٤).

«الخوئي».. واسرار الترشيح

ولهذا السبب بعد وفاة الحكيم رشح نظام البعث في العراق مرجعية الخوئي ولم يرشح مرجعيتي البغدادي والخميني المعارضين الألداء لسياسته مُجَدَّ رضا بجلوي! لسبب بسيط كما تحدث الباحث المؤتمن الشيخ عبد الحليم الغزي بأدلة حسيّة قطعية عميقة وبجرأة كلامية لسانية خطابية بليغة لم يسبقه أحد من الكتاب والمؤلفين، إذ ذهب يقول:

بعد وفاة السيد محسن الحكيم كانت توصيات المخابرات والبعثيين هو تأييد السيد الخوئي (أنا لا أتهم السيد الخوئي بأنه كان على تعاون وعلى علم بهذا الأمر! والله لا أتهمه. الحكومة العراقية كانت تخطط وهذا. (نص كلام صدام حسين الذي نقل عنه موجود وموثق) بأن السيد الخوئي أنسب شخصية تتماشى سيرتها وطبيعتها مع القيادة السياسية للحزب (٣٥) شخصية هادئة لا تتدخل في السياسة، وإذا طلبنا منه

(٣٤) انظر: السلطة والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق حوار صريح مع آية الله أحمد الحسني البغدادي، ط: ١، ٢٠٠٢م، المركز العراقي للإعلام والدراسات، سوريا - دمشق، ص: ٢٨ وما بعدها.

(٣٥) ففي ٢٥ كانون الثاني ١٩٧١م أجاب الخوئي رداً على سؤال وجهه علي رضا مدير مكتب العلاقات العامة:

«سماحة المرجع الأعلى السيد ابو القاسم الخوئي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هل رأيتم من حكومة البعث في العراق ما يناهز الدين أو الإنسانية بالنسبة الى شخصكم الكريم أو الحوزة العلمية أو الإيرانيين، فقد ذكر بعض المغرضين تعاملهم معاملة سيئة، أفنونا مأجورين؟!

٢٥ / ١٢ / ١٩٧١م

علي رضا

وقد جاء الجواب الذي حمل توقيع الخوئي بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٩١هـ ٢٧ / ١ / ١٩٧١م تحية طيبة

شيئاً يوافق عليه ولا يناقش، ولذلك حين أُقنع بالسفر الى لندن (وهو لم يكن مريضاً آنذاك) حفاظاً على سمعة مرجعيته لأنّه لو كان باقياً في النجف وتحدث عملية التفسير والإساءة للناس، وماذا سيقول الناس بأنّ السيد الخوئي يتعاون مع السلطة. والسلطة لا تريد هذه النظرة حوله مطلقاً (٣٦). وإذا صارت هذه النظرة فان الناس ستميل الى مرجع آخر، وربما المرجع الآخر سيكون (مثلاً) السيد الخميني أو محمد باقر الصدر، وهذان الشخصان لا يمكن التفاهم معهما بالطريقة التي يتفاهمون بها مع الخوئي وهم يحافظون على مرجعيته الدينية، (وانا هنا لا اتهمه بالعمالة أو التعاون مع السلطة أبداً) ولكن لكل إنسان سليقة، وسليقة السيد الخوئي هي لا تريد الاصطدام بأحد، ولا يريد أن يقول قولة الحق بشكل واضح وصريح.

ومن هنا، أتحدث عن المواصفات الحقيقية أن تكون عمامته «سوداء» ومقره النجف، وان يكون كذاباً الى أبعد حدود الكذب الى حد الذي يستطيع ان يبقى يكذب ويكذب ويكذب الى ان يموت وعوام الشيعة لا يكتشفون ذلك، ليس مهماً

وبعد إني بالنسبة إليّ لم أرَ من الحكومة الموقرة إلا خيراً. أما بالنسبة الى الحوزة العلمية والاييرانيين فقد سمعت من بعض الثقة أن الحكومة تعاملهم معاملةً حسنة، والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

النجف الاشرف

ذي القعدة ١٣٩١ هـ

الخوئي (الختم)

انظر الوثيقة رقم (٧)

(٣٦) في ١٩٧٢/١/٢٩ م «تحسنت» حالة السيد الخوئي الصحية وبعدها رجع الى العراق. عندما قام العلماء بعيادته في داره في الكوفة، ومنهم السيد الخميني والسيد عبد الله الشيرازي، والشيخ نصر الله الخليلي، وقد تكلم السيد الشيرازي إلى سرد بعض الاحداث التي وقعت، ومنها: استلم السيد الخميني زمام الحديث (وخرج عن ديدنه في السكوت وقلة الكلام) وراح يصف ما حدث في الجلسة التي ضمت علي رضا، ووضع الحاضرين في آخر المستجدات وتحدث عن ضرورة إتخاذ موقف واضح حيال ما يجري في سبيل حفظ الحوزة «العلمية» وصيانتها. وبعد إنتهاء حديث السيد الخميني، بادر الخوئي إلى الحديث عن السائد في تلك المدينة [العاصمة اللندنية] ومستشفياتها واطبائها واصفاً منتزهاتها واشجارها وما فيها من مظاهر الطبيعة. ومن الواضح أن مراد الخوئي هو تغيير الموضوع (محل الكلام) لإبداء الاعجاب بما رآه في لندن! وقد أزعج هذا الموقف السيد الخميني، ولكنه لم يظهر شيئاً من ذلك. ولما خرج من بيته وصعد الى السيارة، قال ما ترجمته: «يَبْدُ أَنَّ السيد الخوئي لا يعلم شيئاً عن مخططات ومكائد حزب البعث، أو أنّه على علم له بذلك، ففي الوقت الذي أشعر فيه بالقلق الشديد إزاء ما يجري حالياً، فإنّه وبكل راحة يتحدث عن أوضاع لندن، وإذا كان قد أطلع لتوه على ما وصل اليه الأوروبيين من ترف وتطور، فإننا ومنذ سنوات على علم بما توصلوا اليه من إنجازات في الأمور المادية والدنيوية، وما يدعو الى الأسف في هذا المجال هو اننا لا نعمل لدنيانا ولا لآخرتنا في كلا الحقلين متخلفين».

تلفيقاً بين خاطرات آية الله خاتم يزدي (فارسي) ص: ١٠٨ وما بعدها، خاطرات سياسي، سيد علي أكبر محتشمي (فارسي)، ص: ١٦٦.

ان النخبة تكتشف كذبه! هؤلاء إما ان تشتري ذمهم، وإما أن يقضى عليهم، وإما أن تشوه سمعتهم! فحينئذ لا تصدمهم. هذا هو البرنامج. والصفحة ان يكون مرائياً لعيناً فناناً في الرباء! هؤلاء الذين يقال لهم آيات الله العظام، هؤلاء فنانون في الدجل أئهم أولاد حرام، وأن يكونوا مقلّدين في ايران خصوصاً البازارات [المراكز التجارية الإيرانية] وعلى رأسها بازار مشهد وبازار تبريز وبازار أصفهان وبازار شیراز. هذه البازارات الرئيسية في إيران التي بإمكانها ان تلعب في موازين المرجعية بدرجة من الدرجات وخصوصاً بازار طهران! هذا كلام ليس وليد اليوم. هذه حكاية بعيدة تعود بنا الى زمن الصفويين، والى زمن القاجاريين، وبعده تاريخ معقد ومفصل.

إذن، هذه مواصفات مرجع التقليد من وجهة نظري؛ وهذه المواصفات إنما استنتجتها من خلال عملية إستقرائية لتاريخ مراجع الشيعة، ومن خلال تتبعي لتاريخ المرجعية منذ سنة ١٩٠١م وما قبل ١٩٠١م آثارهم ليست واصله الينا وفي زماننا هذا بتلك القوة، ولكن المرجعيات منذ تلك السنة والى الآن آثارها لا زالت قوية علينا، ولا زالت موجودة بيننا.

إما مواصفات المرجعية التي يريدّها صدام حسين فهي ترجع الى صفتين: الصفة الأولى: أن لا يكون من آل الحكيم، يعني في زمن وفاة الحكيم. والصفة الثانية: كانوا يتباحثون هذا الأمر في حياته في فترة مرضه، وصدام حسين كان يؤكد على هاتين الصفتين:

أولاً: أن لا يكون حكيماً.

ثانياً: ان يكون جباناً الى ابعد الحدود بحيث يخاف خوفاً ذريعاً من الشرطي الصغير يقول لهم فإذا صدر الأمر من القائد الكبير فإنه سيدعن سيكون عبداً او كلباً مطيعاً أو هذا بالضبط ما كان عليه الخوئي، ولذا كانت علاقة الخوئي مع صدام حسين ومع البعثيين كافة حسنةً على أحسن وجه. وأنّ صدام حسين كان يدلّل أولاد الخوئي وما كان يقال لنا أنّ صداماً يحاصره وأنّه يؤذيه كلّ هذا كذب وإفتراء كان يراعي أولاده وعند البعثيين كذلك، كانت هناك علاقات متينة جداً (٣٧) وهدايا وزيارات وليالي حمراء وووو....

من هنا، أقرأ عليكم من مذكرات أحمد الحسيني البغدادي في مواجهة الدين الآخر هذا الكتاب لأحد علماء النجف المعروفين ومن المغضوب عليهم في أجواء المرجعية السيستانية.

(٣٧) حتى وصل الامر منحهم جوازات دبلوماسية وهويات من مجلس قيادة الثورة بعدم التعرض لهم من الأمن والمخابرات (المؤلف).

الطبعة الثانية ٢٠١١ ميلادي، وهذه النسخة هي هدية من مكتب سماحة آية الله العظمى السيد أحمد الحسني البغدادي النجف الأشرف في الصفحة الثالثة والعشرين:

موقف

صدام من البغدادي والزهيري

إذن صدق ما قاله لي بالأمس القريب السيد إبراهيم الفاضلي صاحب تحرير مجلة العدل النجفية: إِنَّ صداماً يَكُنُّ الحقد الدفين للإمام المجاهد السيد البغدادي (٣٨)،

(٣٨) س: هنالك أنباء تنقل عنكم بأن وفاة سماحة الامام المجاهد السيد محمد الحسني البغدادي لم تحصل في ظروف عادية، بل كان للسلطة الحاكمة دور فيها مع أنه يوجد انطباع لدى البعض حينذاك بأن علاقة الإمام البغدادي مع «السلطة كانت أفضل» من علاقة السيد محسن الحكيم معها؟..

ج: في صَيِّف ١٩٧٠ أصابت السيد البغدادي وعكةٌ صحية، نقل على إثرها إلى مستشفى اليرموك في بغداد.. وبقي فيها قرابة شهر ونيف في غيبوبةٍ تارةً، ويقظةٍ تارةً أخرى.

وسبَّب هذا المرض العضال عزمنا على نقله إلى مستشفيات لندن.. وعلى هذا الأساس قدمنا طلباً إلى الجهات المختصة للحصول الرخصة بذلك، وبعد انتهاء المعاملة الأصولية والحصول على «الفيزا» غادرنا النجف الأشرف في الوقت المقرر متجهين إلى المطار الدولي، وبعد أن أُستقر بنا المقام في صالة الاستراحة قبل اقلاع الطائرة بساعةٍ ونصف صدرت الأوامر من ضابط أمن المطار بـ «المنع» لأسباب لا يمكن فهمها في تلك اللحظة الحرجة!..

وعلى إثر ذلك مباشرةً بعثنا وفداً برئاسة السيد حسام الدين الهادي الحسني إلى شبيب المالكي متصرف كربلاء المقدسة يستفسر عن الأسباب الرئيسية لمسألة المنع من المغادرة، بيد أن المالكي استغرب هذا النبأ المفاجئ، الذي لم يكن في الحسبان، وأعطى موعداً للاجتماع بـ «القيادة» ليستفسر عن ذلك.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد فوجئنا في اليوم التالي بزيارة المحافظ، وكان برفقته خير الله طلفاح، وفريق من الأطباء الاختصاصيين برئاسة الدكتور محسن العاني - الطبيب الخاص للرئيس العراقي أحمد حسن البكر (ت ١٩٨٢) - وبعد إجراء فحوص طبية دقيقة بادرنّا قائلاً: اطمئنا السيد لم يكن مصاباً بـ «مرض البروستات»، وإنما هو بحاجةٍ إلى إجراءٍ عمليةٍ جراحيةٍ بسيطةٍ في المجاري البولية، وبالفعل استجبنا لقوله وأدخلناه مستشفى مدينة الطب في بغداد، وأُجريت له العملية على ما يرام، وبعد سنةٍ ونيف عاد المرضُ إليه، ودخل مستشفيات بغداد، ويُسّ الأطباء ذوي الاختصاصات العلمية المختلفة.. بسبب تكلُّسات المجاري البولية، والمضاعفات الأخرى، التي أصابته نتيجة ذلك المرض المزمن.

وقد فكرنا مرّةً أخرى في أخذ الرخصة من الجهات المختصة لمغادرة القطر، فاجتمع السيد حسام الدين الهادي بالسيد عبد الرزاق الجبوبي محافظ كربلاء آنذاك، واقترح عليه فكرة التداوي في مستشفيات أوروبا، ورحب بفكرة المغادرة أحسن ترحيب، ووعدته بإنجاز المهمة بعد التشاور مع «القيادة»، وبالفعل زارنا، وقدم لنا الكتاب الرسمي بالمغادرة خارج القطر.

وفي صباح الخامس من تشرين الأول ١٩٧٢ ذهبنا إلى المطار الدولي، وفوجئنا مرّةً ثانيةً بالمنع من السفر، فكانت هذه المفاجأة في الحقيقة صدمةً في حياتنا!.. ورحتْ أتحدث في سري:

(الذي هو جد المؤلف) حينما اجتمعت معه في القصر الجمهوري (من الذي يتحدث ابراهيم الفاضلي) سألته: لماذا بعد صعود السيد الحكيم الى الملأ الأعلى أي بعد وفاته دعمتم مرجعية السيد الخوئي في الوقت الذي يوجد هناك مرجعان كبيران السيد البغدادي والسيد الخميني، وهما العدوان اللدودان لشاه ايران وخصوصاً أنتم تتعرضون لتحرشاته بشماعة شط العرب.

فأجابني صدام حسين: إنَّ الشيخ الخوئي (أهل السنة لا يقولون السيد يقول الشيخ الخوئي) فيه عيوب أربعة لا يمكن أن يتحرك من خلالها ضد الحزب والثورة!..

منها: إنه تركي لا فارسي، فالشاه ينظر إلى العنصر التركي بالدونية (وهذه معلومة صحيحة هؤلاء مخبرات يعلمون كل التفاصيل)(٣٩).

عجيب ألم يغادر قبلاً السيد محسن الحكيم «ت١٩٧٠»، وكانت بينه وبين حزب السلطة «مقاطعة»، بسبب اتهام ولده بالتجنس لصالح الولايات المتحدة الأميركية!!.. أنظر: في مواجهة الدين الآخر مذكرات أحمد الحسيني البغدادي نقد.. مواقف.. توقعات، ط: ٢٠١١م، ص: ٢٢ وما بعدها، مصدر سابق.

(٣٩) ومن هنا، نؤكد على صوابية هذا الرأي شتاء ١٩٨٥م حدثت وحشة قائمة بيني وبين الشيخ بشير حسين الباكستاني الملقب حالياً بـ«النجفي»، وحاول بكل الطرق الممكنة ان يلتقي بي ليقدم الاعتذار، بسبب مخالفة شرعية صدرت منه، و لو كانت هناك حكومة اسلامية مبسطة اليد لأقامت عليه الحد الشرعي لأجلها، وعلى اس هذا فقد قررت عدم اللقاء معه، ورفضت كل من توسط عندي من زملائه في الحوزة «الدينية»، الذين احترّمهم واقدّروهم، وبعد فترة زمنية ليست بطويلة، عثر عليّ صدفةً عند اخي السيد علي، عندما كنت زائراً له في حجرته في مدرسة الآخوند الوسطى.

وخاطبني باللهجة الشعبية العراقية، قائلاً: «انتم احفاد سمّاحة الامام البغدادي قدس الله سره سيف بلا أكراب»..

فقاطعته متسائلاً وناصحاً لوجه الله تعالى:

لماذا انت لا زلت تعيش في النجف قرابة عشرين عاماً؟

الا تعلم ان الايرانيين الفرس ينظرون للعربي والتركي بـ«الدونية»؟

وينعتون العنصر العربي في مجالسهم الخاصة بـ«نصف حمار»، والعنصر التركي بـ«حمار كامل»؟

فكيف بك يا ابا نصير وأنت من العنصر الهندي؟!

بم يا ترى يصفك هؤلاء العنصريون العصبويون؟

وهل تتصور ان الايرانيين يرشحوك «مرجعاً دينياً»، او «شاخصاً اسلامياً» في العراق؟

اذن، يا ابا نصير اقدم نصيحتي لك لوجه الله تعالى يجب عليك ان تغادر النجف فوراً، وتستقر في وطنك الأم بين اهلك وعارفي فضلك تنشر تعاليم الاسلام الحمدي الاصيل... اسوة بعلماء لبنانيين وسعوديين وبحرانيين، تركوا مدرسة النجف بعد انتهاء تحصيلهم العلمي، وهاجروا الى اوطانهم في سبيل نشر تعاليم اهل البيت الطاهر عليهم السلام.

اجابني هذا الرجل بالحرف الواحد:

«أن منصب المرجع الشيعي تاج من الله يضعه على من يشاء من عباده المكرمين؟!..».

ومنها: إنَّه يخاف من أقل واحد له صلة بالدولة (هو إشتراط عليهم أن يبحثوا عن أجبن شخصية في النجف) فكيف اذا التقى معه أعلى سُلَّم في القيادة (يشير الى نفسه وأمثاله).

ومنها: إنَّه لم يكن من ذرية النبي مُحمَّد (هذا معروف عند الإيرانيين وعند النجفيين من أنَّ الخوئي ليس هاشمياً هكذا كانوا يتندرون عليه مراجع النجف، ومن مراجع النجف الذين كانوا يتندرون عليه من قبيل السيد علي التبريزي الطباطبائي [وشقيقه] مُحمَّد جواد التبريزي الطباطبائي حينما يذكرون، فماذا يقولون؟ يقولون السيد أبو القاسم الخوئي ابن الشيخ علي أكبر الخوئي، لأنَّ أباه لم يكن هاشمياً. هكذا كان معروفاً بين الإيرانيين وبين النجفيين.

إنَّ حكاية تلك إمراة خوئية، فهي من مدينة (خوي) الإيرانية سكانها أترك مات زوجها وعند ولده اسمه علي أكبر ووالده لم يكن هاشمياً بعد موت زوجها كان علي أكبر صبيّاً تزوجت أمه رجلاً هاشمياً من السادة ورزق منها أولاد من صلبه، وكان يُلبس علي أكبر لأنَّه يراه كأولاده لأنَّه هو الذي قام بتربيته وكان صغيراً، وحينما تزوج أمه فكان يُلبس أولاده مع علي أكبر العمامة الخضراء، وعرف بين الناس هاشمياً من أنَّه السيد أبو القاسم الخوئي ابن الشيخ علي أكبر. وهناك فتاوى صدرت بأنَّه ليس هاشمياً [وفي طلعتهم الشهيد الصدر الثاني]، هذا الأمر كان معروفاً الى أن تسلم منصب المرجعية وأسكتت الاصوات من خلال دفع الأموال والتهديد من

فقلت وكان ردي عليه صارماً: الا يعني ذلك في نظرك القاصر ان الله تعالى وضع التيجان الذهبية على رؤوس الظلمة والطغاة من بني امية وبني العباس تعالى الله عن ذلك؟
الم يكن من العدل الالهي ان يضع هذه التيجان على رؤوس ائمة الهدى من آل مُحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم؟

ولكن، يا ابا نصير لا عيب فيما تزعمه، فالذي يكذب على رب العالمين، يكذب على انبيائه المقربين، ويكذب على الخبراء الاستراتيجيين المعاصرين، والكتاب المنظرين، الذين اكدوا في دفاترهم ان تنصيب المرجعية الشيعية في النجف وقم هي تاج من «العم سام» يضعه على رأس كل من لا يهتم بأمور الامة، وعلى كل من لا يريد الدولة الاسلامية العالمية الثانية، ولأضرب مثلاً يزيد الامر وضوحاً:

بعد احتلال العراق امريكياً، وبريطانياً، عام ٢٠٠٣ ميلادية نجد ان وسائل اعلام التحالف الدولي المقروءة والمسموعة والمرئية راحت تطبل بمفردة «المراجع الاربعة» (المتملة بالسيديين السيستاني والحكيم، والشيخين الفياض والنجفي)، بوصفهم رموز للمرجعية «الدينية» في العراق وما ذاك الا بسبب انهم كانوا متماهين لسياسات الولايات المتحدة الاميركية في العراق وفي المنطقة، هذا اولاً..

وثانياً: هنالك مراجع شيعية كبار اعلم واتقى منهم موجودين في الساحة النجفية والقمية، وهم مغيبون من هذا الاعلام الديماغوجي المشبوه، فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة، وان كنت تدري فالمصيبة اعظم. انظر: فقرة: «بشير النجفي اللغز الحير.. رباعي المرجعية»، في كتابنا: «ايران والعراق اسرار وقضايا»، ط: ١٤٤١ هـ - ٢٥ آذار ٢٠٢٠ م، دار إحياء تراث الإمام البغدادي - النجف، العراق، ص: ٦٧ وما بعدها.

البعثيين من أنَّ الذي يتحدث بهذا الموضوع من الإيرانيين ستسقط إقامته وعليه أن يخرج من العراق! فسكت الجميع وتعاونت سفارة الشاه [في بغداد] معهم في هذا الموضوع، وقالت للإيرانيين الذين يقيمون في العراق منذ عشرات السنين الذي يتحدث بهذا الموضوع لن تمنحه السفارة الإيرانية جواز السفر! فكيف يستطيعون البقاء في العراق فدفن هذا الموضوع.

[أما تسلسل] النسب المنشور في الموقع الإلكتروني الرسمي لمؤسسه الخوئي في لندن إنما هذا وضعه أولاده بعد موته ولو كان هذا النسب موجوداً [حقاً] لذكره في كتابه: [معجم] الرجال على طريقة العلماء، فهو في حينها ذكر شخصه في كتاب [معجم] الرجال وترجم نفسه ولن يذكر له نسباً، وإنما كتب: أبو القاسم الخوئي ابن السيد علي أكبر مثلما هو معروف بين الناس فأسكتت الأصوات التي كانت تتحدث بهذا الموضوع بالأموال وبالتخويف والتهديد حكاية مفصلة يشير لها صدام حسين).

ومنها: الطعن في سلوكياته الأخلاقية! وهذه العيوب لصالح مسيرتنا التقديمية التغييرية، بحيث يمكن تحجيمه في أي وقت إذا تحرك ضدنا، والشاه لا يتحمس له ولذا كان [الخوئي] يركض خلفه كالكلب وهو الذي طلب من الشاه أن يرسل له أحداً من خواصه وعلى «أساس» هذا أرسل الشاه زوجته اليه وفي اللقاء قدم لزوجته خاتم عقيق هدية لزوجها في سبيل حفظه وحمايته وحراسته ونُقش [على الخاتم] بخط أنيق: «يد الله فوق أيديهم» ودعا له على أعدائه واعداء الشاه كالحميني والبغدادي ومن معهما، وقال لزوجته: بلغني الشاه أنَّ عمائنا يشدها بفوهات بنادق جنوده وجيشه (٤٠) والشاه لم يطلب منه ذلك، ولكنه كلب يسعى خلف السلاطين.

(٤٠) يقول صاحب كتاب: «محنة الهروب من الواقع» ما يلي: من أنَّ السيد الخوئي قدّم خاتم العقيق الثمين جداً «لفرج ديبا» هدية لشاه إيران قال لها بالفارسي: «سلام مارا به اعلا حضرت برسان، وبگوکه ما دعا من کنیم: خدایا دشمن های شمارا هلاک کند» ترجمتها: بلغوا سلامنا الى حضرة الغلبا، وقولوا له دُعائي له أن يهلك الله اعداءه!». وقد عبر على مضض السيد الحميني من تصرف الخوئي على هذه المخالفات الهجينة! وعلى إثر هذا التأيد المطلق بعث الشاه رسالة شكر موجه للخوئي بالتزامن مع تصاعد الثورة الشعبية العارمة في ايران، ولقد ورد في إحدى الوثائق المدونة لحديثه رضوان الله عليه في هذا الشأن:

منذ صدر الإسلام وحتى الآن كان هناك طريقان أو خطان: الأول منهما هو خط الأشخاص الطالبين للراحة الذين كان همهم أن يجدوا شيئاً يأكلونه وينامون ومن كان مسلماً منهم كان يعبد الله، أما الأولوية لديهم فكانت الراحة. نعم لقد كان مثل هؤلاء الناس موجودين في صدر الإسلام، وعندما أراد سيد الشهداء سلام الله عليه ان يسافر سفره العظيم كان بعضهم ينصحه بنصيحه ويقول له: لماذا تريد السفر، أنت هنا آمن ومرتاح اجلس وأكل ونام؟ وبعضهم كان يصعب الامور عليه ويختلق المشاكل ويقول له: انت في مواجهة قوى كبيرة فلماذا تريد لبعض لقلة أن تنهض وتثور؟ لقد كان مثل هؤلاء الاشخاص بهذا الوضع والذين كانوا عندهم الراحة أولى الاشياء لديهم، وكانوا ينظرون الى الصلاة والصيام على أنه تكليف شرعي، يقومون به ومن ثم يجلسون في منازلهم ويفكرون ويتحدثون ويستغيثون بعض الاشخاص إذا كانوا من المنحرفين

ويلصقون التهم بالبعض في مجالسهم، هذا كان طريق البعض من الناس الذين كانت كل آمالهم تتركز على أن يستريحوا جيداً في الايام التي هم فيها ويجلسون في منازلهم يتعبدون، فقد لخصوا الإسلام في العبادة كالصلاة والصيام وغيرها من الفرائض، هذا كل ما كانوا يعرفونه عن الاسلام فلم يكونوا يملكون المعلومات الصحيحة عنه ولم يعطوه اهتمامه الذي يستحقه بل كل ما كانوا يفعلوه هو الجلوس في منازلهم والنظر الى الآخرين واقفال المشاكل لهم، في ذلك الوقت حين كانت النهضة في بدايتها قال احد أعيانهم البارزين بأنّ الايرانيين قد جنوا! نعم، قد أُصطلح على القيام في وجه مُجَدِّ رضا بجلوي والوقوف في وجه الظلم تعبير الجنون، وقد قال له ذلك التاجر الذي كان يجلس في منزله وسمع منه هذا الكلام.. ايها السيد إنّ بعض هؤلاء الناس الذين تتحدث عنهم (كذا وكذا) قد استشهدوا فاجابه: بأنهم فعلوا هذا لأنهم من الحمير لأن الانسان العاقل لا يذهب الى الشارع ليوقف أمام المدافع الرشاشة! وقد إتضح أمر هذا السيد المشهور حين خرجت إضرابته من جهاز السافاك وكشفت أنه بعث بخاتم عقيق كهديّة لسلامة مُجَدِّ رضا بجلوي حين كان شاباً يستشهدون في الشوارع، نعم، كانت فئة من هؤلاء الناس (كما عبر عنها امير المؤمنين عليه السلام) همهم علفهم كالحوانات التي همها علفها لتمتلي بطونها وتفضل شهواتها على كل شيء.. صحيفه الإمام (ترجمة عربية) روح الله الخميني، رهبر انقلاب وبنيا نكذار جمهوري، ايران، ناشر مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خميني (س) مكان چاب ايران - طهران ١٤٢٩هـ، ق، نوبت چاب: او/ الخطاب ٨ تير ١٣٦٠ش/ ٢٦ شعبان ١٤٠١هـ المكان طهران - حسينيّه جمران. الموضوع تكريم شخصية الشهيد بهشتي النضال والجهاد في مدرسة الاسلام - الحاضرون فئات الناس المختلفة، اعضاء الهيئة المركزية لجهاد البناء.

اما نص رسالة شاه ايران الى الخوئي فجاءت حسب وثيقة رسمية خاصة كالتالي:
حضرت آية الله العظمى السيد الحاج ابو القاسم الخوئي اتقن تأييد الله سبحانه وتحت العناية الخاصة لولي الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ان تكونوا بصحة وعافية.
وقد تشرفنا بتلقي خاتم من عقيق مكتوب عليه «يد الله فوق أيديهم» مما أوجب علينا الإمتنان والشكر، وكان ذلك بشارة كبرى لنا، ونشكر ربنا المتعالي وكل مؤيدي الحق أنّهُ كان طوال حياتنا وسلطتنا حافظاً وحامياً وموجهاً لنا طريق صيانة ونشر مذهب الحق الجعفري وأنّه سبحانه كان حامياً لبلادنا إيران وشعبها من سيئات الحوادث ونأمل إن يكون ذلك في المستقبل ان شاء الله. مرة أخرى ندعو الباري يحفظ وجودكم الشريف من اجل كل شيعة العالم خاصة شعب ايران آمليّن أن نحظى كما كنا دائماً بدعواتكم المباركة».

قصر يناوران بتاريخ الرابع من ذي ١٣٥٧ شمسي

مُجَدِّ رضا بجلوي

التاريخ الميلادي: ١٣٥٧/١٢/٢٤م، انظر الوثيقة رقم (٨)

سبحان الله!.. داخلني الأسف الأسف.. حين فوجئت (مؤخراً) بتصريح خطي منسوب الى الخوئي في تكذيب هدية خاتم العقيق المشهور للشاه بجلوي.
صحيح أن التاريخ القديم والحديث يكتبه مؤرخو السلطان والفقهاء اللذان يملكان القوة والثروة والجاه.. بيد أنّ هذا التصريح لم ينشر في أيام حياته ولم ينشر في أيام أنجاله، وانما عثرت عليه في عده مؤلفات ومواقع إيرانية.
إنّ التاريخ المدون لم يكن إلا لسيرة السلطان والفقهاء فقط وفقط، بحيث لا يوجد للناس العاديين في المدونات التاريخية!..

وفي غمرة هذا الشجب والاستنكار الذي عبّر عنه السيد الخميني على حشد من المؤمنين الذي استل هذه الاضرباء من ارشيف سافاك الشاه في صفحة مائتان وثمانية وتسعون (كما أشرنا فيما سبق) والرسائل المتبادلة فيما بينهما!..

ومنها: الشاه لا يتحمس [الحديث لصدام حسين] له ولا يدخل معنا في صراعات جانبية على حساب مصالحه في المنطقة (هذه الأمور جانبية لا ترتبط بالحوثي).

واما الشيخ البغدادي «فمتعصب» في تأييد ومساندة ممارسة طقوس الشعائر الحسينية، وتجمعات هذه المراسيم ليست لصالحنا.

إذن، لا بد حتماً أن تعرف بدءاً من عام ٢٠١٧ ميلادية أن كتبة «الصدفة» من خلال المؤلفات ووسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية غدت أدوات غسل الدماغ Brainwashing من العقول المنفعلة التي تتأثر بالعقل المجتمعي ومن أبرز هؤلاء النظائر، السيد علي نظري، والسيد فقيه إيماني، وصادق روحاني، و د. صفاء الدين طبريان، وبهاء الدين نوري، وعلي دواني، والسيد حسن نصر حفيد شيخ فضل الله نوري، وعبد الصاحب نجل السيد الخوئي... الخ.

وهؤلاء يؤكدون أن قضية إهداء الخاتم العقيق الشهير لا أساس لها واعتمدت على وثائق مزورة وروايات متناقضة وبطل هذا السيناريو الجعلي مهدي هاشمي صهر شيخ حسين منتظري الذي أعدم في زمن السيد الخميني بتهمة التجسس لصالح المخابرات الأجنبية.

ولكن يوجد الى جانب حديث الشيخ الغزي أدلة حسية قطعية الصدور ومتمثلة ببعض ما جاء: «المدعوم منذ نشأته من قبل عمه والد عقيلته آغا محمود الهندي، المستشار السياسي للسيد محمد كاظم اليزدي في حينها، كما تؤكد لنا كتب السير والتاريخ، والذي كان المقسم لـ«خيرية» شركة أوده الهندية - الانجليزية بالنجف! وعندما انتصرت ثورة الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠م أُلغى وثائق ومستمسكات مخبرانية سرية خطيرة، كانت بحوزته ورماها في إحدى آبار النجف. وبالتالي هرب الى الهند المحتلة مسقط رأسه خوفاً من القاء القبض عليه من قبل الثوار الدينيين الوطنيين وذلك بشهادة الشيخ المؤتمن عبد الحسين الأميني مؤسس مكتبة أمير المؤمنين العامة بالنجف الأشرف.

كان الهندي يغدق المال الوفير على صهره بسخاء، في نفس الوقت إعترض عليه شقيق الخوئي مستشكلاً ومعاتباً: لماذا تعين راتباً شهرياً قدره (٥٠٠) روبية في حين تعين لي (٢٠٠) روبية في الوقت الذي أنا أفضل منه وأكبر سنّاً؟ فأجابه: أنّ صهري هذا سيكون له مستقبل عظيم لزعامة «المرجعية الشيعية». وبالفعل تحققت أهداف وزارة المستعمرات البريطانية! وكانت أسوء مرجعية شعبية عاصرتها في حياتي لكونها حاملة للظواهر الشاذة القائمة على التخاذل والانحزامية والانتقائية والقارونية والعدمية ومماهاة سلطة شاه إيران الطاغية، وسلطة صدام حسين المجيد الدكتاتورية على حد سواء.. وبسببه سفرت قهراً الحوزات الدينية من العراق! بعد إستثناء جهازه الإداري (الحاشية) وحوزته المناقضة المشبوهة الموالية، وبسببه قتل السيد الشهيد محمد باقر الصدر ظلماً وعدواناً.. وبسببه هزمت إنتفاضة الخامس عشر من شعبان المجيدة لعدم إصدار فتوى صريحة لإسقاط النظام الصدامي، بل ذهب الى أبعد من ذلك في وصف الثوار الشرفاء الإشداء بـ«الغوغائيين»! ولن يشترك في دعم ثورة (بهمن) الإسلامية الإيرانية، بل حاربها، ووصف المظاهرين بـ«الحمير»، كما تحدث بذلك علي مفضل السيد الاستاذ المؤسس الخميني، ولا عجب من هذا التصريح اللا رسالي بما إنّا إنتفاضة أمة قد نهضت برمتها ضد نظام يضطهدنا، وبما إنّا توصلت الى نتيجة ناردة الى أبعد الساحات في القرن العشرين، وهي أنّ أمة بلا سلاح قد نهضت برمتها وقلبت بأيديها نظاماً سفاكياً وحشياً «شديد البأس»، احمد الحسيني البغدادي، في الثقافة الدينية اضاءات وتأملات تفسيرية جديدة، النجف - العراق، ط: الثانية، ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م المنقحة والمزيدة، ص: ٧٣ وما بعدها.

وأما الشيخ الخميني فيسعى لإسقاط الشاه وإقامة الدولة الدينية في إيران وهي خطر علينا وعلى الأمن القومي العربي بشكل عام (هذا الكلام أيام مرجعية الحكيم في مرضه الأخير الذي توفي فيه فإنَّ صداماً كان يتحدث عن نقطتين: إن المرجع القادم لابد أن لا يكون حكيماً ولا بد أن يكون جباناً، فوقع الاختيار الدقيق على الخوئي مع أنَّ المعلومات عنه ليست هامشية بل كانت موجودة عند صدام حسين وموجودة كذلك في جهاز المخابرات، لأنَّ الأمر كان شائعاً في النجف و...؛ وهذه الحكاية مفصلة (٤١).

إنَّ حديث الشيخ الغزي يختصر ازمة قيادة المرجعية «الدينية» بشكل مكثف ودقيق ويعطي أسباب ونتائج خطورة ترشيح المرجعية الخضوعية الاستسلامية.

الكلية الأخيرة

وعودٌ على بدء، بات المرجع اللاعربي الذي لا يتدخل في السياسة هو المطلوب من قبل الحكومة، لأنه استطاع أن يوجد الحل لها، أمَّا المرجع العربي الذي يؤمن بالسياسة فهو المستهدف من هذه الحكومة لأن هاجس الخالصي الكبير - الوطني العنيد - بقي في العقل الباطني لها، فيما هو بالضرورة سيكون منافساً للزعامات الخضوعية للسلطة.

والغريب أن «إيرانية المرجع» الأعلى التي أفرزت هكذا واقع والتي وضحت أن المرجع الإيراني سيبقى دائماً مقيداً أمام السلطة العراقية ومهدداً بالتهجير. الغريب أن هذه القضية أهملت في الوعي العراقي العام، ولم يصبر إلى محاولة تصحيحها في أي من الفترات اللاحقة ولم تتحول إلى ثقافة تاريخية في العقل العراقي العام أو العقل الحركي، إذ بعد مرور ما يقارب السبعين عاماً يتجه العراقيون إلى المرجع الأعلى الإيراني (السيد الخوئي) لتخليصهم من السلطة، ولم يضعوا في حساباتهم هذه القيود التاريخية المرتبطة بإيرانية المرجع أو أفغانيته أو تركيته والفارضة عدم تدخله بالسياسة إلا بالشكل الخضوعي للسلطة.

وبينما كانت هذه المعادلة هي الحاكمة إلى حد ما بإدارة العمل الإسلامي في العراق من قبل السلطة وتحولت إلى ورقة وأداة خطيرة بيدها، نجد أنَّ العمل الإسلامي في إيران لم يخضع إلى هكذا معادلة، الأمر الذي أضعف من مناورات السلطة الإيرانية إزاءه ودفع بها إلى التفتيش عن أوراق أخرى حتى اضطرت في فترة

(٤١) عبد الحليم الغزي، حديث الساعة، حديث زهراني، حلقة: ٢٣ دين القرد، جزء ١٠ على موقع قناة القمر الفضائية.

من الفترات أن تستعين بالعراق كورقة أو أداة ضاغطة بوجه العمل الإسلامي في إيران (٤٢).

وبهذا تكون الورقة الأولى ورقة المرجعية الإيرانية في العراق جرت وبالا آخرها عليه، وهو وبال اللجوء إلى هذه المرجعية وتعزيزها وتدعيمها على أنها المرجعية الأصل كلما دعت ظروف السلطة الإيرانية الداخلية إلى ذلك.

وبهذه ننتهي إلى نتيجة قاسية أخرى من نتائج هذا الواقع، وهي ان المرجعية الإيرانية في العراق ليست مطلوبة من السلطة العراقية فقط، بل من السلطة الإيرانية أيضاً في كثير من الأوقات، الأمر الذي أعطى هذه المرجعية غالباً «حصانة» السلطتين العراقية والإيرانية، لأنها - حسب ما سيتضح لاحقاً - مرجعية خضوعية للسلطة، لا تتدخل في السياسة، فاستمدت قوتها في العراق من هذه «الحصانة» وباتت قادرة على أن تدحر الخط التجديدي داخل المؤسسة الدينية على خلاف ما حصل في إيران.

وهذا التداخل على الأرض وفي النتائج حدا بنا إلى أن نقرأ مسار العمل الإسلامي في العراق على ضوء تجربة العمل الإسلامي في إيران، إذ إن هذه القراءة يسوغها التداخل المذكور بشكل كبير (٤٣).

ومن هنا، يتزايد بيّ الألم حيث أرى انتقائية صدام حسين في مساندة مرجعية الخوئي البريطانية - الإيرانية!..

(٤٢) عادل رؤوف، (عراق بلا قيادة)، ص ٥٠، مصدر سابق.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥١، إننا بالتأكيد لا نعني فيما تقدم بـ «إيرانية أو أفغانية أو تركية المرجعية» هو العودة إلى أصولها الانتمائية لهذه البلدان، حتى ولو كان تاريخ مجيئ عوائلها الى العراق قبل ٤٠٠ او ٣٠٠ او ٢٠٠ عام مثلاً.. قطعاً إننا لا نعني ذلك بقدر ما نعني بـ «المرجع العربي» هو الذي يتحدث العربية بطلاقة، ويتصدى للشأن السياسي والاجتماعي العراقي العام، ويحسب على الخط التجديدي - الثوري، فمثل هذه «المرجعيات» لا يمكن رميها على أصول عوائلها القادمة إلى العراق منذ فترات بعيدة، ولا يمكن اعتبارها «مراجع» غير عراقية، وغير عربية، وإلا وفق أي اعتبار آخر سندخل في إطار «العنصريات» المرفوضة إسلامياً، وسندخل في جدل عقيم، حيث أن ما وصفناه بـ «الخالصي العربي العنيد» بالإمكان توصيفه من قبل البعض على أن أسرته هي الأخرى «إيرانية الأصل»، ويرتكز هذا البعض على وثائق خطية مثلاً في إثبات ذلك.. إن هذا الاعتبار مرفوض قطعاً، ولا يمكن العودة بأصول الناس «الوطنية» إلى ما قبل مئات السنين. انبياء واصنام، ص: ١٠٨، مصدر سابق.

غربة مهجد باقر الصدر ورهان «العسى التوريطية» الحكيم - الإبن

من هنا، نقول بمنتهى الصراحة سيبقى الصدر في ضياع هذا «الممكن» وحيداً، ولذلك كان الوحيد أيضاً، الذي ثارت ثائرته إزاء اتهام مهدي الحكيم بالتجسس (٤٤)، مع معرفته بكل ما يعرفه الإمامين السيد الخميني والسيد البغدادي... والسبب المركزي الذي دفع الشهيد الصدر الأول للتحرك، وثم السفر إلى لبنان بغية الدفاع عن «مقام المرجعية»، والوقوف بوجه الاتهام المذكور.. السبب إن ما دفع الشهيد الصدر الأول لذلك، هو رهانه على «عسى توريطية» للحكيم في تجاوز عقدة التردد... [بمعنى أنَّ الصدر شخص مرجعية الحكيم ذات دور إصلاحي محدود وذات سياسة مطلبية ومتردة] فإذا ما أضيف لحضور الأمة آنذاك، محاولة تحشيد دعم خارجي تشجيعي لمحسن الحكيم... ف «لعل في هذا الدعم الخارجي إذا ما أضيف إلى استعداد الأمة أن يعالج عقدة التردد الحكيمية»، وأن يعطيه جرعة من الشجاعة المطلوبة لاستثمار الموقف، ووضع حد لمجهولات خطيرة قادمة على العراق كله إذا ما استسلم الحكيم لتردده. إن الشهيد مُجد باقر الصدر الشاب، الذي لم يكن «مرجعاً» آنذاك، ولم يفكر بـ«المرجعية» لم ينتصر لشخص السيد محسن الحكيم الذي عزله وأدخله «سجن الحوزة التقليدية» وأوقف مشروعه الفكري . المعرفي، وتركه قدراً لسهام شاهنشاهية مسمومة.. إلا أنه يبقى في أسوأ الظروف يجازف في حياته من أجل «عسى» إسلامية، سيكون هو ضحيتها كشخص في نهاية المطاف.. وهو كان مشروع كضحية مفتوح لكل مرارات وقرارات هذه «الحوزة» إزاءه.. وفي كل مرة يكون فيها ضحية يتعالى على جراحه بجرأة ومجازفة، ويضع حياته على مذبح الـ «العسى» الإسلامية، في مؤشرات متكررة تؤكد رسائله التي كتبها بخط يده لتدلل على نمط شخصيته الرسالية الفريدة في استعدادها للموت على حياة يرى فيها راية الإسلام ممزقة أشلاءً، ودين مُجد (ص) قد تحول إلى أديان، وكأنه أصبح يعيش مقولة الإمام الحسين الخالدة في الواقعة الكربلائية «والله أني لا أرى الموت إلا سعادة، وما الحياة مع الظالمين إلا برماً»، ففضلاً عن أنماط الظلم اللامتشابهة والمقصودة وغير المقصودة، التي واجهته واستهدفته وحاصرت مشروعه، فإنه كان يعيش بحر الظلم البشري العراقي والعالمي وجعاً حاداً يدفع به ربما إلى تطبيق هذه المقولة، فاتحاً عينيه على «فرصتها»، كفرصة «الموت الإلهي» أو الاستشهاد لم تكن على الدوام متاحة للمتقين العارفين كالشهاد مُجد باقر الصدر. وانطلاقاً من همه العالي بالإسلام هذا، نكرر القول بأن الشهيد الصدر الأول كان يعرف واقع «الحوزة» جيداً، ويعرف انها

(٤٤) انظر بتوسع فقرة: «عمالة مهدي الحكيم مناظرات متجزأة.. وصراعات «حوزوية» الأسباب الشارحة المغيبة البغدادي وجاسوسية مهدي الحكيم» في كتابنا: «إيران والعراق اسرار وقضايا»، ص: ١٥ وما بعدها، مصدر سابق.

«حوزة» مخترفة، ولذا كأن لسان حاله يقول للجميع: «خذوا ما تريدون من شهادات بأنكم «الأعلم» و«الأتقي» وبأنكم . العمائم الحركية . «مجاهدون» و«قادة» ولكن دعوني أملأ الفراغ... هكذا عاش «الحوزة» قبل تصديه لـ «المرجعية».

التصدي بالعنوان الطولي

وبعد هذا التصدي فالصدر كان مستعداً لأن يعطي «صك اعتراف بأعلمية الخوئي» ويغض النظر عن تهديدات حاشيته وأولاده له، لكي يطمئنه بأن «تصديه» لا يهدف الى موقع «مرجعية عليا».. بل يهدف الى ملأ الفراغ الذي تركوه!!! إن المكون الثوري - الإسلامي لنمط شخصيته، والممزوج بالمكون المعرفي العالي، ونكران الذات كظاهرة غريبة، والظاهرة الأخلاقية العالية، واحتضانه لهذا الإسلام همماً دائماً في كل لحظة من لحظات حياته تجعل منه بالفعل نموذجاً فريداً مبالاً على الدوام لتفضيل خيار الاستشهاد على خيار معايشة الشذوذ باسم الإسلام. لذا فإنه كان على الدوام باحثاً عن «موت فعال» متمنياً إياه بشغف يسطر مصاديقه كلمات، ويخطو إليه خطوات، ويبحث عنه باستشارات، ويترجمه فعلاً ملحمياً بثبات، لأنه سطر كلماته عبر رسائله المبكرة المكتوبة بخط يده، وهو في بعض ما جاء في إحدى رسائله كان يقول:

أكتب إليكم أيها العزيز هذه السطور بعد انقطاع طويل نشأ الجزء الأكبر منه من عدم تهيؤ الرسول في الظروف المناسبة ونشأ الجزء الآخر منه من عارض صحي، عرض لي وألزميني الفراش ثلاثة أسابيع، إذ ابتليت بأعراض اشتبه بعض الأطباء في أن تكون إرهابات ذبحة قلبية أو كشيء من هذا القبيل وعلى هذا الأساس ألزمني بالراحة المطلقة مدة ثلاثة أسابيع خوفاً من تكرار تلك الأعراض وهكذا قضيت هذه الأسابيع الثلاث التي انتهت قبل يومين كالأسير، وكثيراً ما كنت أفكر فيك وكثيراً ما كنت أحس بأن من العزيز عليّ أن استقبل الموت وبعض أحبتي بعيد عني. وعلى أي حال، فقد انتهت هذه الأسابيع الثلاث قبل يومين وخلف هذا العارض تبعة ثقيلة على نفسي، وهي وصايا بعض الأطباء بأن أبرمج وضعي الحياتي بشكل متكلف، وبخيل لي أن من الشاق أو الغريب أن يتكلف الإنسان من أجل أن يزيد في حياته التي قدر له أن يعيشها في خضم الحزن والآلام، وقد كان الموت يبدو لي دائماً أيها العزيز خلال هذه الفترة شيئاً مريحاً ومحبيلاً إلى حد ما، لأنه مريح كما يرتاح التلميذ حين ينتهي الامتحان ويذهب لأخذ درجاته، ولكنه في نفس الوقت يعبر عن درجة من المرارة والخيبة كما يشعر التلميذ بالمرارة والخيبة حين يقدر له أن يقصر.... الخ.

إن خسارة «الحوزة» النجفية للشهيد محمد باقر الصدر سيفضح أسرارها على المكشوف أمام الشعب العراقي، انفجار الشهيد الصدر الثاني، الذي سيفتح عهده

ملف الأصل القومي لـ «المرجعية»، بعد أن فقدت «الحوزة» النجفية كل «مراجعها» العربية، وسيكون هو والصدر الأول «ضحيتي الحوزتين» معاً، وستتكرر المسيحة من جديد ويقع العراق في أزمة سلطة «المرجعية» اللاعربية الأميركية الولاء والانتماء في ظل احتلاله، وتبقى «الحوزة» مشروعاً مفتوحاً على طريق الفناء الذي توقعه الصدر الأول لها، ولكن وقبل أن تنتقل إلى الفقرة الأخيرة في هذا الفصل، لابد من إنجاز محنة الشهيد محمد باقر الصدر وفق ما تقدم كله بما يلي:

أولاً: إن الشهيد الصدر الأول عاش حياته محاصراً بين نظامين، هما نظام صدام - البكر، ونظام شاه إيران الذي لا يريد هو الآخر «مرجعية» عربية على طراز الصدر الأول.

ثانياً: وإن الصدر الأول عاش حياته بين قساوة الأنظمة العراقية، وقساوة «الحوزة» النجفية.

ثالثاً: عاش ثنائية حصارية ثلاثة تمثلت بمرارة حياته بين دكتاتورية محسن الحكيم ودكتاتورية الخوئي فضلاً عن ثنائية الحصار الأول وثنائية الحصار الثاني.

رابعاً: مفارقات «القدر» وضعته ضحية لموقعين «مرجعين» خصمين، هما موقع «الحكيم - الأب» وموقع «الإمام الخميني» الذي كانت «حاشيته» بأغلبيتها تصنفه «حكيمياً وأميركياً».

خامساً: كما إن مفارقات القدر أيضاً وضعته في ثنائية حصارية أخرى، مثل طرفاها، حزب الدعوة الإسلامية بزعامة العسكري وبخطه الشاتم له باستثناء، بعض اقطاب المعارضة الإيرانية المقيمة في العراق آنذاك، وخطها المتهم إياه بـ«الحكيمية والأميركية».

سادساً: وتأني ثنائية الطعن به التي استغرقنا فيها في هذا الفصل عبر الشامتين به من خصوم الظاهرة الحكيمية، والشامتين له من بعض أعضاء حزب الدعوة الإسلامية.

سابعاً: ختم حياته بثنائية حصارية مرة وقاسية بين السلطة الصدامية، ودولة إيران الثورية الخمينية التي كان موقفها منه موقفاً «النباسياً» بناءً على خلفيات العلاقة التاريخية الاشتباكية لرموز «الحوزتين» القيمة والنجفية (٤٥).

(٤٥) أنبياء واصنام، ص: ١٧٣ وما بعدها، مصدر سابق.

مرجعية الخوئي خضوعية للسلطة

بعد وفاة السيد الحكيم طرح اسم السيد الخميني للمرجعية في مجلس السيد الصدر الاستشاري، ولم يقع الاختيار عليه لأسباب موضوعية تفهمها تماماً السيد احمد الخميني وقال إن السيد الصدر محق في ما أقدم عليه، خلافاً لبعض الأصحاب الذين ساءهم ذلك (انظر أحداث سنة ١٣٩٠). وسنة ١٣٩١ هـ. وعندما تصاعدت وتيرة التسفيرات في ظل غياب السيد الخوئي فكر السيد الصدر في تنفيذ عملية استشهادية، لجأ إلى السيد الخميني ليأخذ رأيه في الموضوع (انظر أحداث سنة ١٣٩١). وسنة ١٣٩٢ هـ. وعندما وجد السيد الصدر أن مرجعية السيد الخوئي لا تفي بحاجات الساحة، فكر في دعم مرجعية السيد الخميني، ولكن الفكرة لم تلق دعم وتأييد أصحابه (انظر أحداث سنة ١٣٩٢ هـ). ولا يبدو لي أن السيد الخميني كان يستحضر السيد الصدر، لأمرين: لخصوصية في طبيعة السيد الخميني إتجاه استحضار الأشخاص، ولأن السيد الصدر كان بالنسبة له شخصاً عادياً في تلك المرحلة على ما يبدو، خاصة أن السيد الخميني . وكما قلنا . لم يكن يتدخل في الجو النجفي إلا بمقدار الضرورة. ومهما يكن من أمر، فقد بقيت الحال على ما هي عليه إلى حين انتقال السيد الخميني إلى فرنسا، حيث تكشفت للسيد الصدر خيوط المعادلة الجديدة، التي تنتظرها المنطقة، فأعلن تأييده بشكل واضح وصارخ لا يقبل الشك. وسيظهر إن شاء الله تعالى في أحداث سنة ١٣٩٩ هـ أن السيد الصدر بادر إلى كتابة رسالة مفتوحة إلى الشعب الإيراني في أواسط محرم / ١٣٩٩ هـ وأملاها هاتفاً على بيت السيد الخميني في باريس في ٥ / صفر بعد أن طلب السيد عباس خاتم يزدي إضافة اسم السيد الخميني إليها. وقد طلب السيد الصدر في حينها ترجمة الرسالة وتوزيعها في إيران. وقبل انتصار الثورة أيضاً كتب السيد الصدر بتاريخ ٤ / ٢ / ١٩٧٩ م رسالة إلى السيد الخميني يبارك له تلك الانتصارات، التي تحققت حتى ذلك اليوم. وفي الوقت نفسه وبتاريخ ٣ / ٢ / ١٩٧٩ م بادر إلى كتابة «لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية»، ثم أعلن بعد انتصارها عن استعداده للقيام بأي شيء يطلب منه، ولم يمانع . وهو في أوج مرجعيته . أن يكون وكيلاً للسيد الخميني أو مبلغاً في قرية نائية من قرى إيران، بل وأكثر من ذلك مما تجده مفصلاً إن شاء الله تعالى ضمن أحداث سنة ١٣٩٩ هـ.

وقبل الحديث عن العلاقة بين أصحاب كل منهما، نشير إلى ما نقله الشيخ محمد إبراهيم الأنصاري من أنه كان مع مجموعة من الإيرانيين في مدرسة (قائم) قريباً من حسينية (جران) مقر السيد الخميني، فاتصل آقاي رسولي من مكتب السيد الخميني وأراد من الحضور الذهاب لزيارة السيد محمد باقر الحكيم، الذي وصل لئله إلى إيران، فعلق أحد الحاضرين: «كنتم تقولون لنا: إن السيد محمد باقر يعمل في (سي.آي.إي) (C.I.A) والآن تشيرون وتأمرون بزيارته» (محمد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكر خلاق: ١٩٤، نقلاً عن الشيخ الأنصاري). ويصرح الشيخ «علي» آل إسحاق بان

بعض الأشخاص من جماعة السيد الخميني كانوا يقفون من السيد الصدر موقفا سلبيا، ولم يكن يرى سببا لذلك، وكانوا يضابقونه - أي آل إسحاق - بسبب ارتباطه العاطفي بالسيد الصدر، رغم التحاقه بدرس السيد الخميني وانقطاعه عن درس السيد الصدر بعد وصول السيد الخميني إلى النجف، كما أن مجموعة من طلاب السيد الصدر كانوا يشيعون بين العشائر أن السيد الخميني ضد السيد محسن الحكيم (مقابلة مع الشيخ (علي) آل إسحاق). أما بالنسبة إلى الموقف من السيد الصدر، فالذي يبدو من خلال جمع كثير مما تتناقله الألسن ويرتسم على الشفاه هو أن أصحاب السيد الخميني يتوزعون على ثلاثة أقسام بالنسبة إلى ذلك:

١ - قسم يعتبر السيد الصدر - وبحسب تعبيره - من «لا نعلم منهم إلا خيرا» (انظر: خاطرات حجت إسلام ومسلمين عميد زنجاني (فارسي) ١٤٢ - ١٤٤) بل ربما كان بعضهم متفاعلا معه ومتفهما وضعه.

٢ - وقسم يعتبره - وبحسب تعبيره - استبصر في الفترة الأخيرة، ولكن في وقت متأخر جدا (انظر: خاطرات آيت الله خاتم يزدي (فارسي) ١٨٨ - ١٨٩).

٣ - وقسم كان شديد الحساسية تجاهه، بل كان بعضهم يتهمه بالعمالة للأميركا والامبريالية كما مر ويمر في الكتاب. وأحسب أن الشرارة الأكثر وضوحا لهذا الخلاف قد اندلعت بعد إعلان السيد الصدر عن أعلمية السيد الخوئي بعد وفاة السيد الحكيم، وهو ما أكدته لي لاحقا الشيخ محمد رضا النعماني (انظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ). وفي المقابل كان بعض أصحاب السيد الصدر بين محصل حركة السيد الخميني وبين متهم بعض أطرافها بأنها شيوعية، نتيجة الجو العام المخيم على بعض أنصاره، الذين كانوا يردون إلى النجف لزيارته، فلم تكن بنظرهم حركة دينية بالمعنى الذي يرونه، لأنها تجمع تحت عباءتها مختلف الأطياف السياسية المخالفة للشاه حتى الشيوعيين، وقد تقدم الحديث عن بعض النماذج المتأثرة بـ«تشي غيفارا». ونتيجة هذه الحساسيات، فقد كان كل من الفريقين يفسر أي موقف صادر ضمن هذا السياق، ولهذا اعتبر بعض أصحاب السيد الخميني إرسال السيد الصدر السيد محمود الهاشمي إلى درس «الحكومة الإسلامية» وكثرة الإشكالات، التي كان يطرحها في المجلس، اعتبروه محاولة من السيد الصدر لتخريب الدرس على ما خبرته من أحد المشايخ، ولم يعتبروا هذه الخطوة دعماً وتأييداً من السيد الصدر كما يتفق عليه أصحاب الأخير.

وعلى أية حال، فقد ظلت هذه النظرة مخيمة عند أصحاب السيد الصدر حتى الأيام الأولى للثورة، ولهذا طلبوا من السيد الصدر التريث في دعم السيد الخميني لأن حركته غير واضحة، ولأن للشيوعيين حضورا واضحا فيها. ولكن السيد الصدر تحرر

من رؤية أصحابه ليعلم بشكل صارخ لا يقبل الشك عن تأييده المطلق للسيد الخميني، ومن هنا يعزو البعض سبب تأخر السيد الصدر في دعم السيد الخميني بالشكل المطلوب - وإن لم نؤمن بأنه تأخر - إلى الصورة السلبية التي كان قد رسمها له أصحابه. وبعد ذلك اقترح بعضهم أن يقدموا اعترافهم لأصحاب السيد الخميني بأنهم كانوا مخطئين (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ). « هنا لم يتوقف الباحث عند الفوارق بين فريقَي الشهيد الصدر، والإمام الخميني، ففيما أن فريقَ الثاني كان على درجة معقولة من الكفاءة والإخلاص والمعرفة، ولم يكن للشهيد الصدر فريق، بل كان وحيداً وعاش وحيداً، وأراد بكل ما أوتي من قوة أن يؤسس فريقاً يتسم بمواصفات فريق الإمام الخميني فلم يستطع، وفريقه الذي اعدم قبله من الوكلاء إذ لم يكونوا إلا ثواراً فقدهم، فبقي وحيداً حتى استشهاده.

ومهما يكن، فإن الباحث يواصل كلامه حول الشهيد الصدر قائلاً: إلا أن أصحاب السيد الخميني اعتبروا هذه الخطوة متأخرة، ولم تكن لتشفع للسيد الصدر في تنظيف ملفه، فلم يرتبوا أثراً على الرسالة المفتوحة، التي أرسلها إلى باريس، وعاتبوه على عدم تفاعله مع الثورة حتى بعد مسارعته إلى كتابة «لمحة فقهية تمهيدية» قبيل انتصار الثورة بأيام. وقد بقي موقفهم منه على حاله، حتى قيل إن بعضهم لعب دوراً سلبياً في ما يتعلق ببرقية السيد الخميني إليه، والتي قلبت الموازين السياسية في العراق. وما زال هذا الموقف سائداً عند بعضهم، حتى أدى دوراً في منع تداول كتاب «دروس في علم الأصول» في الحوزة الإيرانية (إن صح التعبير عن الحوزة بذلك). ولا أخفي قارئِي الكريم ميلي إلى أن حجة عدم نظافة السيد الصدر لدى أصحاب السيد الخميني أدّى دوراً في بقاءه في منزله أيام الحجز وعدم وجود محاولة معتد بها تذكر، سوى محاولة محمود دعائي زيارته كما يأتيك (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).

وقد ذكر لي السيد جعفر كريمي بتاريخ ١ / ١٢ / ٢٠٠٤م، أن ما يشاع حول العلاقة بين السيد الخميني والسيد الصدر من أن الأخير دعا إلى الالتفاف حول الأول ليس بصحيح، ولم يكن بينهما علاقة، ثم قال: إن ما لدي لا ينفعك، فقلت: إني لا أبحث عما يصب في صالح السيد الصدر، بل استوضح ما جرى وإن لم يكن كذلك، فاعتذر عن الحديث، وقد بدا لي أن فتح موضوع السيد الصدر قد أزعجه بشدة. وهنا أعلق أن الأخبار الدالة على أن السيد الصدر دعا إلى الالتفاف حول السيد الخميني لو كانت منقولة عن مريدي السيد الصدر المؤيدين للسيد الصدر فحسب، لصار هناك مجال للتشكيك بها، ولكن يوجد إلى جانب هذه الأخبار أدلة حسية قطعية الصدور متمثلة ببعض ما جاء بخط السيد الصدر تارة في كتابه «الإسلام يقود الحياة»، وأخرى في رسائله الخطية، وثالثة بصوته، وهذه الأمور لا يمكن نفيها أو التشكيك بصحتها (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ). يبقى أن أوضح بعض ما يتعلق بما ذكره بعض أصحاب السيد الخميني من أن السيد الصدر تأخر

جدا في تأييده للسيد الخميني (انظر: خاطرات آيت الله خاتم يزدي (فارسي): ١٨٩)، فإن النصوص الواضحة والمؤرخة تظهر خلاف ذلك تماما:

١ - ففي وسط محرم/١٣٩٩ هـ ١٦/١٢/١٩٧٨ م كتب السيد الصدر رسالته المشهورة إلى الشعب الإيراني.

٢ - وفي ٥/صفر/١٣٩٩ هـ (٤/١/١٩٧٩ م) أملاها هاتفيا على بيت السيد الخميني، ووضعها تحت تصرفهم ليتم ترجمتها ونشرها.

٣ - وبعد أن وصل الإمام الخميني إلى طهران في ١ / ٢ / ١٩٧٩ م سارع السيد الصدر إلى كتابة (لمحة فقهية تمهيدية) لأن قادة إيران منشغلون في إرساء أمور الدولة، وقد فرغ منه في ٣ / ٢ / ١٩٧٩ م (٨ أيام قبل انتصار الثورة)، وأرسله إلى إيران بتاريخ ٢٤ / ٢ / ١٩٧٩ م (١٣ يوماً بعد انتصار الثورة).

٤ - وفي ٤ / ٢ / ١٩٧٩ م أرسل السيد الصدر للسيد الخميني رسالة يبارك له فيها الانتصارات، التي تحققت في تلك الفترة.

٥ - وبعد انتصار الثورة أرسل السيد محمد المهري لبيارك للسيد الخميني انتصار الثورة، وقد التقى به في ٥ / ٣ / ١٩٧٩ م.

٦ - وبعد تعيين المهندس بازركان أبرق السيد الصدر إلى السيد الخميني برقيتين.

٧ - وبعد انتقال السيد الخميني إلى قم ابرق إليه برقية. ويبدو أن بعض هذه البرقيات لم تكن تصل، ولكن بعضها كان يصل قطعاً. ومن خلال بعض الرسائل يظهر أن بيت السيد الخميني لم يرتب أي أثر على رسالة السيد الصدر إلى الشعب الإيراني، ولم يترجمها، ولم تنشر إلا بتاريخ ١٧/٦/١٩٧٩ م، أي بعد خمسة أشهر ونصف من إملائها، وبعد يومين من فرض الحجز على السيد الصدر في بيته. كما لم تؤخذ «اللمحة الفقهية» بعين الاعتبار، بل أظهر السيد حسين الخميني عتبه على أستاذه السيد الصدر لـ«تباطئه» في التفاعل مع الثورة «وإن كان الكثيرون على اعتقاد بأن الدستور الإيراني قد استند إلى اللمحة ولكن دون ذكر اسم الصدر». وفي رسالته إلى السيد مرتضى مستجابي، يظهر السيد الصدر شيئاً من عدم ارتياحه إزاء عدم المبالاة، التي يلقاها من قبل بيت السيد الخميني، ولكنه يؤكد على ضرورة تجاوز ذلك لأن الكيان الديني في خطر (انظر أحداث سنة ١٣٩٩ هـ). هذا إضافة إلى شيء من عدم الارتياح لمسته من بعض أصحاب السيد الصدر إزاء عدم تلقي السيد الصدر جواباً عن البرقيات، التي كان يرسلها، مع أن «البروتوكول» يقضي بإرسال الجواب على أقل تقدير، في حين لم

يستلم السيد الصدر أي رد على أية برقية أرسلها للتهنئة بانتصار الجمهورية
الفتية.

وخلاصة ما تقدم هو أن السيد الصدر كان يكن للسيد الخميني أسمى معاني
الاحترام والولاء، كما سيتأكد لك مفصلاً ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ، وأن
شخص السيد الخميني كان يدرك خروج السيد الصدر عن جو النجف عموماً، وكان
يطمئن كثيراً إلى عمله وإلى إخلاصه لمشروع الجمهورية الإسلامية، ولذلك طلب منه
أن يكتب أطروحات تعالج المشكلات، التي تواجهها الدولة الفتية على ما سيظهر
لك ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ أيضاً. ولكن السيد الصدر كان محسوباً لدى
أصحاب السيد الخميني على الجو النجفي في علاقته مع السيد الخميني، في حين أن
الأمر ليس كذلك قطعاً كما افترض أن يكون قد ظهر للقارئ. وفي الوقت نفسه كان
الجو النجفي يصنف السيد الصدر على أنه في اتجاه حركة السيد الخميني، ولذلك
ترك السيد محمد باقر الحكيم درس السيد الصدر لفترة طويلة بسبب تردده في أن عليه
تبني خط السيد الصدر أم خط والده (انظر أحداث سنة ١٣٨٤هـ) ولهذا أيضاً نجد
أن السيد جمال الدين الخوئي عاتب مدير أمن النجف بأنهم إلى متى ينتظرون بالسيد
الصدر، وهل ينتظرون ليصبح خمينياً آخر في العراق؟! (انظر أحداث سنة ١٣٩٥هـ)
وهذا يعني أنه كان مصنفاً لديهم على اتجاه السيد الخميني أو الحركة الثورية» المصدر
نفسه ص ٥٠. ٥٢. بتصرف.

نقول برحيل الشهيد الصدر الأول إلى الملكوت الأعلى، سارت الحوزتان
باتجاههما «الثوري» و«الأميركي» اللامعلن تقريباً.. إلا أن الظاهرة «الحكيمة» التي
التحقت بإيران الثورية مرغمة أو «هاربة» وطامحة نحو الزعامة، ستصل بها الحال في
نهاية المطاف أن «تطعن» بالخميني ما بين السطور وهي مقيمة في إيران، وأن تمهد
من جديد للعودة إلى أصلها الأميركي، لنجد أنفسنا فيما بعد أمام حوزتين «حوزة
ثورية» و«حوزة أميركية» بامتياز بعد احتلال العراق، وسيكون مكون من مكونات
هذه الحوزة الأميركية، متمثلاً بالظاهرة الحكيمة، كامتداد أسري(٤٦).

ضرورة التصدي للرجعية

من هنا، لم يكن هنالك من خيار أمام الشهيد الصدر في ظل هذه الظروف
الصعبة والقاهرة التي حشر فيها، طرف المرجعية العليا وإلا الإنكفاء الذي انتهت
إليه، وظروف اندفاع السلطة اعلامياً واقتصادياً وأميناً باتجاه المزيد المحسوبة والمحدود
للتيار الإسلامي سوى التصدي للمرجعية ملء الفراغ الذي نشأ، وفي ظل التمايز
والاختلاف بين مرجعيتي الحكيم والخوئي وما خلفه من خلل كبير في توازن المواجهة

(٤٦) انبياء واصنام، ص: ١٢٠ وما بعدها، مصدر سابق.

بين السلطة والتيار الإسلامي وبالتأكيد فإن الصدر للمرجعية بحد ذاته لم يكن خياراً سهلاً و«متاحاً» ببساطة بل هو خيار له جذور وحكاية وأمامه عقبات.. فالجذور تعود الى تاريخ جذوره من حزب الدعوة، وما رافق هذا الخروج من شروح وروايات متعددة كان تصديه للمرجعية أحدها، ويقال أن بعض أساتذته نصحوه بالعدول عن دوره السياسي في حزب الدعوة وكتاباتاته في «مجله الأضواء» لكي يستطيع أن يهيئ نفسه ليكون مرجعاً أعلى للشيعه في المستقبل(٤٧).

وتأخذ هذه الرواية مستوى الجزم وتعتبر أنَّ انسحابه مجرد عملية سياسية مرسومة تهدف الى فتح طريق أمامه ليتقلد منصب أعلى رمزي للمسلمين الشيعة، ألا وهي المرجعية حيث كان الفقهاء والعلماء الواعون وأبناء الحركة الإسلامية يأملون في أن يرتقي السيد سُلّم المرجعية ويصبح مرجعاً أعلى للشيعة في كل مكان، كانت هذه المسألة، مسألة وقت ليس إلا، حيث كان السيد الصدر يُعدُّ عالماً فقيهاً واسع الدراية في الحوزة(٤٨).

وبالتأكيد لا يرتقي هذا الحصر الى مستوى السبب الكلي لتركه العمل السياسي والحزبي، فالظموح المرجعي كان مقموحاً لدى الشهيد الصدر وهو لم يأخذ من تفكيره الأخير، كما أنَّه لم يكن مشدوداً الى ذاتية التفكير بوصفه الشخصي، ومن أنَّه قام بتأسيس أُبنية نظرية لمرحله يحقق من خلالها ذاته ويعمل الى سدة المرجعية(٤٩).

بقدر ما كان اهم الإسلامى العام هو الذى شغل وجوده وكان هذا أهم هو الذى يدفعه لأن يقترح بطبع كتاب: «فلسفتنا» باسم: «جماعة العلماء المجاهدين» ولذا فهو حتى في تفكره المستقبلي أراد ان يعالج خطر المرجعية الذاتية القائمة على جهاز الحاشية(٥٠) وأن يرتقي بها أهم الإسلامى العام، وكان الشهيد الصدر مشدوداً الى همّ توحيد الكيان الشيعي، وتفعيله برمته لذا هو لم يتمرد إطلاقاً على مرجعيات بقدر ما مارس منهجاً «تكاملية» معها....

وبعد وفاة السيد الحكيم بدأت تقريباً مرحله التصدي الفعلي لمرجعية السيد الشهيد ولم يكن رضوان الله عليه راغباً بذلك لأنَّ الشهيد الصدر كان يؤمن بضرورة تكريس كل الطاقات وتوحيد الصفوف كافة بإتجاه مرجعية واحدة، وهذا مبدأ عام

(٤٧) نخبة من الباحثين، مُجد باقر الصدر، دراسات في حياته وفكره، ط: ١٩٩٦م، دار التعارف للمطبوعات، ص: ٥٠٦.

(٤٨) فؤاد ابراهيم، الفقيه والدولة والفكر السياسي الشيعي، ط: ١٩٩٨، دار الكنوز الأدبية، ص: ٣٤٧.

(٤٩) مُجد باقر الحكيم، دراسات في حياته وفكره، ص: ٥٠٦ وما بعدها، مصدر سابق.
(٥٠) انظر فقرة: «نحو مرجعية موضوعية صالحة» في كتابنا: «حق الإمام في فكر السيد البغدادي»، ص: ٣٣ وما بعدها، مصدر سابق. و/انظر: التحصيل في أوقات التعطيل، ج: ١، ص: ١٢٧، مصدر سابق.

يؤمن به، وقاعدة أساسية يتبناها، يضاف الى ذلك أن الفراغ الذي تركه السيد الحكيم كان خطيراً الى حد كبير (٥١).

وأنه لم يُقدم على تحدي المرجع الاعلى في وقته السيد الحكيم ولا خليفته السيد الخوئي، وما أصدره من دراسات وبحوث حول المسائل الفقهية في منتصف السبعينيات لا تعتبر بحد ذاتها او استهجناً لموقف الخوئي السياسية وهو في الواقع برر إعلانه غير المباشر برغبته في المرجعية ليدراً عن نفسه بطش وتعسف السلطة وأعتقد أن الحكومة سوف تبقى حياً وحسب العادة المتبعة تاريخياً من قبل الأنظمة القائمة في إيران والعراق بعدم المساس بحياة أي مرجع ديني قيادي.

والشيء بالشيء يذكر هو ابعاد النظام الايراني للإمام الخميني في مطلع الستينيات الى العراق والذي يبدو أن السيد الصدر أخطأ في حساباته حول مدى يعقل النظام العراقي والتزامه بهذه الحكمة، وبالعكس كان النظام يعتبر اي خلاف سياسي تهديداً مباشراً لوجوده وعليه فقد تعامل البعثيون بعنف وحشية مع خصومهم السياسيين متجاهلين الضغوط الخارجية والرأي العام العالمي (٥٢).

وإذا كان هذا النص صحيحاً في جزئه الأول فهو لا يبدو كذلك في جزئه الآخر، فالشهيد الصدر لم تشغله حصانة نفسه من خلال المرجعية لأنه يعلم طبيعة الحكم في العراق، إنما الذي دفعه للمرجعية حالة الفراغ الكبيرة بعد وفاة الحكيم إذ «منذ عام ١٩٧٠ الى ١٣٩٠ وفاة السيد محسن الحكيم بدأ «خندق الشهيد» الصدر مكشوفاً» (٥٣).

والأصح هو أن المواجهة مع السلطة أصبحت غير متوازنة بشكل كبير، وأن إندثار المرجعية الى المزيد من الصيغ الذاتية دفعته الى أن يتصدى لها، وأن يطرح نظرية مغايرة للواقع المرجعي بما يجعلها أكثر تمثيلاً للكيان الشيعي، وبما يضمن امتدادات هذا الكيان في الواقع الاجتماعي، ويجوله الى كيان علمي يواكب منهج العصر وتحدياته. وقطعاً أن هذا التوجه سيقود حواشي المرجعية العليا الى وضع العقبات أمام تصديه للمرجعية يحركها في ذلك خوفها من إمتداده السريع في وسط الأمة الذي يؤهله إليه مركزه العلمي والفقهي والفكري وجدارته البحثية التي ترشحه للمرجعية دون أية مؤثرات أو حسابات أخرى ولذلك كما يقول نص من النصوص:

(٥١) محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، عرض لسيرته الذاتية ومسيرته السياسية والجهادية، ط: ١٩٩٦، المطبعة العلمية، قم، ص: ١٧٧.
(٥٢) محمد باقر الصدر، دراسات في حياته وفكره، ص: ١٦٨، مصدر سابق.
(٥٣) مصدر سابق، ص: ٩٦.

إن أحد العلماء جاء الى بيت الشهيد وكان يتكلم بإنفعال وعصبية ويحاسب السيد الشهيد على تصديه المرجعية وطبعه للفتاوى الواضحة (٥٤).

إن نبوغ الصدر همهُ الأساس الوحيد الذي رشحه للمرجعية هو دفع «الحواشي» الى مواجهة تصديه المرجعي، وان هذا النبوغ ابتداءً قبل أن يدخل السيد الشهيد سن الرشد «فهو لم يقلد احدا في هذا السن» (٥٥) لأن عبقرية الصدر الأول كانت مشخصة من قبل البغدادي - الكبير - وكان هو القائل للصدر الأول في إحدى زياراته الأخيرة إليه برفقة خاليه مُجَد رضا ومرضى آل ياسين، حيث خاطبه بحضورهم: «إنك أعلم من خالك» فالبغدادي الذي يعطي شهادة للصدر الأول بـ «أعلميته الفقهية» وهو ابن السادسة عشر... (٥٦). لأنه كان مجتهداً قبل أن يدخله، وعدم التقليد هذا لم يكن تمرّداً على النهج الدراسي إذ ليس «جواب الصدر على الحائري رفضه تقليد أي عالم هو شهادة بالتمرد» (٥٧).

ثقافة الحذف

حدثني الأخ عادل رؤوف قائلاً:

زارني الكاتب احمد عبد الله أبو زيد قبل اعوام في مقر المركز العراقي للإعلام والدراسات في سوريا بشماعة أن يكتب موسوعة تاريخية عن حياة الشهيد الصدر الأول رضوان الله عليه لكوني أحد الذين ألفوا عن حياته العطرة كتاباً مستقلاً باسم: «مُجَد باقر الصدر بين الدكتاتوريتين» عام ١٤٢٢ هجرية، ولهذا طلبت منه قبل أن يشغل جهاز التسجيل ينبغي عليك أن لا تجري بما أملؤه عليك كأمانة تاريخية صادقة، ومن حقلك أن تنتقدي بما أطرحة من أسرار وقضايا. وبالتالي وجه لي العديد من الأسئلة وأنا أجبتُ عنها وقد استغرقت لفترة زمنية طويلة. وبعد مرور عامين صدرت له موسوعة من خمسة مجلدات بطباعة أنيقة، باسم: «مُجَد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووقائع» ط: ٢٠٠٧م، العارف للمطبوعات، بيروت. وبعد قراءتي لها لم أجد لي مصدراً! ومن هنا انكشف لي أن المؤلف كتب لتضليل القارئ وخلط الأوراق وتصفية حسابات سياسية...؛ وجدري بالذكر لقد نشر في مجلده الخامس الصور والوثائق (مثلاً) للسيد محسن الحكيم وأولاده واصهاره...؛ ولم ينشر الصورة التاريخية للإمامين مُجَد الحسيني البغدادي وروح الله الموسوي الخميني، والأخير في هذه

(٥٤) الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص: ١٧٧، مصدر سابق.

(٥٥) شلي ملاط، تجديد الفقه الإسلامي، مُجَد باقر الحكيم بين النجف وشيعة العالم، ط: ١٩٩٨، دار النهار، ص: ٥٠.

(٥٦) انبياء واصنام، ص: ١٧١ وما بعدها، مصدر سابق.

(٥٧) أيام المحنة وسنوات الحصار، ص: ١٧٧، مصدر سابق.

اللقطة كان صاغياً ومبتسماً لحديث سماحته، في حين إشتهر بين الناس لم يبتسم لأحد وكان حزناً منذ إنتفاضة الخردادية عام ١٩٦٣م ضد الشاه حتى الى يوم إنتصار ثورته البهمنية الإسلامية الرامية لإسقاط الامبراطورية الشاهنشاهية عام ١٩٧٩م (٥٨) بل وبعد صعود الإمام الخميني الى الملكوت الأعلى أصدرت وزارة الثقافة والارشاد إرشافاً وثائقياً عن حياته العطرة فلم أشاهد صورة له مع مرجع من مراجع قم والنجف.. لماذا؟! إلا بإستثناء الامام المجاهد السيد البغدادي. انظر الوثيقة رقم (١١).

هذا من جهة.. ومن جهة أخرى وجه الى شقيقي الفقيه السيد علي شافاه الله تعالى سؤالاً مثيراً للجدل:

ما رأيكم بتحقيق الدكتور علي خضير حجي لكتاب ماضي النجف وحاضرها بكلا جزأيه الرابع والخامس المتعلق بالأسر العلمية الحسينية النجفية لا سيما أسرة آل العطار الحسيني البغدادي؟

الجواب باسمه تعالى

لقد طبع كتاب ماضي النجف وحاضرها بكلا جزأيه الرابع والخامس المتعلق بالأسر العلمية الحسينية لا سيما أسرة آل الحسيني البغدادي لمؤلفه الشيخ جعفر محبوبة (ت: ١٣٧٧هـ) بتحقيق الدكتور علي خضير حجي (كما يزعم)، وقد طالعت الكتاب بجزأيه فأريت تحقيق الكتاب وما علق عليه فوجدت فيه مفارقات علمية مبنية على العاطفة والهوى والعنصرية الفارسية، لا سيما ما يتعلق بترجمة فقيه عصره الإمام المجاهد السيد محمد الحسيني البغدادي (ت: ١٣٩٢هـ) ولنا معه مناقشات كثيرة، وإليك بعضها:

١- أنه اعترف في مقدمة الكتاب، ج ٤، ص: ٦٤، ط: ١، سنة: ١٤٣٦هـ، دار الكفيل كربلاء، أن كتاب ماضي النجف وحاضرها يتضمن قصاصات وأوراق ملحقة بدفتر المخطوطة مع العلم أن بعض تلك الأوراق لم تكن بخط المؤلف وذلك لمرضه كما الأمر بالنسبة إلى الشيخ آغا بزرگ الطهراني في كتاب (طبقات أعلام الشيعة حيث كتب بعض التراجم بقلم تلميذه العلامة الأديب السيد محمد حسن الطالقاني رحمه الله وذلك لشيخوخة الشيخ ومرضه، ولكن من المؤسف حقاً ما صدر من الدكتور علي خضير حجي أنه حذف الأوراق المتعلقة بترجمة الأعلام الأزهري الإمام المجاهد السيد محمد الحسيني البغدادي قدس سره وهي خمس صفحات مع العلم

(٥٨) بعد إنتصار الثورة الإسلامية الإيرانية زار الشهيد ياسر عرفات سماحة الإمام الخميني في مكتبه بطهران وكان في لقائه التاريخي «مبتسماً» لأبي عمار. فتبجح الإعلام الفلسطيني لهذه الإبتساماة الصادقة بوصفها الأولى فقط وفقط!... (المؤلف).

أنه لم يحذف بعض الأوراق فيما يتعلق ببعض الأشخاص كما في ج: ٤، ص: ١١٤ وج: ٥، ص: ٢٥ و ص: ١١١ وغيرها.

٢- العجب كل العجب نجده قد وقع في هفوات لا تغتفر حيث أنه ترجم في هامش الكتاب بكلاً جزأيه جميع الفقهاء والعلماء والأدباء تمجيداً وثناءً وراثاً مع ذكر مصادر تراجمهم، بل ذكر تراجم بعض الموظفين والكسبة إلا أنه عند ترجمة فقيه عصره الإمام المجاهد السيد البغدادي قدس سره لم يذكر تاريخ وفاته وراثته من قبل شعراء عصره ولم يذكر مصادر ترجمته ولم يذكر أبنائه ولا أحفاده ولا أجداده.

٣ - من الغريب أنه لم يشير إلى أن المقصود بالمتراجم هو السيد محمد الحسيني البغدادي وأن لقب العطار قد هجر في الأزمنة المتأخرة من قبل الأسرة مع العلم أن جميع المؤرخين قديماً وحديثاً الذين أرخوا هذه الأسرة العلمية وأعلامها من عهد جدها الأعلى زعيم بغداد السيد محمد العطار (ت: ١١١٧هـ) من تلاميذ صاحب البرهان إلى يومنا هذا قد قرنوا لقب العطار بالحسيني البغدادي ولكن الشيخ جعفر محبوبة في كتابه حذف لقب الحسيني البغدادي واقتصر على لقب العطار فقط لأسباب لا مجال لذكرها هنا.

٤ - من الغريب المدهش أنني قد استنسخت الأوراق الملحقه بدفتر المخطوطة وذكرت بعضها في كتابنا (المطارحات الإسلامية) في ص: ٢٨١، ط: ١، سنة: ٢٠١٤م، مؤسسة دار التاريخ العربي، بيروت-لبنان، قبل أن يطبع كتاب ماضي النجف بكلاً جزأيه مع العلم أن ما يتعلق بترجمة السيد البغدادي تلك قد استنسخت من المخطوطة الموجودة في خزانة مكتبة أمير المؤمنين العامة برقم: ١٤١ في عام ٢٠١١م بوساطة نجل المؤلف الأخ عبد الحسين محبوبة والأخ علي جهاد الحسيني والأستاذ كرار إسماعيل مرضي الذي كتب رسالة الماجستير عن حياة السيد البغدادي قدس سره دراسة تاريخية وحصل فيها على درجة إمتياز.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد رد المؤرخ جهاد أبو صبيح على الدكتور علي حجي بمقالة جلييلة نشرت في مجلة التراث النجفي ومجلة ظلال الخيمة، وكما رده رداً حاسماً المؤرخ محمد سعيد حفيد الفقيه المحقق الشيخ هادي الطرقي ونشرت في مجلة التراث النجفي ومجلة ظلال الخيمة، كما رده العلامة المجاهد [الدكتور] الشيخ علي سميسم عميد كلية الفقه سابقاً رداً حاسماً ونشرت في مجلة التراث النجفي ومجلة ظلال الخيمة. وأخيراً يجب على هيئة النشر في العتبة العلوية المقدسة إعادة طبع كتاب ماضي النجف وحاضرها تحت اشراف لجنة علمية مختصة في حقل تحقيق الكتب التراثية.

وهنا نتساءل: لماذا لم يطبعوا الكتب الخطية الفقهية والعقدية والشعرية التي ألُفت من قبل أعلام الأسر العلمية العربية التي تكاد تأكلها الأرضة وتحترق وتلف لا سيما

أسرة آل الجزائري والحسني البغدادي والدجيلي وكاشف الغطاء والجواهري والشرقي والصدر والخرسان والمظفر والأعسم ومحي الدين وغيرهم؟!..

ولماذا لم ينفقوا منذورات أمير المؤمنين عليه السلام على فقراء ويتامى أهالي النجف القدامى الذين لهم مواقف جهادية مشرفة ضد الغزو الوهابي والعثماني والصدامي وهم مؤسسو زيارة الأربعين مشياً على الأقدام إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام؟!..

ولماذا لا يوظفونهم في المرقد العلوي مع أنهم في فقر مدقع وحاجة شديدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون؟! (٥٩).

وبناءً على ما تقدم: إنَّ التاريخ قديماً وحديثاً يكتبه مؤرخو الفقهاء أو السلاطين أو البرغماتيين أو الفنانين على حد توصيف الروائي الروسي «مكسيم غوركي» لما فيه من «مصادقية حقيقية» أو «مصادقية نسبية» عن قضايا وخبايا وأسرار وانعكاس لها، لذا الصفحة الناصعة من تدوين التاريخ في مجتمعاتنا العربي والإسلامي هو تاريخ قوى المعارضة التي تجاهد في الميدان، التاريخ الشفوي لا التاريخ المكتوب على الرفوف لأن التاريخ المدون لم يكن إلا لسيرة السلاطين العصبيين والفقهاء البرغماتيين فقط فقط بحيث لا وجود للبشر العاديين في مدوناتنا، بيد أن الحقيقة الصائبة لا تندثر عن عالم الوجود بشرط أن يظهر على الساحة الإسلامية مؤرخون محترفون ماذا يفكرون وماذا يخططون وماذا يحققون وكيف يكتشفون ويدققون التسلسل التاريخي للقضايا والاحداث والسياقات الخاصة في كل شاردة وواردة ويطبّقون عليها احداث منطلقات المفاهيم والمبادئ الايديولوجية لإضائتها بل لانتشالها من الطمس التاريخي.

(٥٩) علي الحسني البغدادي، إسلامنا، ط: ١، ٢٠١٩م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ص: ١٥٠ وما بعدها.

الفصل الثالث

مرجعية السيد البغدادي

ضحية السلطتين العراقية - الإيرانية ..

ضحية الحوزتين العربية - الفارسية

نقطة بداية

« ندوة » مؤثرة .. « ندوة » متأثرة

أطروحة فقهية .. تأسيسية إستباقية

صراع « حوزوي » مفصلي

إسلامية المعارك .. إجتهاع تاريخي

ثقافة الاعتذار

جدل السيد البغدادي نظرية الحكم .. نشوء الدولة الملكية

عدوان ثلاثي غادر .. وموقف ملكي متواطئ

تحريم الشيوعية بين الاستغلال القومي .. و«المرجعية الدينية»

ثقافة الاستفزاز

حضور البغدادي في مواجهة الشام

خطاب الوحدة .. خطاب الطائفية

عالم بلا فلسطين .. نهاية التاريخ

مخصصات إيرانية .. مخصصات عراقية

السفير الأميركي .. و«المرجعية الدينية»

تشجيع شعبي غاضب .. تعتير سلطوي صادم

نقطة بداية

في البدء أنا الحفيد الأكبر لسماحة السيد الأستاذ الأعظم رضوان الله عليه فإن شهادتي سوف تحمل شيئاً من «الانحياز» مع إعتقادي بأنه إنحياز موضوعي عقلائي عقلاني وثائقي.. ومحاولة لإعطاء حقه في عالم الفقه والفكر والبصيرة الرسالية ذلك العالم الذي يخلق به منذ عقود حتى طاول مكانه الفقهاء والمفكرين والمجدين المعاصرين على الصعيد العربي والاسلامي والعالمي.

بقي أن أسجل نقطة أخيرةً بيّد أنها أساسية ومختزلة ينبغي توضيحها قبل الاستمرار في هذا الفصل الأخير؛ عن الفقيه «الامامي الشيعي» من تاريخنا وما زلنا لا نرى له وجود يذكر على الساحة الشيعية الاسلامية! الا اذا نسق من خلف الابواب المغلقة مع السلطان الغصبي وهو عينه ما عاصرناه في زمن الفتنة.

إنّ إشتهار مرجعية السيد محسن الحكيم ومرجعية السيد أبو القاسم الخوئي وتوزيعهم المخصصات الشهرية للحوزات «الدينية» بلا انقطاع، بسبب بسيط هو دعم جهاز السافاك الشاهنشاهي لهما من دون مرجعية السيد محمد الحسيني البغدادي وأنّ الأخير قد فوقهم في مجمل كتاباته وحواراته وأعلميته وشجاعته وصراحته ونظافته ترجمت إستثناءً «ميدانياً»، وهي حياة حافلة دامت سبعة عقود من الزمن وعاشت أنظمة سياسية متناقضة في العراق!، وهي فيما يلي:

«ندوة» مؤثرة.. «ندوة» متأثرة

* وجه لي أستاذ جامعة بغداد والقاهرة والرياض عبد الحميد الراضي الحسيني (ت ١٩٩١م) عدة أسئلة استثنائية، منها: كتب الكثير عن الندوة العلمية الشهيرة، التي تعقد في مجلسه، وعن الإشادة بها.. إلا أنني أسأل: متى بدأت؟.. ما المباحث التي كانت تثار فيها؟.. وكيف كانت اساليب المطارحات؟.. ومن هم الأكثر حضوراً؟

****** تلك الندوة بدأت في العقد الثالث، ويجتمع فيها رجال الحوزة صباح كل خميس وجمعة، وتثار فيها المسائل الفكرية من فقه واصول وحديث وتفسير وأدب وسياسة.. وبعد تفكير عميق الاغوار يعترض احد عمالقة الحضور للإجابة عن السؤال فيرد عليه السائل او غيره من الحضور فيحدث الصراع الطويل بينهم، ويشترك الآخرون فيه، ويستخدم النزاع.. وفي جل الاحوال ينقسم الجالسون الى تجمعات متعددة تمثل كل جماعة منها وجهها من الرأي، وفي بعض الأحيان لا يخلو تضارب هذه الآراء من الانحياز الا موضوعي.. وذلك بسبب الصداقة او غير ذلك.. الا اننا كنا نلاحظ أنَّ السيّد البغدادي رضوان الله عليه لا ينحاز الى جهة من الجهات.. فتارة تجده مع هذا التجمع واخرى مع ذاك.. ويتسم بسرعة البديهة والأجوبة خصوصاً في المسائل الفقهية والأصولية العويصة من خلال قدرته المعمقة في إضعاف الدليل القوي وتقوية الدليل الضعيف!.. وهذا هو الذي أسكت خصومه بل إعتزاف الكثير منهم بـ«أعلميته» على أقرانه بل وعلى بعض أساتذته، «فكنت تشاهد هذا الصراع العلمي بين من ضمهم مجلسه من رجالات العلم فتراه صريحا الى ابعد حدود الصراحة فيها إذا شذ احد الحضور عن الآداب المرعية في المجلس.

ولهذه الندوة العلمية أثر بليغ في شحن الذهن، وفتحت أذنيات القلب لفهم الحقائق العلمية.. والسيّد البغدادي هو لولب الندوة، الذي يدور عليه ما استعصى من المشاكل العلمية في مختلف العلوم فتراه ينصب كالماء من أعالي الجبال في تقرير المسائل وبيان ادلتها وقدرته المعمقة سواء كانت من القرآن او السنة او العقل..

وفي أخريات ايام تلك الندوة حضرها رجل يدعي [يقصد السيد محسن الحكيم] أن له باعا طويلا في العلم، من بين الشيوخ الجزائري والشيخ حبيب الدجيلي، وكان السيّد البغدادي قد شرح في بيان مسألة فقهية من اعقد المسائل، وأخذ يشرح وجوه المسألة، وأرباب العلم يصغون الى تقريره.. فحز ذلك في قلب مدعي العلم فقال مدمماً: هذه المسألة لا تستحق كل ذلك، فقال الجزائري: هذا ميدان للجياد لا للخنافس.. ورد عليه الشيخ الدجيلي: انت لم تع ممّا قرره السيّد حرفاً واحداً(٦٠). بل ذهب الى أبعد من ذلك السيد يونس الاردبيلي [الفقيه الضليع] هاجر من النجف الى قم... ثم زار النجف في خمسينيات القرن الماضي وقد زاره فقهاء ومراجع النجف ومنهم السيد محسن الحكيم، وقد حرر الاردبيلي مسألة فقهية معقدة، وسأل بها الحكيم فلم يتمكن من الإجابة عنها، وقال له: إني قد حررتها في كتابي

(٦٠) عبد الهادي العصامي، الإمام البغدادي فقيه عصره، صحيفة العدل النجفية، بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٣ م.

المستمسك، فرد بصوت عالٍ، قائلاً: إِنَّ العلم ما حواه الصدر، وكتابك موجود على رفوف المكتبات الخاصة أو العامة (٦١).

وهناك مناظرة «ظريفة» بين السيد البغدادي والسيد الحكيم رضوان الله عليهما فيما ذكره الشيخ محسن الجصاني بعد إنتهائه من مجلس الدرس، حيث قال: وقعت مناقشة علمية بين السيدين البغدادي والحكيم وكنت حاضراً في الندوة وأُحْتَدَمُ النزاع بينهما وفي أثناء المناقشة قال البغدادي للحكيم: تكلم لا أسمع كلامك تكلم بصوت مسموع لكي أسمع دليلك وبرهانك.. هل أنت امرأةٌ مخطوبة تستحي أن تصرح لوكيل الزوج نعم أنت وكيلتي! (٦٢).

وقد تحدث الشيخ مُحمَّد طاهر آل شيخ راضي (ت ١٤٠٠هـ) صاحب شرح الكفاية في مجلسه عن السيد البغدادي قدس سره بمحضري ومحضر الدكتور [ماجستير فلسفة] الشيخ منير الطريحي حيث أفاد:

إِنَّ السيد البغدادي من أعظم الفقهاء ونحن في المجالس العلمية لا نتدخل في المناقشات معه تقديراً وإحتراماً لمقامه العلمي، وأطال الحديث في تعظيمه من ناحية علمية وأخلاقية وبإنفعال وتألم.

ومجمل القول: في هذا الجو العامر بالتفكير والتعبير والحوار وتضارب الطروحات.. يتبلور الوجه الحق من الرأي، وتتعاذل الطروحات، وتتقارب وجهات الرأي، ويصح بعضها بعضاً في حلبة الخلاف، ويهدأ الجو الصاخب ويستجيب الجالسون للأطروحة العلمية الحاسمة، التي انتهوا إليها بعد هذا المشهد المشرق، ويستجيب الجالسون كذلك لدعوة الكرم الحاتمي المعد لهم بعد انتهاء الجلسة.

فكان من أبرز رواد هذه الندوة الفكرية الرائعة: الشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي (ت ١٣٣٣هـ)، والسيد محمد سعيد الحسني الحبوبي (ت ١٣٣٣هـ)، والشيخ محمد حسن كبة (ت ١٣٣٣هـ)، والشيخ علي الخاقاني (ت ١٣٣٤هـ)، والشيخ علي رفيش (ت ١٣٣٤هـ)، والسيد عبد الرزاق الحلو (ت ١٣٣٧هـ)، وشيخ الشريعة الاصفهاني (ت ١٣٣٤هـ)، والشيخ علي باقر آل صاحب الجواهر (ت ١٣٤٠هـ)، والسيد ياسين الحسني السعبري (ت ١٣١٤هـ)، والشيخ أحمد كاشف الغطاء (ت ١٣٤٤هـ)، والسيد محمد تقي الحسني البغدادي (ت ١٣٤٦هـ) والشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ) والشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥هـ)، والسيد صالح الحلبي (ت ١٣٥٩هـ)، والشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١هـ)،

(٦١) علي الحسني البغدادي، المطارحات الإسلامية، ط: ٢٠١٤م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ص: ٢٢٥.

(٦٢) علي الحسني البغدادي، مُحمَّد الحسني البغدادي تصفية المرجعية المجاهدة في العراق ضياع الوطن وتروير الدين، ط: بلا تاريخ، ص: ٨٤.

والشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ) والشيخ محمد حسين الاصفهاني (ت ١٣٦١هـ)، والسيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني (ت ١٣٦٥هـ)، والشيخ جعفر البديري (ت ١٣٦٩هـ)، والشيخ محمد رضا ال ياسين (ت ١٣٧٠هـ)، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)، والشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، والشيخ قاسم محي الدين (ت ١٣٧٦هـ)، والشيخ محمد جواد الجزائري (ت ١٣٧٨هـ)، والسيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٨هـ)، والشيخ عبد الكريم الجزائري (ت ١٣٨١هـ)، والسيد حسين البروجدي (ت ١٣٨٢هـ)، والسيد علي شبر الحسيني (ت ١٣٩٣هـ)، والشيخ حسين الحلي (ت ١٣٩٤هـ)، والسيد أحمد الخونساري (ت ١٤٠٥هـ)، والشيخ مرتضى ال ياسين (ت ١٤٠٥هـ) وكثير غيرهم.

إنَّ تاريخ هذه الندوات وما يجري فيها من حديث وما كان يثار فيها من نقاش يُظهرُ تاريخ النشاط الفكري الاسلامي في النجف، وكان من أهم هذه المجالس في العقد السابق [اي في ثلاثينيات القرن الماضي] مجلس السيد مُجَّد الحسني البغدادي حيث كان يحضره جماعة من العلماء والفضلاء... وقد كانت المسألة الواحدة تجر الى إثارة حديث الجامعة [النجفية] في كل مكان، وقد كان الخلاف الفكري يمتد الى أكثر من هذا فيخصصها بإبحاث مستقلة تتلاقفها الأيدي(٦٣). بل أكد الدكتور

(٦٣) مُجَّد مهدي الآصفي مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها، ط١، ١٩٦٤م، مطبعة النعمان . النجف، ص٢٩ وقد كتب عن أهمية هذه الندوة العلمية الكتاب والمؤرخين الشيء الكثير وفي مقدمتهم " مُجَّد هادي الأميني، مخطوطات مكتبة آية الله السيد مُجَّد الحسني البغدادي، ط: ١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٦٤م، ص: ٦٣ وما بعدها، و/علي الحسني البغدادي، مُجَّد الحسني البغدادي تصفية المرجعية المجاهدة في العراق ضياع الوطن وتزوير الدين، ط: بلا تاريخ، ص: ٨٤ و/مُجَّد هادي الاميني، معجم رجال الفكر والأدب خلال ألف عام، ط: ١، ٢٢٨/٢، و/مُجَّد علي جعفر التميمي، مشهد الإمام أو مدينة النجف، ط: مطبعة الغري، النجف، ١٩٥٤م، ٨٤/٢ و/أحمد الحسني البغدادي، مُجَّد الحسني البغدادي المسيرة الجهادية والفكرية في قراءة حوارية ووثائقية خلال سبعة قرون من الزمن ١٢٩٨ - ١٣٩٣، ط: دار إحياء تراث الإمام البغدادي، النجف - العراق، ٢٠١٧، ص: ١٧ وما بعدها و/علي الحسني البغدادي، معالم الإمام في فكر السيد البغدادي، ط: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م، مؤسسة التاريخ العربي، ص: ٨٨. و/مُجَّد جواد جاسم الجزائري، السيد مُجَّد الحسني البغدادي رؤاه ومواقفه السياسية، ط: مؤسسة النبراس الطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١١م و/أحمد الحسني البغدادي، جهاد السيد البغدادي، ط: إستنساخ، ١٩٩٢م، وطبع في موسوعة: تأصيل معرفي بين الثورة واللاثورية هكذا تكلم أحمد الحسني البغدادي (زيادة وتنقيح)، ط: ١، ٢٠١١م، ص: ٧ وما بعدها، و/كرار اسماعيل مُجَّد مرضي أبو الزراير العارضي، السيد مُجَّد الحسني البغدادي (١٨٨١ - ١٩٧٣) دراسة تاريخية رسالة ماجستير - جامعة الكوفة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص: ٨١، وطبعت في ضمن موسوعة مُجَّد الحسني البغدادي، التحصيل في أوقات التعطيل، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ٢٠١٥م، ص: ٩٨ وما بعدها، و/مخطوطات مكتبة السيد مُجَّد الحسني البغدادي، طبعت بأكملها في مجلة آفاق نجفية بتاريخ ٢٠١٤م، و/حسين علي العبودي، لمحات من حياة الإمام المجاهد السيد البغدادي، أنظر: التحصيل ٩/١ وما بعدها، و/عبد علي الخفاف،

شعبان بأنَّ العديد من المهتمين من أبناء النجف يتناقلون أخبارها وأحياناً تنقل سجلاتها وحواراتها الى الشارع، وكان البغدادي يقوم بدور ضابط الإيقاع أو مدير الجلسة ويحرص على حرية التعايش والجدال في المسائل المطروحة على المجلس سواء كانت فقهية أم سياسية أم أدبية (٦٤)، بل كتب الباحث حميد المطبعي بوصفها أثمرت عن مجالات فكرية منفتحة على تيارات الحضارة الجديدة (٦٥)، بل صرح المؤرخ كاظم مُجّد علي شكر بهذا الصدد: كان هذا المجلس مغلقاً في وجوه الطبقات التي هي لا ترقى الى مستوى الإجتهد في علوم الفقه والأصول والحديث... لقد كانت هذه الطبقة المتميزة تأم مجلس الإمام البغدادي الحسني، وكانت تقيم في هذا المجلس العتيد مراسيم واطروحات بمقوتها الفقهية والاصولية والأدبية ومن خلال ذلك تصنع القرارات العلمية التي يعمل بها في مجالات الشريعة الإسلامية، فكان لهذا المجلس العالي آفاق كبيرة وسمعة أكبر تعدت حدود النجف الأشرف الى أنحاء القطر العراقي وخارجه، ولضخامة هذا المجلس وعلو مكانته تناوله أقلام المؤرخين والباحثين والكتاب فدونت بعض جوانبه ونقلتها الى الرأي العام المثقف من خلال ما ألفته من كتب وما أصدرته من صحف ومجلات (٦٦)، بل إقترح الشيخ مُجّد جواد الجزائري على السيد البغدادي، بأنَّ المذكرات العلمية التي تطرح في هذه الندوة المؤثرة ينبغي أن تكتب وتطبع، ولكن مع الأسف الأسيف هذا الإقتراح لم ينفذ!..

وقد تحدث السيد الأستاذ الخوئي في شأن ندوة السيد البغدادي العلمية في مجلسه العامر بعد رحيل البغدادي الى الملكوت الأعلى عندما أقيمت على روحه الطاهرة في جامع الخضراء الفاتحة من قبله كما حكى ذلك عنه الخطيب مهدي السويج والشهيد السيد علي مكي صاحب كتاب: «دولتنا وموقفها من الدول المعاصرة»، حيث نقلنا عن الخوئي بانه قال ما فحواه: إنَّ مجلس السيد البغدادي كان محط أعظم فقهاء الإمامية الذي عقد من أجل المذكرات العلمية وما كان يشترك في تلك الندوة إلا من حاز مرتبة عالية من الفقاهاة، ثم ختم حديثه في تعظيمه علماً وتديناً وجهاداً.

شذرات من سيرة الإمام البغدادي، انظر: التحصيل....؛ و/عبد الهادي العصامي، الإمام البغدادي فقيه عصره، صحيفة العدل النجفية بتاريخ ٢٣ / ٦ / ١٩٧٠م، ص: ١ و/كاظم مُجّد علي شكر، مجلس المرجع الكبير الإمام السيد مُجّد الحسني البغدادي، مجلة الكوثر النجفية بتاريخ ٢٥ أيار ٢٠٠١م، ص: ٥ وما بعدها، و/حميد المطبعي، العلامة المجتهد الكبير السيد مُجّد الحسني البغدادي، أنظر: التحصيل، ٦٣/١ وما بعدها، و/كثير غيرها من الكتب والصحف والمجلات العربية والاجنبية.

(٦٤) عبد الحسين شعبان، الإمام الحسني البغدادي، مقاربات في سسيولوجيا الدين والتدين (التاريخ والسياسة)، ط: ٢٠١٨م، دار إحياء تراث الإمام البغدادي، النجف - العراق، ص: ١٤١.

(٦٥) حميد المطبعي، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، ط: ١٩٩٨م، بغداد، ج: ٣، ص: ٢٢٨، و/انظر: المطارحات الإسلامية، ص: ٢٣٨، مصدر سابق.

(٦٦) مجلة الكوثر، بتاريخ ٢٥ ايار ٢٠٠١م.

وقد حدثنا العلامة الورع السيد هادي شقيق السيد علي الحسيني السيستاني حفظهما الله تعالى حيث قال لي لما توفي السيد البغدادي أثني عليه السيد الخوئي ثناءً عظيماً ويفهم من كلامه أنَّ السيد البغدادي هو أعلم من مراجع عصره.. وقال: أنَّ دار السيد البغدادي كان مجمع كبار الفقهاء لتحرير المسائل الفقهية المعقدة، وكان هو لولب المناقشات معهم، وكان هذا الثناء والرثاء في مجلس السيد الخوئي بمحضر كبار العلماء والفضلاء(٦٧).

وجدير بالذكر الإشادة (هنا) أنَّ السيد الأستاذ الخوئي لم تتوفر عنده شروط الخصائص العلمية المعمقة كتتبع مباني الفقهاء في المسائل الخلافية قديماً وحديثاً، وقوة التفريع المختلفة؛ وإرجاع الفروع الى الأصول، وممارسة التطبيق واليقظة والإتباع، وممارسة القوة الناشئة والاحاطة الدقيقة، وقوة الإستظهار المعمقة، وكثرة الاستيعاب بالاحاديث النبوية مع تكاملية التمحيص والتدقيق فيما يُستفاد من القضايا المختلفة، وترك التحقيقات والتعليقات على صعيد الدقة العقلية والفلسفية في استنباط الأحكام الإسلامية، كما أكد على ذلك الأستاذ الأكبر صاحب وجوب النهضة والمحقق النجفي صاحب الجواهر، مضافاً الى ترك المشهور بين الوسط الفقهي.

من هنا، نقول: إنَّ هذه الخصائص لم ولن تتوفر فيه شروط ومعدات وممارسة عملية الاستنباط العميقة الأغوار حين قراءة مباحثه الفقهية (حصرياً) من خلال تقارير تلاميذه فتراه يخالف المشهور الفقهي المقطوع به والجمع عليه بل تبني الآراء النادرة المتروكة بل و«الشهرة العملية» بالمرّة بل تبني علم الرجال هو الأسس الأساس في الوسط الفقهي من متقدمين ومتأخرين ومتأخري المتأخرين، وليس له الكفاءة في التفريعات الفقهية المستحدثة، كما هي سيرة الشهيدين والفاضلين ونظائهم من الأساطين، ولهذا اعترف العلماء والفقهاء المعاصرون كالشاهد الغروي (ت ١٤١٨هـ) في مجلس درسه، والشيخ جعفر السبحاني والسيد محمد سعيد الحكيم...؛ والأخير صرح للشيخ شريف محمد حسين كاشف الغطاء بأنَّ الخوئي لم يكن على النهج الفقه العربي العربي، ولذا حضرت في درسه عاماً واحداً فقط وفقط(٦٨).

ويضيف: ما تحدث به أستاذنا الشهيد الغروي قدس سره في مجلسه حيث أفاد: أنَّه عندما كتبتُ تقارير السيد الخوئي في الفقه المسماة بـ«التفريح في شرح العروة الوثقى» شاهدني محمد رضا الطبسي (تلميذ ابو الحسن الأصفهاني ومجاز منه بالإجتهد) وقال لي بحدة: إنك جعلت الخوئي فقيهاً بتقريرك الفقهي مع أنَّه أصولي ولم يكن فقيهاً لدى الوسط العلمي.

(٦٧) إسلامنا، ص: ١٢٠ وما بعدها.

(٦٨) انظر: المطارحات الإسلامية (بتصرف خفيف)، ص: ٢٣٨، مصدر سابق.

وتحدث أستاذنا الشهيد أيضاً بأنَّ السيد الخوئي لم يكن في الأزمنة السالفة مستحضراً للدليل لو سُئل عنه في مسألة فقهية. ويشهد لذلك أنه كان من حضار ندوة سيدنا البغدادي العلمية وكان مستمعاً ولم يشارك في المذكرات الفقهية الإستدلالية(٦٩).

وأما الذين أصدروا «الفتاوى» باعلميته بعد وفاة الحكيم لأسباب عنصرية كالسيد مُجَّد صادق الروحاني، وسياسية كالسيد مُجَّد باقر الصدر(٧٠).

وهذه الآراء المطروحة حول فقاها السيد الاستاذ ليست بجديدة وانما انا شخصياً قد وجهت له رسالة توبيخية قبل اربعين عاماً، جاء فيها:

وكم يأخذنا العجب كذلك.. حين رأيك بالأمس في مجلس الدرس.. تطرح النظريات الفقهية والأصولية العامة وتناقشها بآراء شيخنا الأصفهاني، ولم تنسبها إليه.. خلافاً للأمانة التاريخية.. وباتت أوراقك المتناثرة هنا وهناك مكشوفة بصفتك آلة تسجيلية له للأسف الأسيف.. إلا أنك والحقيقة تقال - غدوت موضع إعجاب المبتدئين والأميين... ومع هذا كله قد بات من المسلمات العفوية أنك مقلد وناقل، لا فقيه ومبتكر(٧١).

إنَّ مسألة تقليد المرجع «الأعلم» وتشخيصه في غاية العسر والخرج.. نعم قد يكون هناك من بين احد المتصدين مَنْ هو الأعلم على نحو الثبوت، ولكن لا يمكن تشخيصه على نحو الاثبات لان ادعاء الاجتهاد والاعلمية ليسوا منحصرين في العراق وحسب، بل موجودون في ايران ولبنان وغيرها، ولا يمكن بأي حال من الاحوال تحقيق حساب الاحتمالات وعملية الاستقراء مع هذا المرجع أو ذاك، ثم اطلاقات الادلة وعموماتها تؤكد الرجوع إلى الرواة بلا تعيين الافضل أو الاعلم، ثم نحن بحاجة ضرورية ملحة للبحث عن الفقيه الحركي الرسالي الذي يؤمن بتحقيق المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية العالمية، اما إذا كان فقيها لا يتصف بهذه المواصفات فلا يجوز تقليده والانقياد اليه حتى لو كان أعلم العلماء - على ما ارى - وقد كتبنا بحثاً (مشتركا) في فقه السياسة تحت عنوان: «فقهاء وحركيون بين الثورة والسكون» وكشفنا الحقيقة الضائعة حول مسألة تقليد الاعلم بوصفها كلمة حق يراد بها باطل(٧٢).

(٦٩) المصدر نفسه.

(٧٠) انظر بتوسع: ص: ٢٤١ وما بعدها، مصدر سابق.

(٧١) في الثقافة الدينية، ص: ١٤٠، مصدر سابق.

(٧٢) احمد الحسني البغدادي، نقد العقل الديني، أديان الأرض.. ودين السماء، ط:

٢٠٢٢م، دار إحياء تراث الإمام البغدادي، العراق - النجف، ص: ٨٠. و/انظر فقرة: «جدل الأعلمية.. الافتراض المستحيل» عباس شاهين، ترجمة: حامد هليل القرشي، المطارحات على

ومن خلال حواراته المعمقة مع كبار اساتذته في هذه الندوة إشتهر بين الحوزات العلمية في مدرستي قم والنجف وغيرهما بالأعلمية على بعض المتصدين في زمانه، وقد نص فريق من الفقهاء على أعلمية السيد البغدادي من السيد الحكيم، فقد حدثني الشاعر السيد يحيى الصافي رحمه الله انه كنت جالساً بجانب الشيخ خضر الدجيلي صاحب تقارير المحقق العراقي في الأصول في الصحن الحيدري الشريف وقد سأله أحد الأشخاص في شأن أعلمية السيد البغدادي من السيد الحكيم، فأجاب عن هذا السؤال:

إنَّ السيد البغدادي أعلم من السيد الحكيم ويُعَدُّ السيد الحكيم أحد تلاميذه.

ولقد تحدث الخطيب مُحمَّد حسن الرضوي الكشميري وبحضور شقيقي السيد علي في مرقد السيد البغدادي وجرى الحديث في شأن تعيين منصب المرجعية العليا وقال بالحرف الواحد كنت واقفاً جنب السيد عباس الميلاني في مدخل شارع الرسول مُحمَّد والتقى بنا السيد مُحمَّد تقي آل بحر العلوم (ت ١٣٩٢هـ) صاحب التعليقة على بلغة الفقيه، وقال بتألم وحزن: إنَّ هناك ظلامتين وقعت في تاريخ الحوزة العلمية احدها: تقديم السيد الحكيم على السيد البغدادي في «المرجعية العامة» مع العلم أن السيد البغدادي أعلم من السيد الحكيم حيث حضر السيد البغدادي بحث الخراساني صاحب الكفاية تسع سنوات وحضر السيد الحكيم تسعة أشهر، وثانيهما تقديم الخوئي على السيد مُحمَّد هادي الميلاني في «المرجعية العامة» ان السيد الميلاني أعلم من الخوئي.

وقد نقل الخطيب الشيخ كاظم عيلوي الحضري (ت ١٤١٥م) صاحب موسوعة: «الشهب الالامع» بأنَّ الشيخ مرتضى آل ياسين والسيد مُحمَّد تقي بحر العلوم رحمهما الله قد نصّا على أعلمية السيد البغدادي على السيد الحكيم، وحينما سمعت هذا التصريح منهما فكان لديّ موضع إعجاب وتقدير (٧٣).

حدثني الثقة ابن عمنا السيد عبد الصاحب الحسني، قائلاً:

لقد اجتمعت مع المترجم [المرجع الديني الأعلى السيد حسين البروجدي] وسألني: من أي أسرة أنت؟ فقلت له: أنا من ذرية السيد أحمد العطار الحسني البغدادي (ت ١٢١٥ هـ)، وأنا من المقلدين لسماحتكم، وقال لي بالحرف الواحد: قلد ابن عمك السيد البغدادي هو الأعلم في حوزة النجف، وهو من طبقتنا (٧٤).

المطارات في نقد العقل الديني، ط: دار إحياء تراث الإمام البغدادي، ٢٠٢٣م، ص: ٩٥ وما بعدها.

(٧٣) المطارات الإسلامية، ص: ٢٦٩، مصدر سابق.

(٧٤)، هكذا عرفت النجف، ص: ٨٦ وما بعدها، مصدر سابق.

ومن الطريف ما نقله ابن العم الدكتور زهير عبد الكريم الحسني (أستاذ القانون الدولي) مامفاده أني سألت السيد علي نقى الحيدري صاحب كتاب أصول الاستنباط عن أعلمية السيد البغدادي من السيد الحكيم فأجاب عن ذلك:

إنَّ السيد البغدادي أعلم من السيد الحكيم، ولكن يجب عليك الكتمان في هذا الحديث حذراً من بطانة السيد الحكيم.

ومن الطريف (كذلك) ماتحدث به الشيخ عبد النبي العراقي صاحب المؤلفات الكثيرة في رسالة أرسلها من إيران إلى السيد البغدادي أيام الحكم الملكي يعزبه في وفاة صديقه السيد إسماعيل الأصفهاني قدس سره (ت ١٣٧٣هـ) حيث ذكر فيها بأن المرجعية في عصرنا أصبحت كسقيفة بني ساعدة وإنك أولى من السيد الحكيم بالمرجعية وقد تقمصها من دون إستحقاق وقد ذكر أموراً لا نذكرها من جهة بعض المحاذير [لم يكن هناك محذور يا شقيقي لقد قرأت هذه الرسالة في حينها وكتب ما معناه قد انكشف لي أنَّ ترشيح مرجعية النجف الاشرف، لا يتم إلا بإمضاء شاه إيران مُحمَّد رضا بهلوي شرطي الخليج من قبل الولايات المتحدة الاميركية!...].

وصرح السيد عبدالله الشيرازي في شأن السيد البغدادي ما مفاده:

إنني عندما غادرت من إيران إلى العراق وسكنت النجف الأشرف وحضرت بحوث الخارج فسألت العلماء والفقهاء عن أشهر فقهاء العرب في الحوزة النجفية فأشاروا إلى السيد البغدادي ولم يشيروا إلى السيد الحكيم.

وهناك حوار وقع بين السيد البغدادي وأستاذه الشيخ ضياء الدين العراقي وقد استفاد منه الكثير غير أنَّه يرى نفسه أعلم منه، ومن هنا تحدث السيد البغدادي في مجلسه العلمي بأن الشيخ النائيني قدس سره كان يرى ان كتاب طهارة الشيخ الأنصاري قدس سره أدق من كتاب طهارة الجواهر، وهذا الرأي باجماع فقهاء الفرس! خلافاً لفقهاء العرب، بينما كان الشيخ العراقي قدس سره يرى ان كتاب طهارة الجواهر أدق من كتاب طهارة الأنصاري. وهذا الرأي عندي هو الصحيح، ولكنني في يوم من الأيام سألت أستاذي الشيخ العراقي هل تستطيع ان تكتب في الطهارة أحسن مما كتبه صاحب طهارة الجواهر؟ فأجابني: بعدم الإستطاعة! ولكنني أجبته بأنني أستطيع ذلك.

وقد تتلمذت على الشيخ العراقي سنوات طويلة فقهاً وأصولاً وأستفدت منه فوائد كثيرة بسبب انه يفتح المجال الواسع للمناقشات العلمية مع جميع تلاميذه.

وكان السيد البغدادي يعتقد ان الشيخ النائيني أعلم من الشيخ العراقي وكان يقول لو خرج أستاذي الشيخ النائيني قدس سره من قبره الآن لحضرت بخته!..

وقد حدثني بعض الفضلاء الثقة نقلاً عن أستاذه الشهيد السيد مرتضى الخلخالي انظر الى الوثيقة رقم (٢٢) بان السيد البغدادي قد تتلمذ على الشيخ العراقي عدة أعوام وقد سمعت من الشيخ العراقي بان السيد البغدادي من أقراني في العلم والفضل. وكذا حدثني المؤمن ابن العم صادق السيد مهدي الحسني البغدادي: كان الشيخ محمد إبراهيم الكرياسي مندوب مرجعية السيد محمود الشاهرودي (ت ١٣٩٢هـ) ضيفاً عند السيد الوالد في بغداد، وكانا يتحدثان عن علمية الإمام الحسني البغدادي وعن عدالته وتقواه وزهده الذاتي، وكنت حاضراً في هذا الاجتماع أستمع لحديثهما، بيّدت أني بادرت الشيخ الكرياسي مستنكراً أيجوز شرعاً أن تدعو الى مرجعية الشاهرودي وأنت مندوب مرجعيته في مدينة الشطرة، وهو في نظرك أعلم من المتصدين للمرجعية «الدينية» الشيعية في النجف وقم. فردي على الفور قائلاً: نحن كـ«حوزة علمية» ندعو الى فقيه وإن لم يكن أعلم شريطة أن يغض النظر عن تصرفات جهازه الإداري إلا إخلاقي بل على كل من يروج مرجعيته حتى لو إرتكب الموبقات في السر أو العلن!..

أما عمك السيد الأستاذ أدام الله ظله لا يمكن بأي حال من الأحوال الرجوع الى تقليده وترويج مرجعيته بوصفه كشخصية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب سلام الله عليه أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وكان لديه «القوي ضعيفاً والضعيف قوي».

وفي أيام مرجعية السيد أبي الحسن الاصفهاني التقى الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء بالسيد البغدادي في مجلس آل حسين النجم الشمري في طرف المشراق، فوقف أمام السيد البغدادي وألقى كلمة لفترة قصيرة أمام الحاضرين امتدح فيها السيد البغدادي بعبارات بليغة على نهج زيارة الأئمة، فنص على فقاوته الممتازة وعلى أسرته العلمية وسائر صفاته» (٧٥).

في عام ٢٠٠١م جرت بيني وبين الداعية السيد طالب الرفاعي مشادة في قضية ما إلا أنه صرخ في وجهي أن سماحة الإمام البغدادي أعلم وأتقى من المرجعين الحكيم والخوئي» (٧٦).

(٧٥) لمحات من حياة الإمام المجاهد السيد البغدادي قدس سره، (إعداد: الدكتور حسين علي العبودي)، تدريسي في كلية الهندسة - جامعة الكوفة، و/انظر: التحصيل في أوقات التعطيل، ج: ١، ص: ٢٦ وما بعدها، مصدر سابق، و/انظر: علي الحسني البغدادي، معالم الإمامة في فكر السيد البغدادي، ط: ٢٠١٣م، مؤسسة التاريخ العربي، ص: ٩٣ (بتصرف خفيف)، و/انظر: محمد حسين كاشف الغطاء، العبقات العنبرية، تحقيق: د. جودت القزويني، ط: ١٩٩٨م، بيروت، لبنان، ص: ١٦١.

(٧٦) انظر بتوسع فقرة: «طالب الرفاعي لقاء ومصارحة ثقافة الإستفزاز.. ثقافة الاعتذار»، في كتابنا: ايران والعراق اسرار وقضايا، ص: ١٦٨، مصدر سابق.

وفي عام ٢٠٠٢م زارني المرحوم الدكتور علاء الدين حسن القبانجي عندما كنت لاجئاً سياسياً في سوريا، وقال لي بالحرف الواحد: زار السيد الوالد سماحة السيد الجد رضوان الله عليه وقال إنَّ هذا السيد أعلم من السيد محسن الحكيم، فكنت متعجباً من هذا التصريح بل راح الى أبعد من ذلك بل أنَّه أعلم من المرجع الشهير السيد أبي الحسن الاصفهاني رحمة الله عليه.

أما في أعلميته فلا يختلف اثنان أنه كان من اللامعين ضمن تلاميذ الملا كاظم الآخوند الخراساني الهراقي، حيث امضى على ما سمعته بتواتر من اساتذتي قرابة أحد عشر عاماً في التلمذة على يده، وقد كان شائعاً في أوساط الحوزة وقتها أن البعض عندما كانت تتعسر عليه المشارب في حل فرع فقهي كان يرسل بشكل عفوي اثنين من تلاميذه أو ثلاثة إلى السيد البغدادي قَدَسَتْ وَيَعْرُضُونَ عليه الفرع الفقهي بشكل عادي، فكان يسهب في حله ويقرر المسألة فيعودون إلى استاذهم وبالتالي يجيزها لنفسه!!!، وقد تعددت هذه الحالات كثيراً حتى أنني استطعت القول بكل وضوح وتأکید أن اثنين من كبار علماء الحوزة وهما السيد البغدادي والشيخ عباس الرميثي وكلاهما من تلاميذ الآخوند الممتازين رفا العديد من الرجال العلمية ببحوث وحلول عديدة، وكانت هذه الابحاث يصادرها أولئك لتسجل بأسمائهم، وإني اعرف العديد منهم بأسمائهم(٧٧).

وما دمننا نستعيد في الذاكرة أفضلية السيد البغدادي كان الشيخ مُجَدَّ مهدي الخالصي الكبير (ت ١٣٤٣هـ) في ديوان الشيخ مُجَدَّ آل حسين النجم الشمري وكان البغدادي جالساً إلى جنبه مع حشد من الفضلاء والفقهاء فحرر الشيخ ضياء الدين العراقي مسألة فقهية شائكة! فكان للسيد البغدادي القدح المعلن في حوار مع استاذة فإحتدم الجدل وتعالَّت الأصوات بين الجانبين فكان الانتصار العلمي له البتَّة.

إنَّ السَّيِّدَ البغدادي غادر النجف الاشرف في فترة زمنية ليست بقصيرة متوجهاً الى الكاظمية لزيارة الإمامين سلام الله عليهما ونزل ضيفاً لدى أبناء عمه، وحين مكوثه زاره الشيخ الخالصي وبعد فترة الاستراحة وتبادل الكلمات الودية الصادقة.. **خاطبه** الشيخ رحمه الله بأعجاب على ذلك الحوار والنقاش الفقهي الرائع، الذي جرى بينه وبين المحقق العراقي.. ثم بعد ذلك اقترح عليه بـ«الهجرة» من النجف والاقامة في الكاظمية وتعهده بتأييده ومساندته وترشيحه (من بعده) للمرجعية الشيعية الإسلامية، والسَّيِّدَ البغدادي يبتسم على هذه المشاعر الرسالية الصادقة.. ولم يُجب!..

(٧٧) حسن الكشميري (مقالة) في موسوعة: «التحصيل في أوقات التعطيل»، ص: ٥، ج: ٥، مصدر سابق.

ثم اردف متسائلاً: ترى أنتصور الإيرانيين من الفرس العنصريين، والمشاهدة المناطقيين بالذات يرجعون اليك في الفتيا والتقليد. اذن.. يجب عليك المغادرة والاقامة بين عشيرتك، وأبناء جلدتك..

بيد أن السيد البغدادي قال له بكل هدوء:

شيخنا أن الله الواحد القهار ينتقم من كل عنصري أو مناطقي لا يطيع الحق كسنة.. ثم أنا لست حريصاً على هذا الأمر، إلا إذا فرض عليّ هذا الواجب الشرعي.

فتعجب الشيخ.. والجالسون معا.. من هذا الحس الایماني العميق.

- لتوقف قليلا عند هذه النقطة الاخيرة من هم هؤلاء الجالسون في هذا الاجتماع المغلق؟..

إن من أبرز الحضور في تلك الجلسة: الشيخ عبد الحسين الخالصي والشيخ علي الكليدار والشيخ عباس الجمالي والسيد عبد الامير ال السيد حيدر والشيخ مهدي الازري والحاج عبد الحسين الجلي وملا سلمان الانباري والاخير لا زال حياً، وقد سمعت منه أنا شخصياً في ستينيات القرن الماضي وبحضور السيد الأستاذ الأكبر.

ومهما يكن من ذلك كله.. فقد قدر الله سبحانه وتعالى، أن يحقق ما نطق به السيد البغدادي للشيخ الخالصي رضوان الله عليهما وما تصبو اليه الامة وذلك عام ١٩٤٦م رُشِّحَ لمنصب المرجعية الرشيدة، وغدا بحمد الله تعالى زعيماً دينياً يؤثر على مسيرة الاحداث العامة.. مدافعاً عن كرامة الامة وكبرائها في كل المستويات خصوصاً في منتصف خمسينيات القرن الماضي.

وبعد هذه الفرشة العريضة عن علمية السيد البغدادي ننتقل إلى وقفة عن أهمية مرجعيته الرشيدة وتأثيرها على المراجع الدينيين في عصره وهي:

في سنة ١٩٧١م رأى مجموعة من مقلدي السيد محمد الحسني البغدادي هلال شهر شوال في بغداد، فحكم السيد تبعاً لذلك بالعيد، وحدث أيضاً لغط كبير بين الناس، حيث أن السادة من آل الحكيم امتنعوا عن إقامة صلاة العيد، هذا بالرغم من أن السيد أبا القاسم الخوئي وجملة من المراجع الموجودين آنذاك أقروا حكم السيد البغدادي وصلوا صلاة العيد تبعاً لها.....(٧٨).

(٧٨) عصام الحسيني الياسري، التحول من الرؤية الى الرؤية في مهازل رؤية الهلال المعاصرة وحتمية التحول من الرؤية البصرية إلى الرؤية الفلكية باعتماد مسلك الاطمئنان من تحقق الاقتران، ط: ١، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م، ص: ٣٥ وما بعدها.

في الوقت الذي أجد أستاذي السيد الخوئي لا يرى العمل بحكم الحاكم الشرعي متى ثبت عنده وحكم به وهذا بخلاف ما شاهدناه في عام ١٩٦٤م عندما حكم السيد الحكيم برؤية هلال شهر شوال نفي حكمه ولم يفطر هو ومقلديه! وما أدري هل الخوئي تبدل مبناه الفقهي، أم لا يعترف مبدئياً بفقاهة الحكيم أم تصفيات حوزوية، وإن عشت أراك الدهر عجباً؟!..

ومهما يكن من هذا الطرح كله.. فالبغدادي بحكم صراحته المعروفة ووطنيته، التي لا غبار عليها، وكونه ضليعاً في «الفقه التقليدي» كان قادراً على كسر طوق الحصار المفروض عليه، وأن يواجه التهم الكاذبة، التي تطعنه وتطعن كل الخط الرموزي الثوري المعرفي.. البغدادي بحكم هذه العوامل والصفات وأخرى غيرها كان قادراً على إيجاد ظاهرة لـ «البحث الخارج» ذات الجدل الذي يوازن كثيراً من جدل «الدروس الفقهية» التقليدية السطحية... فهو يملك كل أدوات هذه الظاهرة، التي كان بإمكانها أن تحد من سلبات «حوزة النجف» على أكثر من صعيد...

... إلا أن عدم تصديه لهذه الظاهرة لا يعود فقط إلى عامل الأموال الذي حاصر «المرجعيات الثورية» كلها... بل إلى عوامل إحباط أخرى... وربما عوامل «معرفية - فقهية» إشكالية جعلته متردداً في الإقدام على ذلك (٧٩).. وقد مررنا في كتابنا «صناعة العقول» على رأي البغدادي، الذي يرى في «التقليد» أنه لا دليل على «وجوبه الشرعي» أو أنه «لا أصل له» - حسب عبارته - كمبنى معرفي ساد عبر التاريخ في سياق نظام إسلامي معرفي بشري موروث، وإذا ما أضيف إلى رأيه هذا، آراء أخرى حول «علم أصول الفقه».. و«الفقه»، وال«الأعلمية» ومجالات أخرى، يمكن القول بأنه كان يعيش صراعاً معرفياً داخلياً سيتحول إلى عوامل إحباط له يدفعه إلى عدم الاهتمام بـ«طبع رسالة عملية» جادة، أو التصدي لمثل تلك الظاهرة. «البحث الخارج» الذي يمكن له أن يوازن بعمقه «المعرفي الكلاسيكي» بحثاً سطحية كانت تملأ مساجد النجف...

كان السيد البغدادي «مدركاً» لخلل النظام المعرفي البشري الديني الموروث، وصراعه الذاتي انتهى به إلى ذلك «الإدراك».. وواقعه أبقاه في موقع «المراوحة» الميدانية، فلا هو كان مهتماً نفسياً لأن يوظف صراحته وشجاعته وتقواه بوجه «أمراض الحوزة».. ولا كان في موقع العزلة التامة السلبية، فاختر «الممكن».. من وجهة نظره.. من موقع «مرجعي» له «رسالة عملية رمزية».. ومنهج «تفريغ»

(٧٩) انظر بتوسع: نقد العقل الديني، ص: ٨١ وما بعدها، مصدر سابق و/انظر: عباس شاهين، ترجمة: حامد هليل رسن القريشي، المطارحات على المطارحات في نقد العقل الديني، فقرة: «التقليد».. مقولات تأسيسية واهية» ط: ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م، دار احياء تراث الإمام البغدادي، ص: ٩٦ وما بعدها و/انظر فقرة «آيات الثناء عليه»، معالم الإمامة في فكر السيد البغدادي، ص: ٧١ وما بعدها، مصدر سابق.

صراحته وألمه، ونظافته كأميرٍ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، عبر «ندوته العلمية الشهيرة»، وما تشهده من «نقاشات عالية المستوى» لكنها «ضيقة الدائرة»، موازناً ذلك بما يكتبه عن «الفقه الجهادي»، وبمساندته لما يراه صحيحاً، ويصب في خدمة الإسلام، كوقوفه المشهور مع الإمام الخميني في النجف الأشرف في وقت كان فيه الأخير يعيش عزلةً قاسية، وحرباً شعواء.

أجل.. أجل كان الإمام البغدادي يبادر ويتحرك بألم في سبيل استثمار الفرص وتحريك الأمة وتوحيدها إلا أن مرجعية الحكيم وبطانته المنحوسة المشبوهة حالت دون إتمام مشروعه لإسقاط شاه إيران الطاغية.

ومن باب الاستطراد ومن قاعدة الشيء بالشيء يذكر عندما كنت لاجئاً سياسياً زارني في مدينة قم المعارض العنيد السيد حسين حفيد السيد الأستاذ المؤسس الخميني يهتني بسلامة الوصول الى إيران، فكنت شاكراً على هذه المبادرة الكريمة وبعد ان استقر به المقام، بادرنى، قائلاً: بكل صراحة وأمانة تاريخية عن ظلامة جده عندما كان منفياً في النجف واجه مؤامرة تشهير وتسقيط خصوصاً من السيد محسن الحكيم وبطانته الشاهنشاهية اللعينة المهجينة.. ولولا مساندة سماحة جدك الإمام البغدادي التي لم تتردد ولم تتلکأ في إعلان تأييد مواقف جدي الجهادية بجرأة قل نظيرها، وفي مؤسسة «دينية» نجفية تسرح وتمرح في حينها بعملاء اميركا وبريطانيا وايران والسلطة على حد سواء لمواقف جدي الجهادية الرامية لإسقاط النظام البهلوي لطرده شر طرده، ولا يعود له وجود على الساحة النجفية، ولكن أقول بالتأكيد بعد رحيل جدي نُصب السيد علي الخامنئي مرشداً أعلى للجمهورية الإسلامية نجده دعم كل من عارض جدي في طليعتهم أزالام السافاك وهؤلاء هم الذين همشوا جدك الإمام البغدادي شهد الله وشهدت الملائكة سببه نزعتة العروبية وعراقته المحضة وتصريحاته ضد الشاه الجريفة القائلة: لا فرق بين حكومتي ايران و«إسرائيل»، (مجلة «العمل الشعبي» العراقية بتاريخ ١٩٦٩م) أو شط العرب للعراق (صحيفة الثورة الرسمية العراقية بتاريخ ١٩٦٩) أو مطاردة الجواسيس للدول الاجنبية (مقابلة صوتية عبر الاثير بتاريخ ١٩٦٩م) بحكم هذه التصريحات والفتاوى وأخرى غيرها لم ولن نجد في ايران الثورة معلماً في قاعات الجامعات الإسلامية الاكاديمية أو في الساحات والشوارع الايرانية! أو إقامة مؤتمر إسلامي يليق لمقامه الرسالي.

ومهما يكن من هذا الحديث الجريء، أذكر لقارئتي الكريم موقفاً واحداً لمساندة السيد الخميني:

في صيف ١٩٦٩م فوجئ السيد البغدادي بزيارة عبد الفتاح الياسين التكريتي أحد أعضاء مكتب العلاقات العامة «المخابرات العامة حالياً» بنفسه على غير موعد، وعلى غير سابقة، وقد احتل أعلى المناصب الحكومية والحزبية أبرزها: وزير شؤون الحكم المحلي، وعضو القيادة القطرية للحزب، وجلس، وكان برفقته عبد

الحسين الرفيعي مسؤول فرقة حزب السلطة بالنجف الأشرف، والسيد حسين عباس الكليدار سادن الروضة الحيدرية، وتحدث الأخير بصوتٍ منخفضٍ قائلاً:

حصل بعض التوتر بين «القيادة السياسية للحزب والثورة»، وبين السيد روح الله الموسوي الخميني، بسبب موقفه غير الواضح من أزمة شط العرب بين العراق وإيران، لذلك ارتأت «القيادة» أن تنبه المراجع المتصدين، وفي مقدمتهم سماحتكم أن لا تقفوا موقفاً سلبياً، حين يتم إبعاده في الوقت المناسب خارج القطر بموجب قرار اتخذ الأسبوع الماضي، بوصفه لاجئاً سياسياً غير مرغوب فيه.

فأجابه السيد البغدادي متسائلاً بامتعاض: من هم المراجع الذي اتصلتم، أو ستتصلون بهم؟..

أليس البعض، وكما أنتم تعلمون؟.. غدت برانياتهم (يقصد مكاتبتهم) ممثلات «سفارات بلا سفير» عن طريق جهازهم الإداري لمساندة سياسة الشاه الطاغية.

ألم يكن البعض منهم يباركون هذه الخطوة اللاشرعية للخلاص من وجوده الجهادي والمرجعي؟!..

أوليس تنفيذ هذا القرار الرسمي المرتقب؟.. سوف يحدث انتفاضة، على ما أعتقد، لا تقهر في طول البلاد وعرضها.

أم ترانا نسكت لا نتحرك؟.. لا.. أنا أول من يساندها قولاً وفعلاً، مهما كُلف الأمر من تضحيات في سبيله.

في اليوم التالي ذهبت إلى منزل السيد الخميني، وبصحبتي الشيخ نصر الله الخلخالي، والسيد محمد رضا الأشكوري صديقي، الذي أحبه على طول الخط مُنذُ عرفته، وهو سبط السيد أبي الحسن الموسوي الاصفهاني وعندما التقيتُ السيد الخميني وأخبرته بما جرى من حديث المؤامرة، وأنا أشعر بحزنٍ ثقيلٍ يترسب في أعماق روحي ونفسي لما وصلت إليه «المؤسسة الدينية» من تسيبٍ وضياعٍ واختراقٍ، ولكن الذي ادهشني هو أنَّ ما رأيته منه رضوان الله عليه أنه لم يكثرث، ولم يضطرب بما سمع، بيّد أنه أشار على ولده السيد الشهيد مصطفى لزيارة السيد البغدادي، وتقديم الشكر الجزيل له على موقفه الرسالي، وكان بصحبته الشيخ حبيب آراكي، والسيد كاظم كرمي، والشيخ الدكتور محمد صادق طهراني (٨٠).

بالمناسبة أقول: بعد إستشهاد نجله السيد مصطفى بادر سمachtته بإصدار أمرٍ لأبناء النجف الأشرف بإقامة اضراب عام، وأكد على علمائها وحوزائها العلمية من

(٨٠) في مواجهة الدين الآخر مذكرات احمد الحسني البغدادي....، ص: ٣٥ وما بعدها، مصدر سابق.

خلال ترك صلاة الجماعة، وتعطيل الدروس الحوزوية لمدة أسبوعين، وأقول للتاريخ، والتاريخ لا يرحم: إنَّ حوزة النجف و«الرموز المتصدية» بالذات لم تستجب لتنفيذ هذا الأمر!!.. وكُنْتُ أنا الوحيد، الذي نفذ أمر الإمام، وعلى إثر هذا الموقف بعث السيّد الإمام القائد جهازه الإداري وفي مقدمتهم: السيّد محمود دعائي، والسيّد محتشمي، والشهيد الشيخ جعفر باقر محمدي، والشيخ نصر الله الخلخالي، والسيّد محمّد رضا الأشكوري يقدمون الشكر الجزيل على تسجيل هذا الموقف.

ولقد أصيب الحميني بصدمة نفسية أخرجته عن طور خطابه الإنبعائي الرسالي ويزف تلك المقولة: (في ختام بحثه الفقهي على طلابه في العطلة الصيفية في النجف) المناطقية اليتيمة في حياته: «أنا لست نجفياً إنما أنا قمي». ومن حقنا أن نعلق قد يغدو هذا الخطاب لقاء الحجة الشرعية والاخلاقية أمام الأمة هذه الحوزة «الدينية» وواقعها الإخترافي المتغلغل من إقليمية ودولية حديثاً وقديماً، كما أكدنا في المقدمة والمدخل من هذا الكتاب.

ولهذا يؤكد الباحث المحقق الدكتور شعبان:

كان البغدادي عدوًّا لدوداً لشاه إيران ووقف بصلافة إلى جانب انتفاضة خرداد عام ١٩٦٣ منحازاً إلى جانب الشعب الإيراني، ولعلَّ موقفه هذا جعله قريباً من السيد الحميني بعد أن كاد الأخير أن يحاكم، وتصدر أحكاماً ثقيلة بحقه، لولا التضامن معه، ومنحه درجة الاجتهاد باعتباره «آية الله». وحسب الدستور الإيراني فإن ذلك يمنحه الحصانة. وقد اضطرَّ بعد استجوابه إلى مغادرة إيران باتجاه تركيا، ومنها إلى العراق، واستقرَّ بالنجف كما هو معروف لنحو ١٤ عاماً حتى قامت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٨ فأبعد إلى الكويت، بناء على اتفاق عراقي - إيراني، كان تنفيذاً لاتفاقية ٦ آذار (مارس) ١٩٧٥ بين شاه إيران مُحمّد رضا بهلوي ونائب الرئيس العراقي صدام حسين، ولكن الكويت رفضت استقباله، فاضطرَّ للتوجّه إلى باريس، ومن هناك واصل إذكاء روح التمرد والانتفاضة ضدَّ الشاه حتى انتصرت الثورة في ١٠ شباط (فبراير) ١٩٧٩ وعاد الحميني إلى طهران.

وخلال وجوده في النجف منذ ١٩٦٥ ولغاية عام ١٩٧٣ (وفاة السيد الحسيني البغدادي) كانت علاقاتهما جيّدة وحيدة والزيارات بينهما قائمة. ولعلَّ جزءاً من ذلك يعود إلى موقف الحسيني البغدادي الداعم لانتفاضة خرداد من أحداث الثورة ومن الحميني شخصياً، وكانت الفاتحة قد أقيمت في النجف على أرواح شهداء الانتفاضة، وحضرها الحسيني البغدادي بنفسه، وكان لذلك تأثير كبير على حركة التضامن، حيث كان بعض رجال الدين متردّداً أو أنه اتخذ مواقف ذات سقف أدنى من موقف السيّد الحسيني البغدادي(٨١).

(٨١) الإمام الحسيني البغدادي...؛ ص: ١٠١ وما بعدها، مصدر سابق.

وبالعودة الى أصل الموضوع كان من الممكن للبغدادي أن لا يقضي حياته في هذا الموقع «الممكن» الذي ارتأه أو استقر عليه، وكانت صراحته وشجاعته ونظافته وأعلميته تؤهله للتفكير في انتزاع فرص، أو إيجاد مكنات، تؤثر في مسار «الحوزة النجفية» وتقتحم الواقع السياسي للسلطة والأمة.. لو انه استطاع أن يتجاوز رتبة الموروث المستقر في عقله حول «علاقة الفقيه بالسلطة»، إذ لم يكن قدراً للبغدادي أن «يقاطع» الأنظمة السياسية أو يتعاطى معها بـ «حذر» في بعض المنعطفات التي يرى لزماً عليه أن يتدخل فيها.. كما لم يكن قدراً عليه، أن يقود مواجهة علنية ضد هذه الأنظمة التي اتهم ظلماً وعدواناً بأنه يتعامل معها، والتي شكلت قيداً نفسياً إضافياً عليه في هذا المجال. وكان مفروضاً له أن يوظف صراحته وشجاعته وأعلميته، ويكسر الأطواق التي فرضت عليه، وأن يفكر بإيجاد مؤثر سياسي محلي على «الحوزة» النجفية، وأن لا يتركها تحت تأثير شاه إيران، وينزل إلى العمل في الميدان، وينتزع فرصاً، وهذا ما لم يفعله، وما يمكن أن يكون مجالاً لنقد السيد محمد الحسيني البغدادي، فقد ضاعت صراحته وشجاعته وأعلميته ودفعت الأمة ثمن ضياعها غالياً.

وإذا كان آخرون غيره، قد اقتحموا الميدان، ولم يؤثروا التأثير المطلوب، فإن «عروبة» أو بالأحرى «عراقية» البغدادي المحضة، كان بإمكانها أن تضاف إلى مكونات شخصيته، وتجعل من نمط تأثيره في الواقع أكبر من تأثير الآخرين، كما أن موقعه النجفي يمكن أن يضاف إلى مكونات شخصيته تلك كعامل آخر، ويمكن أن يكون عامل قوة له، لا عامل ضعف، إذ إن موقعية النجف وجدلها «الحوزوي»، يغير واقع كربلاء وواقع الكاظمية كأماكن مقدسة، وحواضن ثانوية لـ «المرجعية».

إذ بخلاف ما كان يرى من أن وجوده في النجف الأشرف كان يشكل قيداً على تحركه انطلاقاً من وعيه الحاد باستهداف النجف الخارجي والداخلي الاستثنائي، التي تجعل من مهمة التصدي لدور ما «أمراً مستحيلاً».. كانت وجهة نظر ولده السيد كاظم الحسيني البغدادي بإمكانية كسر والده للأطواق المفروضة عليه وعلى النجف الأشرف، وإمكانية قيامه بدور ما... وربما استسلام البغدادي - الكبير - بقناعته المارة الذكر هو من وضع السيد كاظم الحسيني البغدادي في موقع «ردة الفعل» على الواقع «الحوزوي» السائد، و«التمرد» عليه، لكن أيضاً دون تخطيط... لأن عدم استجابة والده له تجعله فاقداً لعناصر هذا التخطيط... ومهما يكن من أمر فمع وجهة نظره بتحريك والده في النجف الأشرف بغض النظر عن آليات هذا التحريك، التي أشرنا إليها فإن البغدادي (الابن) انتهت به الحال إلى أن يعمل بـ «ردة فعل» في أحيان كثيرة، وبما يجعل من هذه الآليات مرفوضة، وأول رافضيها هو البغدادي - الكبير - (٨٢).

(٨٢) أنبياء وأصنام، ص: ١٦٩، (بتصرف خفيف) مصدر سابق.

أطروحة فقهية.. تأسيسية إستباقية

إن كتابه الخالد الذكر «وجوب النهضة رؤية تأسيسية إستباقية حول الجهاد الدفاعي» كُتِبَ قبل نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤)، وهو عبارة عن آراء فقهية غير مسبوقة حول الجهاد الدفاعي حصرياً، وهو يعيد قراءة الفقه المقاوم على ضوء مقتضيات الأدلة الاجتهادية والاصول الفقهية بطريقة متخترلة في التماس الحق والوصول الى اقرب الوجوه اعتقاداً لمراد الشارع المقدس.

إنَّ الفقهاء والدعاة لا يدركون حجم التحدي الحضاري الاستكباري او طبيعته، لذلك سقطت دولة الخلافة، وانتصر الجيت والطاغوت وتمكن الاستكبار والكفر العالمي من تمزيق العالم الاسلامي وجعله إمارات ومشيخات ودويلات من خلال اتفاقية سايكس بيكو، في حين يموت ملايين من أبناء الأمة جوعاً وعرياً وهلاكاً في كشمير والشيستان وبنغلادش وتشاد والصومال والسودان ومصر وفلسطين تتصدق عليهم هيئات الاغاثة الدولية والمنظمات العالمية!..

إنَّ هذا الكتاب يستحق درساً وتأملاً بوصفه صدمة إيديولوجية جريئة عميقة هدفها طرد المستعمرين المستكبرين الكافرين الفاقدين لشرعية العواصم الخمس المشهورة من الاوطان العربية والاسلامية، واحباط اخدوعة الحوار الاسلامي - المسيحي بين الفرقاء.

إنَّ هذا الكتاب لم يضاهيه بها كبار قامات الفقه السني والشيوعي قديماً وحديثاً، وكبار المفكرين الاسلاميين المعاصرين.

يسعدني - حقاً - أن أبذل قصارى جهدي في تقرّظ هذا الكتاب الفقهي، الذي بقي في خزانته نصف قرن بخطه الشريف.. وشاءت الاقدار أن يخرج الى مكتبتنا الفقهية في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م التي اشتعلت بين أبناء العروبة والإسلام ضد المؤسسة العسكرية الصهيونية.

إنَّ هذا الكتاب يُعَدُّ مصدراً رئيسياً للمدارس الفقهية الإسلامية على اختلاف انتماءاتها المذهبية، بل أفضلُ من كتب في الجهاد الدفاعي من حيث السعة.. والتفريع.. والتحقق.. والوجدان السليم يشهد بذلك حين مقارنته بدقة وامعان مع جهاد الجواهر، وجهاد تكملة المنهاج.

(٨٣) وهذا خلاف الزعم القائل الذي صرح به المؤرخ عبد الرزاق الحسني أنَّ السيد البغدادي حرر هذا السفر النفيس بعد أن فشلت ثورة العشرين عسكرياً. أنظر: جهاد السيد نور السيد عزيز الياصري، ص: ١٣٨، مصدر سابق.

وقد جاء في مقدمته: لما بان الضعف في الحكومة العثمانية وشاع مهاجمة أعدائنا على الممالك الإسلامية، كتبنا هذا اهتماماً للجامعة الدين واستقلال المسلمين، ورفعاً للاستعباد عن أحرار العباد وتطهيراً لأوطانهم عن سلطة المستعمرين وعدوانهم، وتأليفاً جامعاً بين إخواننا كافة، وتحذيراً من مكائد أعدائنا الذين طغوا في البلاد فأكثرُوا فيها الفساد، وقد سميت: «وجوب النهضة لحفظ البيضة».

فالرجاء من متصفح صفحاته تسديد هفواته، ومراعاة الإنصاف، ونبذ الجدل والخلاف، كما أنَّ الرجاء منه تعالى الهداية إلى إخلاص النية وحصول الغاية.

هذا، وأني أعتذر إليك من زيادة الاستدلال بالأدلة على وجوب الجهاد الدفاعي خصوصاً الكتاب من وجوه:

الأول: لبيان الاهتمام الأكيد في هذه المسألة.

الثاني: لاختلاف الأنظار في الدلالة بداهة اختلافها بحسب الاستظهار، فربَّ دليل في نظر شخص يكون قاصراً وفي نظر آخر يكون واضحاً، بل ما يكون واضحاً، يكون مختلفاً في مرتبة الوضوح، فرب شخص يرى دليلاً من أوضح ما يدل على المسألة بخلاف شخص آخر فإنه لا يراه كذلك، وهذا كله مبني على مباني مختلفة محررة في محلها.

الثالث: لبيان أنَّ بعض الأدلة تسقط بالمعارضة فيحتاج بعد ذلك إلى دليل آخر.

الرابع: لإتمام ما كان قاصراً لغيره وهذا قد تكرر مراراً، وقرناه من وجوه شتى، لاسيما في مقام الاستدلال ونحوه لرد ما قد يتوهم من وضوح عدم دلالة الأدلة عليه ولاسيما الكتاب.

الخامس: لرد ما يتوهم معارضاً.

السادس: لبيان أنَّ الدفاعي مندرج في أدلة القتال فيوقف ذلك على ذكرها ومراجعة التاريخ البين وردود الآيات في خصوص الدفاعي.

السابع: لبيان عدم صراحة آية من الآيات في خصوص الابتدائي بل هي: إما في الدفاعي وإما هي شاملة.

الثامن: لبيان اختلاف مضامين الأدلة كتاباً وسنةً، فإنه تارة تدل على قتال المقاتل وأخرى على الأعم وثالثة في الدفاع، ورابعة في الأعم إلى غير ذلك مما سنذكره (إن شاء الله) ليتضح لك بذلك أنَّ المقيدات هنا غير صالحة لتقييد المطلقات.

التاسع: لإثبات صدق الجهاد والقتال في سبيل الله عليه، فإن ذلك لا يتضح إلا بعد مراجعة الآيات ونحوها.

العاشر: لإثبات إطلاق الأدلة فإن ذلك لا يتم إلا بعد مراجعتها ونحوها.

الحادي عشر: لبيان دفع جملة من الشبهات الموقوف دفعها على البسط.

الثاني عشر: لبيان استفادة وجوب الاستقلال من أدلة الدفاعي.

الثالث عشر: لذكر أدلة لم تعنون في كتب الفريقين.. كدلالة أدلة الكف على الجهاد الدفاعي.

الرابع عشر: لبيان زيادة التتبع وجمع الآيات والإخبار بقدر الإمكان.

الخامس عشر: إننا معاشر الإمامية وإن حصرنا الحكومات الصحيحة بـ«آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم» إلا أننا مع ذلك التزمنا بكل حكومة إسلامية، فقد يتوهم المتهوم أنا بقولنا ذلك لا نقول بالحكومات الإسلامية. فانظر لما كتبناه (هنا) كي تعرف حقيقة الحال إلى غير ذلك من الثمرات الموقوف ببيانها وإثباتها على البسط والتاريخ وذكر حال الأدلة ونحوها.. هذا مع أنني لم اذكر الآيات تفصيلاً بل في كل مقام أمكن إدراجها في عنوان خاص كالکف ونحوه.. وإن لم يكن في ذلك محذور اكتفينا عن ذلك بهذا العنوان الإجمالي، بل وكذلك السنة، فإننا وإن تعرضنا إلى ثلاثين طائفة منها بل أكثر.. إلا إننا اقتصرنا على خبر واحد من كل طائفة، بل والإجماع كذلك بداهة أن نقل عبائر الفقهاء رضوان الله عليهم في المسألة مما لا يسع الكتاب.

ومن جميع ما ذكرناه.. اتضح لك فساد الإنكار علينا بإطالة الاستدلال بـ«الأدلة لاسيما الكتاب» هذا من حيث وجوب القتال مطلقاً. أما من حيث تشخيص إضرارهم بالدين فالأمر أظهر من أن يورد عليه بعد التسالم على الأهمية القطعية في نظر العقل والعقلاء. وكذلك الكلام في التأليف وإزالة أسباب الفرقة ونحوها مما سطرناه في الكتاب فتبصر (٨٤).

سبحان الله! داخلني الأسف الأسيف.. حين نقلت هذه الفقرة من هذه المقدمة لمست بوضوح: مؤامرة فقهاء المدرسة الفقهية - الأصولية «الإمامية الشيعية» في الازمنة المتأخرة حذفوا كتاب الجهاد الذي يستهدف تحرير الانسان نوع الانسان من الاستكبار والاستغلال والاستئثار من كتبهم الفقهية الموسعة كـ«المدارك»، و«كشف

(٨٤) محمد الحسني البغدادي، وجوب النهضة رؤية تأسيسية إستباقية حول الجهاد الدفاعي، تحقيقات وتعليقات وترتيبات فصوله أحمد الحسني البغدادي، ط: المحفظة الرسمية الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص: ٩ وما بعدها.

اللثام»، و«الحدائق»، و«مفتاح الكرامة»، و«المستند»، و«شروح العروة الوثقى»، وغيرها.. ولم يُعَدَّ هذا المبحث محوراً للدراسات الفقهية الاستدلالية المعقدة.. بعكس سائر المباحث الأخرى، لا سيما كتاب «الطهارة.. والصلاة..» و«البيع والخيارات».. لذلك تجدها تميزت بوضوح بالعمق والدقة والتحقيق والشمولية والكثير منها ترفاً فقيهاً طلاسماً!..

ولا منأى لي عن التنبيه إلى أنني قد حققت هذا الكتاب القيم تحقيقاً علمياً، وقدمت له مقدمة وترجمة مختزلة عن حياة السيد الاستاذ الأكبر وقد تحفت المكتبة العربية الإسلامية بحليته الانيقة في عام ٢٠١٢ ميلادية، وقد عنونته: «وجوب النهضة رؤية تأسيسية استباقية حول الجهاد الدفاعي»، بدلاً عن عنوانه القديم: «وجوب النهضة لحفظ البيضة»!..

قد تسأل: من الذي قيم هذه الأطروحة الإسلامية وثمن جهود مؤلفها؟

بمجرد أن اتحف مكتبتنا الفقهية بمطبوعه الجديد.. تقاطرت عليه طائفة من الرسائل التقريرية من كبار المرجعيات الدينية والفكرية الإسلامية وكنت في حينها أتمنى أن تطبع وتشر نصوصها تخليداً وتقديراً لعواطف اصحابها، وحسب ترتيب اسمائهم الهجائية.. لا على سبيل الاعتبار الاجتماعية.. ومن أبرز هؤلاء: الشيخ عمر التلمساني، والدكتور عمر عبد الرحمن، والشيخ حسن خالد، والشيخ تقي الدين النبهاني، والسيد محمد هادي الميلاني، والشيخ عبد الله القلقيلي، والشيخ اجمد الزهاوي، والسيد ابو الحسن الندوي، والشيخ حسن مأمون، والشيخ محمد سرور الصبان... وكثير غيرهم..

ولكن مع الأسف فقدت هذه الرسائل التقييمية، التي أرسلها هؤلاء الأعلام (باستثناء سماحة السيد محمد هادي الميلاني المرجع الديني في إيران) انظر الوثيقة رقم (٩) من خزانة شقيقي المهندس الشهيد فيصل رحمه الله، حينما داهم منزله، وصادروا بما فيه من وثائق وكتابات وفي مقدمته مؤلفه المخطوط: «محمد الحسني البغدادي زعامة في طريقها عقبات»...؛ والقى القبض عليه، وأقتيد إلى فندق السلام السياحي، وقتل بالرصاص بأمر طه ياسين رمضان الجزراوي أحد أركان النظام.. ذلك كله بعد انتكاسة الانتفاضة الشعبانية - الآذرية عام ١٩٩١ ميلادية.

صراع «حوزوي» مفصلي

* يقول أصحابه فيما يقولون كان الإمام المجاهد السيد البغدادي إماماً للجماعة في أحد مساجد النجف.. وبعد ذلك غداً إماماً للجماعة في الصحن

الحيدري الشريف عام ١٩٤٩ ميلادية.. بَيِّدَ أَنَّ هذه النقلة الرسالية انتابتها معارضة ما كانت مرتقبة.. لماذا وكيف؟!..

** هذه المعارضة من بعض المتزلفين لبعض العلماء المتصدين طمعاً في الجاه وحباً في المال.. ومن ورائهم عناصر وقوى ضالعة وطامعة ومرتبطة بإجهزة التحقيقات الجنائية الملكية العراقية، والسافاك الشاهنشاهية الإيرانية، والمخابرات البريطانية وعلى هذا لم تكن مفاجئة في حساباتنا السياسية، لان السيّد البغدادي مشهور في نكران ذاته وحواراته وأعلميته ومواقفه التي لا تنسى في حرب الاستغلال والاستثمار والاستعمار والإقطاع.

من هنا.. تحرك الشيخ مغيض ابن الحاج سعد راضي (ت ١٣٧٢هـ) زعيم قبيلة الشمرت بالتنسيق مع حلفائه من العشائر النجفية.. وطلب من سماحته ملتصقاً أن يتصدى لإمامة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف بوصفه ألقه فقهاء عصره ومن مراجع الفتيا والتقليد.. ومن الضروري أن يوجد في هذا الموقع الحساس الطاهر الشريف.

إلا أَنَّهُ رَفَضَ هذا الالتماس، وذلك على نهج السلف الصالح من فقهاء الاعاظم (الا ما شذ) من الاعراض عن مثل هذه الامور.. وبعد الإصرار عليه، الذي دام مدة عشر ليال متتاليات (وبعد التي واللتيا) امتثل لهذه الرغبة الملحة، ولان الواجب الشرعي يحتم عليه أن يشمر عن ساعد الجد، وينهض بهذه المسؤولية الإسلامية التاريخية الملقاة على عاتقه.

ومن هنا.. تجمع الشباب والشيوخ من العلماء العاملين والمؤمنين الخبيرين في داره الواسعة المتواضعة على شكل تظاهرة جماهيرية لم تكن هذه الظاهرة الاجتماعية مألوقة في النجف الأشرف حينذاك.. فقدموه لصلاة المغرب والعشاء وأثتموا به، ومن شدة تعلقهم الرسالي به وإنشدادهم، العاطفي اليه.. كانوا يتسابقون في الأئتمام خلفه، وهم يطرحون ما عليهم من الازدية.. بدلا من السجاد الكثير المخصص للصلاة، حتى غدت جماعة مترامية الاطراف يحسب لها الف حساب وحساب.. ومن حيث يحتشد فيها أصحاب الفكر النابحون، ورجال البلد المتدينون.

ومن هنا.. باءت بالفشل الذريع تحركات قوى الثورة المضادة.. وخصوصاً تحركات جمعية منتدى النشر بمحاولاتها العديدة لتقديم المرحوم الشيخ محمد حسن المظفر في هذا المكان الشريف.. اقول (مع الاسف الشديد): في ذلك اليوم المشهود الذي صمم فيه زعيم الشمرت وحلفائه على خروج السيّد البغدادي لأداء الفريضة غير أَنَّ جمعية منتدى النشر مارست اساليب متنوعة لتحقيق اغراضها، وتنفيذ مخططاتها الاخير.. ومن بين تلك الاساليب:

١ - انبرى السيّد محمد تقي الحكيم (ت 1423هـ) (عميد كلية الفقه الأسبق)، واتصل هاتفياً بقائم مقام النجف الاشرف السيّد ضياء شكاره، وتكلم معه بانفعال من اجل أن يقوم بإجراء لازم لتلافي الأمر ضد هذا التجمع الرسالي لأنه على زعمه يثير القلاقل والفتن.

فرد عليه صارخاً:

أتتجاهل هذه الشخصية؟!.. ألم يكن هو الأعلم والأتقى والأصيل حسباً ونسباً؟!..

أحس الحكيم بالمأزق الذي وقع فيه.. مما دفعه الى أن يقول له: إنّ البغدادي عدو النظام الملكي (٨٥).. اليس كذلك؟..

قال له: ثم ماذا؟.. انه بمثابة والدي.. وانه أبو ذر الغفاري في هذا الزمن التعيس.. ثم اغلق الهاتف في وجهه.

ونتيجة هذا الرد الصارم اتهم بـ«الماركسية».. وبعد فترة نقل ابو علي الى نواحي البصرة بوظيفة معلم في المدارس الابتدائية!!

(٨٥) يقول الكاتب القدير عادل رؤوف حول هذه الصراعات في كتابه مُجَّد باقر الصدر بين دكتاتوريتين: ص: ٣٠٨ «ارسلت حاشية الحكيم مجموعات عديدة إلى المدن الرئيسية التي يوجد فيها مقلدوه وانصاره.. ومن أبرز تلك المجموعات مجموعة الشيخ الخطيب مُجَّد علي البعقوبي كانت مهمته منوطة في سوق الشورجة.. وبداية تحركه على تجارها واجه معارضة قاسية أدت إلى سقوط عمامته البيضاء... ولم يهب لنجدته سوى رجل واحد هو: مُجَّد حسين الدلال (الحامي)، فقد أخذ يصرخ وينادي: وادينا.. لكي يثير عواطف الناس، فلم ينفعه ذلك شيئاً... وهنا أقول للتاريخ: بدا لسنوات طويلة.. وكانت حاشية الحكيم لها ثأر لدى السيد البغدادي تريد ان تقتص منه.. واتخذت حملتها على السيد البغدادي في بعض الأحيان شكل حرب مقدسة.. وقد تحدثت بنفسى أكثر من مرة إلى أقرب المقربين للسيد محسن الحكيم وقلت له في احدها ان السيد البغدادي ارتكب بالتأكيد خطأ من منظورهم في فتوى تشجيع ممارسة «الشعائر» الحسينية وان كان لا يناقش في دينه، واجتهاده، بل وحتى في «أعلميته».. وربما كان ضرورياً تصحيح هذا الخطأ، لكن الادانة الكاملة لشخصيته الجهادية الرسالية على هذا النحو ظالمة ولم تكن ممارسة أخلاقية، بل من ورائهم بـ«التأكيد» عناصر وقوى ظالمة وطامحة ومرتبطة بمؤسسة السافاك الإيرانية، وسبب الوحشة على ما يبدو اختلاف مزاجهما.. فقد كان البغدادي صريحاً لا يخشى أن يقول ما يعتقد به حتى في المسائل السياسية الخطرة.. وكان الحكيم مغلقاً» مُجَّد باقر الصدر بين دكتاتوريتين، ص: ٣٠٨، مصدر سابق. و/انظر: أحمد الحسني البغدادي، تأصيل معربي بين الثورة واللاثورية هكذا تكلم أحمد الحسني البغدادي، ج: ٥، قسم: ٢، ط: ٢٠١١م، ص: ٤٩ وما بعدها.

٢ - ذهب غياث الدين بحر العلوم (المحامي) الى صديقه مدير ناحية الحيرة السيد ضياء الدين الحيدري لإنقاذ ما يمكن انقاذه، وقبل أن يفتحه بالمهمة المكلف بها.. بادره مدير الناحية سائلاً: هل من جديد في النجف الأشرف؟..

طبيعي كان سؤاله باعتبار مقتضى الحال (كما يقول علماء البلاغة).. فقال له: متأسفاً باللهجة العامية: «تاليه يلعب بيه البغدادي»!!..

بدت علامات التعجب والاستغراب على وجهه.. ورد عليه بامتعاض:

- لماذا تتهجم على هذا السيد المجاهد؟!.. أليس له صولات في الفقه والاصول؟!.. ألم يكن من رجالات الثورة العراقية الكبرى؟!..

ما هذا وانت يا ابا جلال؟.. وأي صلة تربطك به؟!.. وانت صديقي القديم، وأنا جئت في الحقيقة بمهمة الخلاص من جماعته «فسقة الشمرت» بشكل او بآخر!!.. والتوسط لدى قائم مقام النجف، لأنه من مدينتك ولك خولة معه وصحبة ومودة كذلك.

- انت تطلب المستحيل.. فالسيد البغدادي ابن عمي وقريب مني، ولا قيمة للتسميات واختلاف الالقب.. فهو من اسرة لها شأن عظيم عبر قرون متطاولة، ثم هو ابن النجف البار مولداً ومسكناً ومدفنأ هو ووالده وجده الاعلى السيد أحمد العطار البغدادي، وهو أحق بهذا الاعتبار.

فسكت ولم يفه بأي كلام، وفشل بمهمته، وخرج منه يحرق أذيال الخيبة والخسران!!.. ونتيجة هذا الموقف المشرف.. وجهت اليه تليفقات ما انزل الله بها من سلطان..

ثم انتقل بعد ذلك الى المؤتمن الشيخ أحمد الطريحي (ت ١٣٧٩هـ) حينما بلغ السيد محسن الحكيم ما حدث من مفاجئة جديدة على الساحة النجفية.. فاستغرب بلا ارادة شعورية بهذا الحدث التاريخي.. ثم استدرك الأمر بذكاء برغماتي.. وقال:

تصورت الشيخ عبد الكريم الزنجاني (ت ١٣٨٨هـ) (٨٦) هو الذي حل في هذا المكان الحساس، ولكن الحق يقال: السيد البغدادي وجه من وجوه الإمامية، وكانت

(٨٦) حورب الزنجاني حتى بعد أن تحول الى جثة هامدة - كما يقول الأخ الباحث عادل رؤوف، إذ عندما «زار آية الله السيد أحمد الحسيني البغدادي وبصحبه الدكتور موسى الموسوي والسيد إبراهيم الفاضلي صاحب مجلة العدل النجفية والسيد عباس الحجة والسيد عماد الدين البحراني (خط الخالصي)، السيد محمد كلانتر عام ١٩٧١م في مؤسسة «جامعة النجف الدينية» فتكلم بمضض وانفعال، قال (ما معناه): كنت جالساً في بيتي فرفع عليّ السماعة السيد محمد جمال

لي صحبة ومودة معه فجزاهم الله خير جزاء المحسنين على هذه المبادرة الإسلامية^(٨٧)، ولكن للأسف الاسيف كان صهره السيد ابراهيم الطباطبائي موجوداً، فرد عليه: إن هذا الرجل (يقصد البغدادي) من أين خرج، ونحن الذين كفناه ودفناه بأيدينا؟!..

بيد أن الحكيم على مزاجه الهادئ وكلماته البطيئة، فقد أعصابه كلها مرة واحدة، وكل عضلات وجهه مشدودة بالانفعال!.. ورده بما يستحقه.. وهذا هو حفيد السيد محمد كاظم اليزدي كان ضابط ارتباط بين الحكيم وجهاز المخابرات^(٨٨) السافاكية الشاهنشاهية.

الهاشمي: «سيدنا سيد محمد كلانتر آخر حياتك تضع جثمان الجاسوس «البريطاني» الزنجاني في مسجد الجامعة».

فقلت له: إن مؤسس الجامعة المحسن المعروف محمد تقی إيفاق تركي والشيخ عبد الكريم الزنجاني تركي، فليس من حقي أن أصطدم مع الأتراك. بعد ذلك تحدث مع السيد مهدي الحكيم، قائلاً:

استجب لرأي السيد الهاشمي، وأخرج الجثمان من الجامعة، فقلت له: اتق الله. وأضاف [كلانتر] ومضت الأيام والسنون وإذا بالسيد أصبح يتهم بنفس التهمة «الظالم» التي وجهوها إلى المرحوم الزنجاني، وبالتالي صرح كلانتر: واحدة بواحدة....

إن الشيخ عبد الكريم الزنجاني عند وفاته عام ١٩٦٨ قوطع تشييعه من قبل حوزة الحكيم الباكستانية والافغانية [والتيث] بتوجيهات المرجع الحكيم وأبنائه، وقالوا أنه لا يجوز السير خلف جنازته، بيد أن تلميذه آية الله الخوئي كان له موقف مميز عندما دعا هو وآية الله البغدادي الحوزة الى المشاركة في تشييعه، باعتبار الزنجاني وجهاً من وجوه الإمامية، وحصل له تشييع منقطع النظير، ويذكر أن آية الله البغدادي وآية الله الخميني وآية الله الشاهرودي وآية الله الخوئي وآية الله السيد عبد الله الشيرازي اشتركوا في تشييعه باستثناء السيد محسن الحكيم. (آية الله أحمد الحسيني البغدادي في حوار خاص معه) أنظر: محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين، ص: ٢٧٥، وما بعدها (هامش)، مصدر سابق.

(٨٧) انظر: فقرة: «رحلة الحكيم ملايسات تاريخية.. واجتهادات متغيرة» في كتابنا: «إيران والعراق...»، ص: ٩ وما بعدها، مصدر سابق.

(٨٨) وهذا العداء ليس بجديد فهو حفيد اليزدي العدو للدود للسيد البغدادي ووالده السيد صادق منذ ظهور الحركة المشروطية عام ١٩٠٦م التي تطالب بالدستور ضد الحكم الاستبدادي القاجاري بقيادة الشيخ محمد كاظم الخراساني الآخوند باعتبار ان السيد البغدادي كان عضواً قيادياً في الحركة.. وكان يجتمع بصورة سرية في «سرايب» النجف خشية من السواد الاعظم واليزدي وحاشيته الملعونة.

وكان له دور متميز في تدبير الاعمال التعبوية، ورسم الخطط الاستراتيجية اهمها: بإشارة من استاذة قائد الحركة: اقترح على والده السيد الصادق ضرورة ترك النجف والذهاب الى بغداد لكسب الموقف لصالح الدستوريين.

من هنا.. بدأ التأمر المدروس من قبل حاشية اليزدي حينما أحسوا بنشاطه الخطر.. وحاولوا أكثر من مرة الانتقاص من كرامته وبعد اليأس من ذلك صدرت التهديدات السافرة بـ«قتله».

وما دمنا نستعيد في الذاكرة عن ارتباط الحفيد في جهاز السافاك الايراني. يظن البعض ان جده السيد كاظم اليزدي فقيه الفقهاء؛ وأحد أركان المدرسة الأصولية؛ كان ولم يزل؛ ولم يتقدم عليه أحد منذ وفاته وحتى يومنا هذا؛ وثمة أمر آخر أن الذين جاءوا من بعده مهما حملوا من عناوين فقهية فارغة وأطنبوا في العناوين؛ لكنهم كلهم شراح ومعلقين على رسالته العملية المسماة: بـ«العروة الوثقى» وإذا لم أبلغ أئمتهم طفيليون على نتاجه الفقهي. وربما السبب الحقيقي لم يذكروا دوره في معاضدة الاحتلال البريطاني الفاقد للعواصم الخمس المشهورة كالإسلام والجزية عند كتابة التاريخ؛ هو لدرجته العلمية في الفقه الأصولي!.

لا أدري أليس في القرآن الكريم المنهج القيم في تسمية الناس بأسمائهم وبصفاتهم؟.. ألم يذكر الله أبا لهب وأمرأته حمالة الحطب؛ وذكر أهل البيت وطهرهم تطهيراً؛ وكلاهما أقرب الناس للرسول الكريم (ص) أو هم من قريش

ومن هنا.. أنقل اليك نموذجاً وعلى ما فيه من طرافة لا يخلو من تلك الممارسات اللا مشروعة..

كان يذهب الى الكوفة في العطل الدراسية للاستجمام والراحة.. وهناك يغدو ضيفاً عند العارف الزاهد السيد ياسين الحسيني السعيري، وفي ذلك الوقت كان للبههانية مركز اجتماعي واقتصادي مرموق، وفي العشرة الأولى من محرم الحرام لهم مجلس ضخم في سوق البلد الكبير فارتأى السيد البغدادي قبل الذهاب الى السيد السعيري أن يستمع الى عزاء الحسين سيد الشهداء (ع) قصد الاجر والثواب وكان قارئ التعزية وقتها الشيخ محمد علي قسام (ت ١٣٧٣) وهو من حزب اليزدي.. وعندما انتهى خطابه، ونزل من على المنبر الحسيني توجه الى صدر المجلس ينظر الى وجوه الجالسين فرداً فرداً.. وحينما وصل الى السيد البغدادي وقف على رأسه مخاطبه بـ«اللهجة العامية»: «رحم الله بغداد وبن ما اروح اشوف بغداد».. وحينما استقر به المجلس بادره السيد البغدادي:

- من اين انت يا شيخ؟!!

فرد عليه قائلاً: من عشيرة خفاجة.

- ثم ماذا؟!! من تكن خفاجة يا شيخ؟!! ما هم الا عبيد لنا.. فنحن من أبناء الرسالة المحمدية الخاتمة.. خدم في بيوتنا جبرائيل (ع).

من هنا.. حاول وجوه «البههانية» تهدئة الموقف المتأزم بينهما.. وقالوا: يا سيدنا ما صدر منه مناف.. وما ينبغي أن يتطور الحديث بهذا الشكل..

فرد عليهم رضوان الله عليه لو فرضنا كان السيد اليزدي بمكاني.. ماذا كنتم تقولون؟.

طبيعي اهانة لكرامته لا تغتفر بوصفه مرجع الشيعة، وحامي الشيعة!!

اما انا (ونعوذ بالله من كلمة انا) فاشرف منه من خلال النقاط التالية:

١ - اليزدي أكثر مني مالاً، وهذا لم يكن فخراً، عليّ من حيث أن المال يوجد في قبضة الساقطين والمنبوذين.

٢ - اليزدي يزعم انه من ذرية النبي العربي ﷺ الا أن أمه فارسية انتسب اليها.. وأنا اقول وبكل فخر واعتزاز اني من شرفاء مكة في الحجاز، ولم تطأ قدمي واقدام ابائي بلاد فارس.. فأنا اذن اشرف منه نسباً وحسباً. انظر: فقرة: «نضال مع الدستوريين» في كتابنا: «المسيرة الجهادية والفكرية...»، ص: ١٩ وما بعدها، مصدر سابق.

عشيرة النبي (ص) وكان البلاغ الإلهي لهم أولاً في دائرة الأهل والعشيرة؟ فعلامة نترك النهج القرآني القويم في أبحاثنا عند كتابة التاريخ؛ فهو منهجي؟!..

يعتبر غسان رايح العطية في كتابه (العراق؛ نشأة الدولة) أول باحث شيعي كشف عن الوثائق البريطانية حول السيد كاظم اليزدي؛ وارتباطاته الوثيقة بالبريطانيين. ربما كان يفكر العطية أن أطروحته؛ سوف لا تترجم إلى العربية؛ ويمكن ملاحظة ذلك؛ حيث لم نجد في الكتاب مقدمة كتبها غسان العطية؛ ولكنه كان الباحث الموضوعي الوحيد الذي جعل قراءة النصوص التاريخية التي تخص عبد الرحمن النقيب والسيد كاظم اليزدي بلا طائفية.

وتجدر الإشارة الى أن حسين جميل حين كتب المقدمة للعطية بالعربية فقد تطرق إلى كاظم اليزدي ولكنه لم يذكر عبد الرحمن النقيب لا من قرب ولا من بعد وحذف الجملة التي تخص النقيب؛ حيث تبقى عدوى الطائفية سائرة في مداد مقدمة كتاب العطية المترجم؛ تأن منها وثيقة الوطن؛ علماً أن الكتاب طبع خارج أسوار الوطن وبعيدا عن الرقيب.

وعند الوقوف على التقارير الاعتيادية وليست السرية عن السيد كاظم اليزدي تبين عن مدى علاقته بالاحتلال البريطاني حيث جاء في التقرير لعام ١٩١٩. إن السيد كاظم اليزدي المجتهد الأعظم لم يعارض المعارضة (٨٩).

وجاء في فقرة أخرى من التقرير نفسه؛ كان السيد كاظم اليزدي يعمل بسرية جداً وهو مثل جيد في ولائه للحكومة البريطانية. قدم خدمات عظيمة لنا؛ وأن موته كانت خسارة فادحة لنا (٩٠) (الفقرة ٩٠).

Najaf Politics

٩٠. Looking back over the past 12 months it may be said that the political tone of Najaf has shown a steady tendency in the desired direction.

Although the late Saiyied Kadhim Yazdi worked very much in secret,

(٨٩) تقارير إدارة العراق، (الفقرة ٧٣)، ج: ٤، ص: ٦٨٥.

Iraq Administration Reports 1914-1932, vol. 4, reports 1919, p. 685 .

Iraq Administration Reports 1914-1932, vol. 4, . (٩٠) reports 1919, p. 699

he set a fine example of loyalty to the British Government, and gave us the utmost assistance in establishing ourselves with people. We suffered a severe loss in his death; but such with his influence during his lifetime that, though he is no longer here to assist us, there would seem to be no falling off in political tone, and the office of Chief Adviser has fallen upon the worthy shoulders of Shaikh al Shari' at al Ispahani.

وفي فقرة أخرى ورد: لا داعي للحفاظ على سرية الدور الفعال الذي لعبه السيد كاظم اليزدي طول الوقت بعد وفاته (٩١).

وأن المثير للدهشة أنه أراد من الحاكم السياسي الإنكليزي المحتل في النجف أن يكون من الشاهدين على وصية اليزدي بناء على طلبه؛ ويقول الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء:

وكان قد اشتد مرضه فبعث الشيخ عبد الرحيم اليزدي خادمه الخاص؛ وجمع له من أعيان تجار النجف من العجم والعرب وجماعة من طلاب العلم الأفاضل وجملة من الأعيان فحضرُوا ليلاً وأمرني فقرأت عليهم الوصيتين؛ وأمرهم بأن يحرروا شهادتهم فيهما؛ ووقع عليهما بخطه وخاتمه؛ ثم أحضر الحاكم السياسي الإنكليزي مع العميد حميد خان فشهدا فيهما (٩٢).

وأعتقد مهما كانت العلاقة السرية بين اليزدي وبين الاحتلال فإن السيد نور السيد عزيز الياسري وقادة الحركة الوطنية لم يعانون من غشاوة الأبصار أثناء تطورات الأحداث المصرية لمستقبل العراق. ولا سيما أن السرية كانت قائمة بين السيد نور السيد عزيز الياسري وبين السيد كاظم اليزدي للمسائل الخطيرة التي تخص الأمة عند معالجتها ومناقشتها بينهما؛ وأن السيد نور يعلم بالمصادر والمخابئ السرية لدى السيد كاظم اليزدي.

أرى أن حصانين كانا قد جرا العربدة الدينية التي حملت بضائع الاحتلال البريطاني للناس والوطن في العراق. بيد أن معظم الذين تحدثوا عن العربدة الدينية أثناء قدوم الاحتلال البريطاني للعراق لم يروا سوى حصاناً واحداً جر العربدة الدينية؛ وتناسوا الحصان الآخر. فمرة يقول بعضهم إن البضاعة التي حملها أحد الحصانين في العربدة الدينية؛ هي رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، وتارة رأى بعضهم أن العربدة الدينية

(٩١) الفقرة: ٩٣، ص: ٧٠٠، نفس المصدر.

(٩٢) عقود من حياتي، ص: ١١٧، مصدر سابق.

حملت ذهباً لكن الأسواق كانت معطلة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ سورة الروم، ٣٢، وآخرين تجاهلوا العرب والحصانين اللذين يسبحان في فلك الاحتلال؛ وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً!! وكان الحزبان جلّ حديثهما بأحدهما ولم يقلوا كلاهما؛ بعدما خلط الحابل بالنابل؛ تلك هي دراما الطائفية في التاريخ؛ حيث تكتب لنا المشهد الثقافي الشقي البائس بألوانه الرمادية في ثقافة المجتمع العراقي؛ لكن أهل البضاعة فقد بينوا لنا الخيط الأبيض من الأسود للعربة الدينية؛ وذكروا لنا أن الحصانين اشتركا في تلك الدراما الخجولة. ومن يحمل بضاعة الاحتلال فإن وثيقة الوطن تنبذه مهما بلغ من العلوم الدينية درجة أو من القدسية الدينية مكانة.

الواقع أن الصفات المشتركة بين الاثنين (السيد كاظم اليزدي والشيخ عبد الرحمن النقيب) فهما قبل جعلهما المؤسسة الدينية السنية - الشيعية؛ تخدم غايات المسيحي المحتل للعراق؛ وقبل ثرائهما؛ الأول على حصة الإمام؛ والثاني على هبات ضريح عبد القادر الكيلاني؛ وكانا أغنى الناس في العراق؛ وقبل إطلاء نسبهما ببريق الانتساب إلى الرسول (ص) ووضعهما جلاب القديسة على أنفسهما. إلا أن الصفة المشتركة التي نساها المؤرخون وهي العاهة البدنية؛ فكلاهما كان أعرجاً، ولا يخفى على أحد أن من مسلمات القيادة وجوب سلامة البدن؛ ولكنها كانت غائبة في تلك الزعامة الدينية المساومة. وربما العاهة البدنية كانت لهما العقدة النفسية لانقيادها وراء المحتل بسهولة(٩٣).

ولقد كانت صراحة الحكام السياسيين في كتمان السرية عن آراء وأفعال اليزدي لا تختلف عن طلب عبد الرحمن الكيلاني النقيب وصراحته في كتمان السرية عن آرائه وأفعاله من المس بيل أمام الملأ .

وتذكر المس بيل عند أحد زياراتها الصباحية لعبد الرحمن النقيب الكيلاني؛ قال إنه يكره تهرجات الوطنيين وهو مستعد ليتفق مع أي كافر. ثم مضى يقول لکني على فرض أنني ارتقيت المنبر وصرحت بما أعتقد به؛ فإنه ستنتشر في أنحاء أفغانستان والهند حيث يحترمني الناس للغاية؛ وسيقولون إني أصبحت أتقاضى أجراً من الإنكليز وصرت أخون الإسلام والمسلمين. لذلك لا أرى ذلك يمكن أن يكون مفيداً لكم. واعتبرت هي كذلك أن الإنكليز لا يستفيدوا من تصريحاته العلنية لهم(٩٤).

(٩٣) كان سكان بغداد البسطاء يكتون احترامهم الأكبر وحبهم الأكثر للسيد الإصلاحى والنهضوي محمود شكري الألوسي؛ الذي كان يعيش ظروف القلة والذي عرض عليه المندوب السامي البريطاني السير بيرسي كوكس؛ ثلاثمئة ديناراً عبر إنسطةاس الكرملی؛ فرد قائلاً: «أفضل الموت جوعاً على أخذ مال لم أكسبه»، حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، الكتاب الأول، ص: ١٨٩.

ملاحظة: ربما ليرة عثمانية أو جنيه إسترليني هي العملة في تلك الفترة.

(٩٤) رسائل، ٣٠ آب ١٩٢٠، ص: ١٤٧.

الجدير بالذكر أني عثرت بين سطور مذكرات (بول برمر) جملة تشابه القول إلى حد كبير بين الاحتلالين البريطاني الأول والثاني الأمريكي للعراق؛ وبين قول المس بيل وبرمر بعد أن بعث برمر خلال شهرين لآية الله «السيستاني»؛ أكثر من عشرة رسائل كانت بين تموز وأواسط أيلول [عام ٢٠٠٣م]؛ حيث يقول:

ففي أوائل الصيف؛ أرسل السيستاني إلي أن آية الله يعتقد بأن تجنب الاتصال العام مع الائتلاف الدولي يتيح له أن يكون ذا فائدة أكبر في «مساعدتنا المشتركة»، وأنه يفقد بعض مصداقيته في أوساط المؤمنين إذا تعاون علنا مع مسؤولي الائتلاف؛ كما يفعل العديد من الشيعة والسنة العلمانيين بالإضافة إلى المتدينين من رجال الشيعة ذوي المراتب المتدنية(٩٥)«(٩٦).

وللتأكيد أقول: وجهت لي اسئلة، وقد اجبت عنها، ونشرتها بالحرف الواحد في مذكراتي وهذا نصها:

«حينما قرأت، سماحتكم مذكرات «بول برمر حول العراق عام قضيته في العراق لبناء غد مرجو»، هل وجدت فيها جديداً بعد أن أثارت تلك المذكرات كثيراً من اللغط بين السياسيين العرب والأجانب المهتمين بالشأن العراقي.. وكثرت الردود عليها سلباً أو إيجاباً في وقتٍ لم يطلع فيه الكثير من العراقيين عليها؟..»

- باعتقادي إنَّ مذكرات - برمر - هذه مهمة جداً لكشف قضايا العراق وأحداثه في ظلِّ الاحتلال الأمريكي المباشر.. وكيف تعامل - أي برمر - مع التابعين له من العراقيين سلباً أو إيجاباً، والأنكى من ذلك أنَّه تكلم كثيراً عن السيّد علي السيستاني حول العديد من القضايا المثيرة للجدل، وطرح ثلاث قنوات سرية كان أشخاصها أعضاء ارتباط بينه وبين السيّد السيستاني، وهم عماد ضياء الخрсان(٩٧)، وموفق الربيعي، وحسين إسماعيل الصدر، ولدى برمر مستشار

(٩٥) بول برمر، عام قضيته في العراق، دار الكتاب العربي، بيروت، ص: ٢١٤.

(٩٦) جهاد السيد نور عزيز الباسري، ص: ٢٦٨، مصدر سابق.

(٩٧) أنظر بتوسع فقرة: «الكسب الخادع المستحيل» في كتابنا: «في مواجهة الدين الآخر مذكرات أحمد الحسن البغدادي...» ولقد جاء فيها تحت عنوان:

٦ - مع السفير الاميركي

وكانت المرة الثانية في حُرُوفِ ٢٠٠٨م حين التقى عماد الخرسان، عضو الارتباط «الاستخباراتي» بين السيّد علي السيستاني من جهة، وبول برمر الحاكم المدني في العراق من الجهة الأخرى، مع الأخ المجاهد أحمد أبراهيم العضو القيادي في تيار المرجعية الإسلامية «أمة» في أحد مقاهي ضاحية دمشق، وانبرى الأخير مستغرباً ومتسائلاً: كيف دخلت سورية بهذه السهولة؟ ألا تخشى المعارضة العراقية في دمشق، وقد ذكرك بول برمر في مذكراته؟!..

سياسي مخضرم لا أتذكر اسمه حالياً، سأله حول علاقته بالسيستاني، فأجابه : « لقد

فابتسم الخرسان، وبدأ يجيب عن سؤاله: اطمئن إني أحملُ جوازاً دبلوماسياً، ثم أنا بعيدٌ كُلُّ البعد عن الأضواء الكاشفة، ولم يعرفني أحدٌ من هؤلاء المعارضين.

ومهما يكن.. أنا جئتُك في مهمة صعبة يجب أن نتعاون سوياً، بوصفك عشت معي أيام الشتات والهجرة، واللجوء في الولايات المتحدة الأميركية، أنا جئتُك عنوةً مبعوثاً من قبل السفير الأميركي في بغداد «رايان كروكر» الى سماحة آية الله السيّد أحمد الحسني البغدادي حصرأ، فالسفير الأميركي يرغب في اللقاء مع سماحته في سبيل التشاور والتجاوز، بِسبب عدم كفاءة هؤلاء «الرموز»، الذين يقودون العملية السياسية الجارية في العراق، بعد أن ثبت أنَّهم فاشلون في تحقيق السِّلْم الأهلي لكلِّ العراقيين.

فكان رد الأخ أحمد أبراهيم صريحاً مع الخرسان، أنتم تعرفون أنَّ سماحة الأخ المرجع القائد صلبٌ في ذات الله تعالى، عنيذٌ ضدَّ الاستكبار والكفر العالمي، وهو يحاول طرد الغزاة المحتلين بكُلِّ الوسائل المشروعة السياسية منها والعملية، ولا يمكن أن أتجرأ، أو يتجرأ أحدٌ غيري على أن يفتحهُ، في مثل هذا اللقاء، فضلاً عن إقناعه إطلاقاً.

فسألني لماذا.. والعراق يحترق؟!.. فقلتُ: هذا ما أراه وأعتقدُه بحكم علاقتي به، وإن كنت لا تصدقني فأقرأ فتاويه، وأحاديثه، وبياناته، وكتاباتهُ.. تجدها تؤكدُ أنَّ وجود الاحتلال الفتوي السبب في أزمة القضية العراقية، والمقاومون الميدانيون يقتدون بآرائه، بوصفه داعيةً، وفقياً، ومناضلاً.. والله على ما أقول شهيد.

ولما حدثني الأخ أحمد إبراهيم عن رده الثوري الصارم على «عماد الخرسان» خامرتني نشوة الخلاص والانعتاق.. فخاطبته:

هذا الرفض الانبعاثي الثوري القرآني الحاسم يشكلُ بالنسبة لي قوةً ميدانيةً إضافيةً أخرى، وبقينا لا يتزعزع بحتمية انهزام الغزاة المحتلين. وتابعت خطابي قائلاً: يبدو أنَّ الأميركيان بدأوا يستخفون بـ«حكومتهم الفتوية الرابعة»، التي بنوا عليها آمالاً وطموحات مستقبلية، ويحاولون أن يعقدوا اجتماعات مع معارضيهما الإسلاميين والعلمانيين على السواء، كما حصل الحوار بالفعل لا بالقوة، كما يقول المنطقة، مع الصداميين، وتتوالى اللقاءات غير الرسمية خلف الابواب المغلقة في أكثر من عاصمة عربية، إلاَّ أنَّها ليست جدية فيما أرى، بل استطلاعية حسب تصريح أدلى به قيادي صدامي شارك في عددٍ من تلك اللقاءات، لاسيما أنَّ ضباطاً من الاستخبارات الأميركية شاركوا فيها، وهؤلاء ليسوا أصحاب قرارٍ استراتيجي مفصلي، بل هم كتبة تقارير فحسب، ويعدُّ اللقاء الأخير بين الطرفين أول اتصال إستثنائي واقعي لما تناولوه من إستئناف العودة المنشودة الى الساحة السياسية علانية، سواء عبر مجلس النواب، أو جسورٍ أخرى، وفي هذه الاجتماعات تناسى الطرفان المتحاوران قانون إجتماعات البعث تحديداً.

وأخيراً.. بعد هذا الرفضُ بمدّة زمنية ليست بطويلة هجمت القوات العسكرية الأميركية على منزلي في النجف الأشرف بعد منتصف الليل، ولا أبلغ إذا قلتُ: بطريقةً همجية، وبعد أن طوقوه وقذفوه بالقبائل الصنوتية المربعة، لم يكتفوا بعملية التفتيش، بل غطوا رأس ولدي محمد بكيس من النايلون مع اثنين من حمايته، وبطحوهم على الأرض، وداسوا على رؤوسهم بالأحذية أمام العائلة، وجرَّح أحدهم جروحاً بليغة، وسرقوا مبالغ مالية من الحقوق الشرعية، ومصوغات ذهبية، وأجهزة هاتف نقالة، وعاثوا فساداً في كل محتويات المنزل، وحطّموا الأبواب والشبابيك. وهذه ممارسات تناقضُ كُلياً مبادئ حقوق الانسان، التي يتشدق بها الأميركيان، وحكومتهم الفتوية الرابعة، و هي إحدى الذرائع، التي يزعمون أنَّها دفعتهم إلى غزو العراق، إلاَّ أنَّها أعنف وأشد قسوةً من عمليات المداومة، التي كان ينفذها أزام النظام الدكتاتوري السابق، حَدَثَ هذا كُلُّه بتاريخ الرابع والعشرين من تشرين الأول ٢٠٠٨م، والى الله المشتكى، ومنهُ نتمسكُ بدينه القويم» ص: ١٦٩ وما بعدها.

ابلغنا السيستاني بعد التحرير مباشرةً ومن خلال قنوات خاصة انه لن يقابل أحداً من التحالف، ولذلك لم يطلب عقد اجتماع شخصي معه. وقال لي «هيوم» الذي يفهم العالم العربي جيداً إنَّ السيستاني لا يمكن أن يقبل أن يظهر علانيةً أنه متعاون مع قوات الاحتلال، كما أنه يريد أن يحمي جماعته من آخرين من امثال مقتدى الصدر، ولكنه سيعمل معنا، فنحن نشترك معه في الاهداف ذاتها. بينما كانت وسائل الاعلام العربية والاجنبية تتحدث عن الصلات المقطوعة بيننا وبين السيستاني، فإنني كنت على اتصال دائم مستمر معه حول القضايا الحيوية من خلال الوسطاء. وكان «هيوم» محقاً في تحليله، فقد أرسل لي السيستاني ذات يوم يقول : إنَّ عدم لقائه بنا ليس ناتجاً عن العداء للتحالف، وانما لأنَّه يعتقد أنَّ ذلك الموقف يمكن أن يكون أكثر فائدة لتحقيق اهدافنا المشتركة، أنَّه يفقد بعضاً من مصداقيته لدى انصاره إذا تعاون بشكل علني مع مسؤولي التحالف، كما فعل بعض العلمانيين من الشيعة والسنة، او رجال الدين الشيعة من ذوي المراتب المنخفضة. وعلى الرغم من أنَّ (آية الله) كان يرفض الالتقاء بسلطات الاحتلال فإنني تبادلت معه طيلة الشهور الاربعة عشر الماضية ما يزيد عن ثلاثين رسالة عبر وسطاء وهي رسائل اعتبرها من ناحيتي ايضاً مفيدة جداً (٩٨). هذا وعلى عكس ما صرح به السفير برمر، «زعم» دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي في مذكراته التي صدرت مؤخراً انه كانت له علاقة «قوية» مع السيد السيستاني، ذلك كله من خلال اتصاليات ولقاءاتي المباشرة وحواراتي السرية قبل الحرب على العراق وبعدها، وتم التوصل الى اتفاق مضمونه ضرورة توجيه تعليمات الى اتباعه وانصاره بطريقته الخاصة تُحرم استخدام رفع السلاح ضد «قوات التحالف» وكان له الفضل الكبير في تجنب قواتنا خسائر جسيمة، وعندما علم بوش (الابن) بهذا الارتباط قرر فتح مكتب في وكالة الاستخبارات الاميركية سمي بـ«مكتب العلاقات مع آية الله السيستاني».

- قد تعترض على الأسماء الثلاثة التي ذكرتها في هذه المذكرات يبدو لي، ولعلي على خطأ، أنَّ هؤلاء يعتبرون السيستاني مرجعهم الروحي، وحين ينقلون تلك الرسائل المتبادلة يضعون السيستاني في صورة كاملة حول كل ما يجري في الساحة العراقية؟..

- ما استعرضته لا يتضمن أية إدانة لشخصية السيد السيستاني، لأني لا أبحث عن خصومات أو عداوات، فأنا من طلاب الوحدة المتراضة والتنسيق الرسالي، وكل ما أريده هو استئناف العزة والكرامة والانعقاد والسيادة لأمتنا ووطننا، وفي سبيل هذا الهدف الأسمى لا أقول ما أقول إلا انطلاقاً من الشعور بالمرارة حينما قرأت تلك الادعاءات سواء أكانت صدقاً أم كذباً!!.. لكنني لم أسمع في ذلك الحين من السيستاني شخصياً تكديماً لتلك المزاعم الخطيرة التي تتنافى، حسب ما أرى، مع

«مقام المرجعية الرشيدة»، ولا ندري ماذا يقول الانسان المسلم المعاصر عند اطلاعه على هذه الحقائق، والتاريخ كما نعلم جميعاً شاهد عدول لا يمالئ أحداً، ولا يرحم أحداً.

- قد تعترض عليّ مرةً أخرى، لكن كيف لنا أن نصدّق ما يقول هذان الشخصان - برنر ورامسفيلد - في مذكراتهما وهما من القوم الكافرين الجرمين؟

- كل من يكون من الثقة يؤخذ بقوله في الأحكام الإسلامية والموضوعات الخارجية على سبيل الإطلاق، وهذا ما يؤكده الفقهاء الاعاظم وعلماء الحديث، لذا نجدهم يأخذون برواية الخارجي والفطحي والواقفي، بل وحتى من الكافر اذا كان من الثقة الصادقين وليس مفترياً كذاباً، وذلك بشهادة المحقق الشيخ محمد حسين الكپاني الاصفهاني المتوفى ١٣٦١ هجرية، ومع ذلك أرى من الضروري بمكان ان يناشد السيد السيستاني القوى المناهضة والمقاومة لمواصلة كفاحها ضد الاحتلال الاميركي المباشر، وهذا هو الحل الشرعي من خلال اطلاقات الادلة القرآنية منها والحديثية الصحيحة وعموماتها التي تؤكد على وجوب قتال الكافرين فاقد العواصم الخمس المشهورة بين الاوساط الفقهية الإسلامية.

- سيدنا: أنا لا أتفق معك في ما تستدل به! لأن ليس كل ثقة مفيد قوله للاطمئنان الكلي!؟

- ليس من الضروري بمكان أن تتفق معي فيما طرحته، يكفي أن تعرف ماذا أريد أن أقول، وأنا مسؤول عنه، بل ذهب المحقق الاصفهاني الى أبعد من ذلك حيث جَوَّز تقليد الكافر على صعيد الفرض بعد أن أستدل بالأخذ بمصادقية قول الثقة وإن يكن فاسقاً» (٩٩).

وبالعودة الى أصل الموضوع يقول الباحث الدكتور عبد الحسين شعبان: تعود أسباب الاختلاف بين الرجلين إلى منهجين متعارضين ومزاجين مختلفين، فقد كان الحسيني البغدادي حاداً في صراحته وواضحاً في رأيه، في حين كان الحكيم أميل إلى الحذر والتحوّط وتقليل الأمور لدرجة التردّد أحياناً، وبعد أن كانت العلاقات طبيعية بين الاثنين، حتى وفاة النائبني (١٣٥٥هـ)، دبّت الخلافات بعد ذلك، ولعلّ السبب

(٩٩) في مواجهة الدّين الآخر مذكرات، ص: ١٠٣ وما بعدها مصدر سابق و/انظر: فقرة: «رفض المخصصات المشبوهة» في كتاب: «جهاد السيد البغدادي دراسة حوارية نقدية وثائقية خلال نصف قرن لمسيره الامام المجاهد محمد الحسيني البغدادي»، ط: الثانية، ٢٠١١م، الناشر مكتبة الامام المجاهد السيد البغدادي العامة، ص: ٣٤ وما بعدها. و/انظر: «فصل كتابات» الكتاب الحادي عشر جهاد السيد البغدادي دراسة حوارية نقدية... في موسوعة: «تأصيل معرفي بين الثورة واللا ثورية هكذا تكلم احمد الحسيني البغدادي»، ط: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م، الناشر: مركز الناقد الثقافي، دمشق - سوريا.

حسب رأي السيّد أحمد الحسني البغدادي (الحفيد)، أن الحكيم طلب من البغدادي «انتزاع المرجعية» من «الحوزة الفارسية» في التجف، بوصفها ظلمت الحوزة العربية، بطرق ووسائل مختلفة ولا شرعية، أقلها التمييز، لكن الحسني البغدادي (الكبير) وبوجود الشيخ العراقي والسيّد أبو الحسن الأصفهاني اعترض عليه ومعه عدد من الفقهاء في مقدمتهم محمد حسين كاشف الغطاء لاعتقادهم أنه طلب المرجعية لنفسه قبل أوانه، علماً بأن كاشف الغطاء كان أستاذه في بحثه لشرح العروة الوثقى في الصحن الحيدري الشريف لمدة سنتين، وكان قد وجد لمعة اجتهد في الشيخ النائي والسيّد أبو الحسن ولم يجدها في السيّد الحكيم. وقد أثار مثل هذا الأمر حساسية وعداوة بين الرجلين استمرت حتى وفاة كاشف الغطاء، بل إنها امتدت إلى مدرسته لاحقاً، وخصوصاً إلى الشيخ علي كاشف الغطاء (١٠٠).

وخلاصة الحكاية أن الحسني البغدادي فهم الأمر على أن الحكيم يسعى لضمان المرجعية لنفسه، في حين هو يراها للأكثر زهداً والأبقى عملاً والأجدر علمية، ولم ير مثل هذه الصفات في السيّد الحكيم، فضلاً عن أن مواقفه السياسية لاحقاً كانت قد باعدت بينهما حدّ العداء والكراهية.

وبخصوص «المرجعية» فهناك خصائص يُفترض توقُّرها، فإضافة إلى الأعلمية فإنّها تتطلّب الزهد والتسامح والتواضع، كما تتطلّب الأقدمية في العلم وسعة المدارك والمعارف والآفاق، وتستوجب تراكم الخبرة والقدرة على قول الحق، إضافة إلى رحابة الصدر والانفتاح ومدّ يد الوحدة والتعاون، لأنّ المرجع ليس للطائفة، بل هو لعموم المسلمين أو هكذا يفترض.

لكن اسم «المرجعية» حُشر أحياناً لأسباب سياسية هنا وهناك في محاولة لإضفاء قدسية عليها، علماً بأن رجل الدين غير معصوم، لأنه إنسان يُخطئ ويصيب مهما بلغ من سعة علم وإدراك ومعرفة، لكن الإنسان ليس كاملاً فالكمال لله وحده، ومثلما هناك مواقف توحيدية وإيجابية ووطنية وجامعة، هناك أيضاً مواقف هزيلة وضعيفة، بل ومتخاذلة تتسّتر وراء موضوعية مزعومة.

وبغض النظر عن الخلاف بين المرجعين الحسني البغدادي والحكيم، فإنني أجد نفسي في هذا المقطع أقرب إلى السيّد الحكيم منه إلى الحسني البغدادي، فالحوزة التجفية ظلّت تؤثر فيها لدرجة غير قليلة «المرجعية الفارسية»، حتى مع وجود مراجع عربية مهمّة وجديرة وتطبق عليها المواصفات المطلوبة، إلّا أن الميل في اختيار المراجع الأولى يتّجه إلى بعض المراجع من أصول فارسية، لوجود تداخلات منظورة وغير منظورة في مثل هذا الاختيار تلعب فيها القوى الضاغطة المباشرة وغير المباشرة،

(١٠٠) انظر: السيد علي الحسني البغدادي، المطارحات الإسلامية، مصدر سابق، ص:

الداخلية والخارجية، لكي توجه الأنظار والحقوق نحو مرجع ليس بالضرورة هو الأكثر علمية وورعاً وزهداً وعملاً.

فعلى سبيل المثال حاقب مرجعية السيد أبو الحسن الأصبهاني وما بعده عدد من المراجع العرب والفقهاء المتميزين، ويمكن ذكر بعضهم، الشيوخ والسادة: أحمد كاشف الغطاء ومحمد جواد البلاغي ومحمد رضا آل ياسين ومحمد حسين كاشف الغطاء ومحمد حسن المظفر وعبد الكريم الجزائري ومحمد الحسيني البغدادي وحسين الحماشي وهادي الطريفي ومحمد رضا ذهب وعلي مانع وعلي شبر ومرتضى آل ياسين ومحمد تقى الشيخ راضي ومحمد طاهر الشيخ راضي وعباس المظفر ومحمد رضا المظفر ومحسن الجواهري وعباس الرميثي وموسى الحصاني وجعفر الشيخ راضي وغيرهم عشرات.

ولو أحصينا من تولى أمر «المرجعية»، وإن كان المصطلح يثير التباساً وإبهاماً كما سنشير في مكان آخر من الكتاب، لوجدنا أن غالبية المراجع منذ بداية الدولة العراقية وحتى الآن ليسوا من العرب، حيث كان المؤثر والمدعوم منهم من أصول فارسية، وتلك إشكالية وطنية وليست فقط عرقية وقومية، وهي تتعلق أيضاً بالهوية ومتعلقاتها.

وحين أصبح السيد محسن الحكيم «المرجع الأول»، حصل على دعم الداخل والخارج، خصوصاً من عدد من رجال الدين في العراق من جهة ورجال دين آخرين خارجه أيضاً، وبتأييد من شاه إيران الذي كان قد أرسل له برقية يعزّيه فيها بوفاء البروجردى عام ١٩٦١، وكان هذا يعني اعترافاً منه بمرجعيته الأولى بعده، الأمر الذي أدى إلى اتخاذ مواقف متفاوتة إزاء ما حصل في إيران بانتفاضة خرداد عام ١٩٦٣، ففي حين اتخذ الحسيني البغدادي موقفاً حاداً وحتى غير دبلوماسي في مخاطبته لرئيس دولة، وهو عادة ما تتخذ القوى المعارضة السرية، فإن السيد الحكيم كان موقفه ناقداً، ولكن بعبارات منتقاة وغير مستفزة، محدّراً من معبة الاستمرار في هذا النهج(١٠١).

بل أكد السيد الصافي في ذكرياته، قائلاً:

محاربة مرجعية السيد الحكيم للمرجعيات والأسر العلمية العربية، وما تعرضت له مرجعية السيد محمد الحسيني البغدادي من حرب لا هوادة لها فيها(١٠٢).

وختاماً بعد صعود الشيخ النائيني المرجع الديني الكبير الى الملأ الأعلى كتب السيد البغدادي في تحصيله قائلاً:

(١٠١) الإمام الحسيني البغدادي، ص: ٢١٦ وما بعدها، مصدر سابق.
(١٠٢) محمود الصافي النجفي، ذكريات ولقطات، ط: ١، ٢٠١٦م، ص: ١٢.

لما توفي أستاذنا الأعظم الميرزا النائيني قدس سره تكاثرت عليّ الأسئلة عن المرجع الديني وهو المقلد فلم أجبهم في تعين شخص وقلت مكرراً: الأحقر أولى وافقه ولست بحريص على الأمر! وعليكم الفحص، فكان ذلك تخلصاً منهم والحمد لله تعالى (١٠٣).

ليس هذا وحسب، بل حرر في تحصيله حول الورع في الفتوى من وجهة عرفانية رسالية، حيث راح يقول:

الذي عليه الإمامية قديماً وحديثاً، هو: التثبت التام في الفتوى من جهات شتى:

ففقيه: اجتنبها من أصلها!!..

وآخر: لم يعد نفسه من أهلها!!..

وثالث: ابتلى بها مع كراهتها!!..

ورابع: اتخذ الاحتياط أكبر وسيلة للتخلص منها.

وخامس: بذل الجهد، وأفى العمر، في طلب كل ما يحتمل توقفها عليه!!..

وسادس: لم يزل متردداً ومستشكلاً في جملة من الفروع.. اتهاماً لنفسه، أو نظره تارة، واقتداءً بالأساطين تارة أخرى!!..

وهكذا.. لازال دأبهم على الاهتمام والاحتياط التام لأجلها.. وهذا أمر ارتكازي ظاهر لجميع الإمامية.

فمن العجيب الغريب ما نراه في زماننا من التسامح فيها، والتسارع إليها!!..

بل من البديهي سقوط جملة من رشح نفسه لها قديماً وحديثاً!!..

بل مجرد أن يرى نفسه أهلاً لها، وعرف بذلك!!..

وهكذا.. كله لا ينافي ما دلّ على سماحة الملة، وما قيل من سهولة أمر الاجتهاد؛ لاسيما وأنه قد ثبت حصوله لجماعة بأقل مدة.. إذ لا نمنع هذا، وإنما نقول: إن أخذ المرء عهداً الفتوى على عاتقه تكلف ظاهر ينافي الورع في الدين، كما هو ظاهر جداً، هذا مع اقترانها بأشياء عظيمة، كالجباية والحرمان، والتوثيق والتفسيق، وإقامة الأمور الحسبية.

وهكذا.. مما يعجز الإنسان عن إقامته!!.. إلا من أدركته العناية، وكان مسدداً بأنواع التسديد.

فالواجب جعل ما كتبناه بين عينيك. وأعجب شيء ما وجدناه في زماننا تكلف بعض القاصرين، ولا ينظر إلى ذلك كله، بل ولا إلى غير ذلك من كل المحاذير؛ لاسيما إذا لم يكن تهيأ له ما تهيئته لغيره من الأمور العادية التي بها يستعين على طلب هذا الأمر، ويشتد حرصه عليه.

وأعجب من هذا كله اتخاذ الفتوى عنواناً اعتبارياً، أو تعيشياً، كما وقع قديماً وحديثاً.. نسأله تعالى المعافاة في الأديان، كما نسأله تعالى المعافاة في الأبدان (١٠٤).

بل ذهب الى أبعد من ذلك ناقد الجهاز الإداري للمرجع الديني، حيث قال:
حاشية العالم أطرافه المحيطون به الذين اتخذوا اتصالهم به أكبر وسيلة لغايات ساقطة هؤلاء أسوء الناس طمعاً وخسةً وشحّةً ونفاقاً، بل هم الذي أوقعوا العلماء في المهالك، بل هم السبب في إنحراف المؤمنين عنهم، والخطب الأشنع هو شدة الابتلاء بهم على نحو لا يمكن العلماء ان يسلموا منهم.

نعم، هؤلاء يختلف موقفهم معهم فتارةً يكون لهم التأثير العظيم عليهم، وأخرى لا يكون كذلك، والتخلص منهم بجميع أقسامه متعسر إن لم يكن متعذراً، كيف وهذا المقام المبتلى به الأنبياء وأوصياؤهم.

نعم ، غاية ما يمكن العلماء هو تقليل الإتصال بهم، وأحسن طريق نافع لهم هو تقديم الأتقياء والفضلاء واعتمادهم عليهم هذا هو الطريق الذي يسلم به العلماء على أنفسهم، بل جميع المؤمنين من شرهم (١٠٥).

كنت منذ طفولتي و شبائي (الحديث لشقيقي السيد علي) مرافقاً وملازماً لجدى السيد البغدادي قدس سره إلى وفاته، ورأيت وسمعت منه وقائع وحوادث مهمة وغريبة، وإليك نماذج منها:

١- كان كثير التواضع حتى بين الناس والحوزة، ففي يوم من الأيام أتى الشيخ الحاج مهدي نجل زعيم الشمرات الحاج عزيز بقر الشام رحمه الله إلى دار السيد الجد والتمس منه عقد قران لأحد ابنائه أو أحفاده فذهب السيد معه إلى دارهم في حي الحسين وكنت أنا معهما فلما أراد السيد الجد إجراء عقد القران بين الزوجين وقع النزاع بين النساء في تحديد مقدار المهر، ثم اعتذروا من إجراء العقد فذهب السيد إلى داره، ثم جاء الحاج مهدي بقر الشام مرة ثانية إلى السيد الجد وطلب منه إجراء

(١٠٤) التحصيل، ص: ١٢٧، ج: ١، مصدر سابق.

(١٠٥) ج: ٢، ص: ١٣٨، مصدر سابق.

العقد وأنه حصل الرضا بين الطرفين، فذهب السيد معه إلى دارهم ثانية وأجرى صيغة عقد النكاح ففرح آل بقر الشام وشكروا هذه المبادرة المتواضعة من السيد البغدادي وأصبحوا مخلصين له حتى وفاته، وكان يذهب إلى عقد القرآن والصلاة على جنائز موتى الفقراء والمساكين بنفسه في الحر أو البرد الشديد مع كونه طاعناً في السن.

٢ - السيد البغدادي قدس سره حضر تشييع السيد الحكيم عند وفاته، وجلس عند جانب مطبعة القضاء في شارع الكوفة، ولكن لما توفي السيد البغدادي قدس سره لم يحضر آل الحكيم وبطانتهم تشييع السيد البغدادي قدس سره، ولكن هناك موقف مشرف لزعيم الحوزة العلمية السيد الخوئي قدس سره حيث حضر تشييع السيد البغدادي من خارج المدينة، وعطل بحثه ثلاثة أيام، وأقام الفاتحة ثلاث ليالي في جامع الخضراء على روحه قدس سره.

وكان السيد جمال الدين الخوئي وصهر السيد الخوئي السيد مرتضى الحكيم يزوران السيد البغدادي في داره من جهة العلاقة القديمة والمودة الأكيدة بين السيد الخوئي والسيد البغدادي قدس سرهما من زمن أستاذهما المحقق الشيخ النائيني قدس سره.

وكان السيد البغدادي قدس سره زاهداً في ملبسه ومسكنه ومأكله، ومتواضعاً، وكان يشتري الطعام والخضروات واللحم بنفسه من السوق ولم يستخدم أو يجعل خادماً له، وفي بعض الأحيان يجلس في محلات أهل النجف ويعلمهم المسائل الدينية والأخلاقية، وكان قدس سره كثيراً ما يقضي حوائج الناس ويحترم خدمة الحسين وأصحاب المواكب الحسينية احتراماً عظيماً حتى أفتى بجواز الإنفاق عليهم من الحقوق الشرعية ومن المندورات التي تنذر للإمام الحسين عليه السلام في أيام المناسبات الحسينية في أيام تعطيلهم عن أعمالهم اليومية..

لا سيما العلماء، وإليك نماذج منها:

١ - لقد عفى النظام البعثي قائمة السيد الخوئي التي أدرجت فيها أسماء رموز الحوزة العلمية الفارسية عن تفسيرهم إلى إيران ولم يدرج اسم الفقيه الورع السيد محمد مفتي الشيعة الأردبيلي، فقرر النظام تفسيره، ولكن فجأة حدث له حادث وهو قرب ولادة زوجته ولم يتمكن من أن يهاجر إلى إيران في هذه الحالة لإحتمال حدوث الاجهاض لها اثناء السفر، فرأيتة جالساً بجانب السيد البغدادي قدس سره يلتمس منه أن يتوسط له عند محافظ النجف حتى لا يسفره في هذه الحالة الخطرة التي وقع فيها، فكتب بورقة صغيرة إلى المحافظ يأمره فوراً أن لا يسفر السيد مفتي الشيعة وعائلته فذهب إلى المحافظ برسالة السيد لقضاء حاجته، فقضى حاجته وعلى الفور ولم يسفروه وتمت ولادة زوجته في النجف وبعد مدة هاجر إلى قم مع أن مكتب

السيد الخوئي اعتذروا من قضاء حاجته المعقدة، فأصبح السيد مفتي الشيعة بعد ذلك وفيّاً للسيد البغدادي وعائلته، وكان يمدح السيد الجد مدحاً كثيراً لمواقفه المشهودة.. وتجدر الإشارة إلى أن السيد مفتي الشيعة من مراجع قم الأخيار ومن أساتذة البحث الخارج في النجف وقم، وكان الدرع الحصين للدفاع عن الحوزة العربية لا سيما الحوزة العراقية في قضاء حوائجهم ومن شدة ورعه أنه ألف موسوعة فقهية كبيرة حاوية لجميع أبواب الفقه إلا أن أحد علماء قم قد سرق الجزء الأول من هذه الموسوعة مبحث الاجتهاد والتقليد، ولكنه أوصى أولاده أن لا يذكر اسم هذا السارق ورعاً لكي لا يفتضح بين الأوساط العلمية كما حدثني بذلك تلميذه الشيخ الحاتمي من علماء عربستان.

وقد حدثني نجله الأكبر السيد محمد تقي حفظه الله أن والده لما قرأ كتابي (أسرار المكاسب) صرح أنه لما هاجرت من النجف إلى قم قلت في نفسي أن النجف ماتت وضاعت من حيث العلم فلما قرأ أسرار المكاسب للسيد علي الحسيني البغدادي صرح بأن النجف لم تمت علمياً مادام موجود فيها مثل هذا المحقق من أحفاد الفقيه الأعظم السيد البغدادي الكبير قدس سره، فسلام على السيد مفتي الشيعة وحشره الله مع أجداده أهل البيت قدس سره.

٢ - رأيت الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني جالساً إلى جانب السيد البغدادي قدس سره ومعه السيد إبراهيم الفاضلي صاحب مجلة العدل النجفية يتحدث مع السيد البغدادي أن ازلام النظام البعثي يهددونني بالإعتقال أو القتل فيما إذا لم أتعاون معهم كوكيل أمن بسبب أنني صرحت (في كتابي الذي ألفته عن مخطوطات مكتبكم الخاصة وعن نبذة من سيرة حياتكم الكريمة) بنقد نظام البعث.. فقدمت طلباً للسفر الى بلدي إيران فمنعوني فأرجو أن تتوسط عند متصرف (محافظ) كربلاء شبيب المالكي للسماح لي بالمغادرة، ومن هنا إستجاب السيد البغدادي لطلبه. فكتب رسالة إلى المحافظ يأمره باعطاء جواز سفر له باعتبار أنه نجل صاحب كتاب الغدير الخالد الذكر، فأخذ السيد الفاضلي الرسالة وذهب هو والشيخ محمد هادي الأميني فقدم الرسالة إلى المحافظ فقال لهما: أنا خادم صغير للسيد البغدادي، واتصل هاتفياً بمديرية الأمن لتنفيذ انجاز جواز السفر، وبعد ذلك هاجر هو وعائلته إلى قم ولكنه أصبح وفيّاً للسيد البغدادي مادحاً له حتى ألف كتابه المسمى «مكة» ألفه ضد الحكومة السعودية فأثنى فيه على السيد البغدادي قدس سره ثناءً كثيراً وأرسل رسالة تعزية إلى أسرة آل البغدادي عند وفاة السيد البغدادي فكتب فيها كلمات رشيقة يعزي فيها العالم الإسلامي والعربي والحوزة العلمية برحيل الإمام البغدادي الذي لا نظير له في تاريخ الحوزة العلمية في النجف وقم مدافعاً عن الإسلام، فسلام على الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني وعلى أبيه فخر الطائفة الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب موسوعة الغدير القيمة.

٣ - كتب السيد البغدادي قدس سره رسالة يأمر بها مدير تجنيد النجف باعفاء العلامة المحقق الورع الشيخ عز الدين الجزائري رحمه الله عن الجندية فنفذ أمره فوراً، وقد نشرنا هذه الرسالة بخط السيد البغدادي في بعض أجزاء التحصيل في قسم الوثائق من مقدمة الكتاب.

وهناك الشيء الكثير من هذا القليل لا مجال لذكرها هنا، وقد ذكرنا انجازات كثيرة في حياة السيد البغدادي في مقدمة كتابنا (معالم الإمامة في فكر السيد البغدادي عند ترجمة حياته فراجع).

ومن جميع ما تقدم من ذكر نبذة من حياته قدس سره فلما توفي شاهدت الجماهير من المستضعفين من الفقراء والوجهاء من أهالي النجف الأشرف وبغداد وغيرها من المدن تبكي وتصرخ أمام جنازته إلى الصحن الحيدري الشريف وإلى محل دفنه. وكان التشيع عظيماً ومهيباً وذلك بسبب كونه قدس سره كان مرجعاً ميدانياً وشعبياً ويشترك مع الجماهير، لا سيما الطبقة المعذمة وخدمة الحسين عليه السلام وأصحاب المواكب الحسينية والعشائر النجفية في السراء والضراء لحل مشاكلهم سراً وعلانية ويحتقر زعماء السياسة (١٠٦).

إسلامية المهارك.. إجتماع تاريخي

نعم.. خاض معارك الشرف والكرامة في جبهات الشعبية والكوت ضد المحتلن الغزاة، وكان في صحبته السيد هادي مكوطر، الذي كان ملازماً له في جميع مواقفه لا يكاد يفارقه في سائر شؤون.. واخذ ينتقل في جبهات القتال.. بين القذائف والنيران.. حتى اجتمع بالقيادة السياسية، التي كانت حينذاك بزعامة الحاج محمد فاضل باشا الداغستاني.

وبعد اندحار الاتراك حضر جلسات مؤتمر كربلاء للإعداد للثورة من جديد بقيادة الشيخ محمد تقي الحائري (ت ١٣٣٩هـ)، ويحمل المجاهدون المضابط، التي تمثل ارادة الشعب العراقي في التحرير الوطني، وتستنكر بشدة الاحتلال الانكليزي، ويطوف رجال الجهاد على العلماء المجتهدين، والزعماء العشائريين الموجودين في المؤتمر ليحملوهم على التوقيع عليها، وكان هو رضوان الله عليه من السباقين الى التوقيع من غير توان أو وجل.. وفي كتاب (الحقائق الناصعة) صورة وثيقة فيها توقيع البازر بين تواقع كبار زعماء قبائل الفرات الاوسط. أنظر الوثيقة (١٢).

(١٠٦) علي الحسيني البغدادي، إسلامنا (بتصرف خفيف)، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ص: ٢٢٠ وما بعدها.

نهض المجاهد العبقري آية الله العظمى السيد البغدادي بنفس تتوثب بالاباء في قوة وعزيمة وقلب يتدفق بالحياة في اصرار وعزم وعواطف ثائرة متأججة كأنها زفير الجحيم على الظلم والطغيان من خمسين عاماً [كتب المؤلف هذه السطور في عام ١٩٦٤م] وبعث بصرخته المدوية في وجه الظالمين الذين أرادوا استعباد الشعب العراقي وفناءه، وخاض في ميادين القتال وساحات الجهاد بروح عربية إسلامية فلبى نداء الله والنبي محمد والقرآن، يتقدم زعماء العشائر وجمع من الثائرين، ولقد استجاب سيدنا لصيحة القرآن واندفع على صدها يذود عن الشرف وحرماته، ووقف في الجموع الثائرة مرتلاً الخطبة العربية المأثورة: يا معشر هالك معذور خير من ناج فرور إنَّ الجزع لا يرد القدر وإنَّ الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية واستقبال الموت خير من استبداره فالجد الجد فما من الموت بُد.. وبالتالي أخذ ينتقل في الجبهات وساحات الدفاع واجتمع بالقيادات العربية، أمثال: الحاج محمد باشا الجالان الداغستاني(١٠٧).

والقى كلمة توجيهية إسلامية مقتضبة في هذا الاجتماع التداولي التاريخي الذي حضره زعماء العشائر والقبائل كالسيد هادي مكوطر والسيد نور السيد عزيز الياسري(١٠٨) ومحمد الصهيود وشعلان ابو الجون والشيخ موسى تقي زاير دهام..

(١٠٧) مخطوطات مكتبة آية الله السيد محمد الحسني البغدادي، ص: ٣٣، مصدر سابق و/انظر: مخطوطات مكتبة آية الله السيد البغدادي في النجف الاشرف، آفاق نجفية، مجلة فصلية مصورة تعنى الدراسات والبحوث التراثية المعاصرة المتخصصة في النجف، السنة التاسعة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص: ٢٠٥ وما بعدها.

(١٠٨) ان الامم والشعوب الحية والمتقدمة والمتحضرة تهتم برجالها الوطنيين بالغ الاهتمام الذين ضحوا بالغاالي والنفيس من اجل استقلال بلادهم وحرية اوطانهم وتحريرها من الغزاة. وتتخذ منهم قدوة للأجيال (واسوة حسنة) لتعليم النشئ الجديدة عن تاريخ هؤلاء حتى يشربوا بروح الوطنية والتضحية والفداء من المؤسف جداً لم أجد شيئاً يذكر في مناهج الكتب الدراسية التعليمية الرسمية عن تاريخ العراق تتحدث عن الزعيم المجاهد الوطني الغيور السيد نور السيد عزيز الياسري لايد من التنبيه هذا المفردات ليست من صنعة خيالي وانما هي من صناعة الاحداث وصحافتها يومذاك بشقيها الصحافة الوطنية وصحافة الاحتلال.

ومن المحزن أنَّ هذه الشخصية الوطنية الجهادية تعرضت الى ثقافة الحذف بقصد من قبل بعض المؤرخين العراقيين!...

لقد كان عمره في الثورة (١٩٢٠) ثمانين عاماً وكان اسمه نشيد الثورة في المواقف الصعبة، وانفق أكثر من مئة الف ليرة ذهبية تعادل ميزانيات دول في حينها. ولم يبحث عن جاه او منصب.

لارب اننا اليوم نعيش بمرحلة جديدة في كتابة تاريخ العراق الحديث بعيدة عن السرد للأحداث بعد نشر الوثائق السرية عن العراق في المؤسسات الدولية ووزارات الخارجية. ولا يخفاكم لنا بحث كبير يتكون من الف صفحة وهو دراسة في وثائق الاستخبارات البريطانية السرية. وكتب عنه عدة مقالات ودراسات وصارت مرجعاً مهماً للباحثين عن تاريخ العراق وصارت لغير العراقيين من الباحثين عنواناً للهوية الوطنية العراقية، وتوجد نسخ منه في الجامعات

وقد أعجب القائد التركي المذكور اعجاباً طاعياً [بحديث] شخصية سيدنا المفدى وموقفه الجهادي في سبيل رعاية المصلحة الإسلامية العليا وشدد على مواصلة القتال ضد الاحتلال البريطاني للعراق (١٠٩). وقد اتسم موقفه بالشجاعة والجرأة والبطولة.. الأمر الذي جعل القائد العام الأعلى للجيش العثماني محمد باشا الداغستاني، أن يقوم

الأمريكية وأولها مكتبة الكونغرس وهي أكبر مكتبة في العالم وعنوانه.. «جهاد السيد نور السيد عزيز الياسري في ثورة العراق التحررية ١٩٢٠ وصناعة الوطنية».

وبالمناسبة يقول الأخ الصديق السيد عادل: لقد ذكر لي أحد الموظفين في المتحف الوثائقي لثورة العشرين في النجف؛ حينما كنت أطلع على الوثائق في عام ١٩٢٨م إن كامل سلمان الجبوري جمع ما نشره باسمه هي من مؤلفات عبد الرحيم محمد علي [التبريزي] ولا سيما أنّ مدير أمن النجف أهدى مكتبة عبد الرحيم محمد علي إلى كامل الجبوري بعد أن أصبح في غياهب السجون. وكذلك أكد لي هذه الحقيقة سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني البغدادي، وقال كنت أنا وأخي السيد أحمد نسير في الشارع وسلم علينا عبد الرحيم محمد علي، وقال لنا لقد إنتهيت من كتابة حياة شيخ الشريعة الاصفهاني وبعد أن إنتهى من حديثه، قال له شقيقي السيد أحمد: متى تكتب عن علماء العرب؟!.

المدير بالذكر على عريضة بتوقيع عبد الرحيم محمد علي يطلب فيها تأسيس متحف وثائقي لثورة العشرين في النجف وقدمها إلى محافظ كربلاء السيد عبد الرزاق الجبوري حين كانت مدينة النجف قضاءً إدارياً تابع إلى كربلاء، ولا بد من القول لم يكن غرض عبد الرحيم محمد علي من المتحف الوثائقي للثورة دعم المدرسة الوطنية العراقية وتمجيد الثوار والزعماء، وإنما كان من أجل تعظيم العصر الايراني في نفوس العراقيين حيث غُلقت في المتحف صورةً جداريةً كبيرة الحجم عرضها مترين وطولها ثلاثة أمتار للسيد كاظم اليزدي علماً أنّ اليزدي توفي في نيسان ١٩١٩م فليس له علاقة بالثورة وكان نجله ضد الثورة وله فتوى خطية ضد الثوار لدى مقلديه. ولا يخفى على أحد أنّ عبد الرحيم محمد علي قد كتب عن كاظم اليزدي.

وشر البلية ما يضحك كانت صورة كاظم اليزدي وغيرها هي لعنة على زعماء الثورة العراقية والثوار أثناء الحرب العراقية - الايرانية، فقد أزيحت صورة الزعيم العربي علي آل بارزكان من المتحف الوثائقي لثورة العشرين بسبب لقبه. وثم بعد فترة أُغلق هذا المتحف لأسباب سياسية وكانت تلك الفعلة المشينة من أفعال محمد فاضل البراك مدير الأمن العام. جهاد السيد نور؛ ص: ٢٨، مصدر سابق.

وقبل أيام كتب لنا احد رؤساء اقسام الجامعات العراقية هذه الرسالة مشكوراً «ان جهودكم أصبحت ملموسة وواضحة؛ وقد وجهنا طلبة الدراسات العليا للاهتمام بمؤلفاتكم ومتابعتها بدقة لما تحويه من معلومات رصينة ودقيقة».

واني ادعو ومديرية المنهاج والكتب أن تذكر موقفه الوطنية في المنهاج الكتب الدراسية في مادة التاريخ والوطنية في المراحل المتوسطة والاعدادية وعن تضحيات رجال العراق الآخرين.

(١٠٩) انظر: عبد الجبار الزهيري، آية الله السيد البغدادي حياة جهاد ونضال، ط: ١، ١٩٧١م، مطبعة تموز - كربلاء، ص: ١١ وما بعدها و/انظر: عادل الياسري، جهاد السيد نور السيد عزيز الياسري، ص: ١٣٤، ١٤٨ وما بعدها، مصدر سابق و/انظر: كرار اسماعيل محمد راضي أبو الزراير العارضي، محمد الحسيني البغدادي، (١٨٨١ - ١٩٧٣) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير جامعة الكوفة، كلية الآداب - ٢٠١٣. (بتصرف خفيف) و/انظر: العمل الإسلامي في العراق، ص: ٣٨٢، مصدر سابق، و/انظر: حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط: ٢، ٢٠١٣م، ص: ٥٤٢.

برزيارة خاصة للسيد البغدادي، وهو في جبهات القتال، وقد حضر اللقاء زعماء العشائر كل من السيد هادي مكوثر والشيخ موسى زاير [دهام]، وشعلان أبو الجون.. وعبر القائد العثماني عن اعجابه بشخصية السيد البغدادي ومواقفه الجهادية في سبيل رعاية المصالح الإسلامية.. فلقد كان من أشد خصوم بريطانيا ومعارضاً صلباً من معارضيها، ولم يقف عند مواجهته للبريطانيين بالشعبية والكوت بل كانت له مواقف تكررت فيما يتعلق بالاحتلال البريطاني منها في اجتماع مؤتمر كربلاء سنة ١٩٢٠ (١١٠).

ثقافة الاعتذار

جاء في كتاب: «مائة عام من الإسلام السياسي بالعراق/ الشيعة» لمؤلفه رشيد الخيون، ط: مركز المسير للدراسات والبحوث، ص ٥٠٧:

ولكن على حد إطلاعي على الكتب التي أرخت للجهاد لم تذكر عن دور هذه الاسرة [آل الحسيني البغدادي] في تلك المعارك والمواجهات، مثل علي الوردي - لمحات إجتماعية في تاريخ العراق الحديث، وقد أعطى تفاصيل ذلك الجهاد، وعبد الله فياض - الثورة الكبرى ١٩٢٠م، وحسن الأسدي - ثورة النجف، وغيرها من تواريخ ومذكرات.

بيد أن الكاتب عندما واجه إنتقاداً موضوعياً من قبل باحثين محققين غير متطفلين على موائد التحقيق والتأليف، تراجع عن زعمه في الطبعة الثالثة، وصرح: إنَّ هناك مَنْ أفادني بمعلومة وهي: أن الوردي ذكره بـ«صادق العطار» وما كنت أعلم بذلك!..

ويبدو قد تناسى عن قصد أو عمد أن آل الحسيني البغدادي لهما لقبان مشهوران بـ«العطار / والحسيني البغدادي» ولكن نرى مُجدَّ الحسيني البغدادي قد هجر اللقب وأقتصر على لقبه الشهير، بخلاف والده الصادق المجاهد لقبه العطار تارة والحسيني تارة أخرى، بل معظم المؤرخين لقبوه بـ«العطار» كالشيخ الشيبني والأميني والدباغ والحكيم والراضي الحسيني والجبوري وكثير غيرهم (١١١).

والسيد الصادق من أعلامها

مفخرة لها على أيامها

(١١٠) مُجدَّ الحسيني البغدادي، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، ص: ١٠٠، مصدر سابق.

(١١١) انظر بتوسع: المطارحات الإسلامية، ص: ٢٧٣ وما بعدها، مصدر سابق.

كان فقيهاً مرجعاً للأمة

ملاذها في المحنة الملمّة

قد حمل السلاح للجهاد

يذود عن حياض هذا الوادي

وسار للقتال ليثاً فاتكاً

من علّم القتال هذا الناسكاً؟ (١١٢).

نقف هنا، ونؤكد ان تاريخ العراق لم يكن محصوراً بالوردي والأسدي وفياض، بل الكم الهائل من اعلام العراق الحديث! اشتركوا في تلك المعارك المصيرية للدفاع عن بيضة الإسلام ولم يذكرهم الوردي والاسدي وفياض... .

من هنا نقول: لو كان من اهل الاختصاص لما وقع في هذه «الشطحة» لكونه حاز على شهادة دكتوراه في الفلسفة الإسلامية (حسب زعمه) لذا نجده لا يعتمد على المصادر التاريخية والوثائق المعتبرة في كثير من كتاباته وسردياته من دون تحقيق وتثبيت.

في أثناء كتابة هذه السطور فاجأني الأخ الباحث عادل الياسري برسالة عبر الواتساب، جاء فيها:

قرأت كتاب كامل سلمان الجبوري والذي عنوانه: «النجف وثورة العشرين» وشاهدت عشرات الصور حتى إني علقت في الفيس أن من يضع الصور في كتب التاريخ بطريقة غير الطبيعية! وقد استغربت من الأسماء الذي كتبها بالعشرات وهم ربما نصفهم نكرات أو ناس عاديين، ولكن تساءلت مع نفسي أن الذي يؤلف «وجوب النهضة» لماذا لم نجد له اسماً وصورة!..

في حقيقة الأمر الموقف مخزي بالطبع كانت الدراهم والدنانير هي التي تحرك القلم ويسال اللعاب من فمه الكريه.

وهنا، تهزني الحسرة، وأنا أقرأ هذه المقولة لمن لا يبحث عن اكتشاف تاريخ المجاهدين، بل يحاول الكاتب المتمركس أن يزور هذا التاريخ الناصع أو يقلب حقائقه انطلاقاً من أهداف ذاتية وشخصنة حقدية، كما تقدم في نقده لي ظلماً وعدواناً

(١١٢) عبد الحميد الراضي الحسيني البغدادي، من دوحة الإمام الحسن (ع) إرجوزة شعرية، ط: ضمن كتاب السادة الحسينيون، عادل المهادي الحسيني، ص: ٥٦ وما بعدها.

وبحثاً...؛ في لاهوته بل وتقييماً خالصاً لكل من جاء على ظهر الدبابات الاميركية، واشترك بالعملية السياسية العرجاء!..

وفي كتابه: «لاهوت السياسة والأحزاب والحركات الدينية في العراق» وبما يضر بتاريخ ناصع كتب عنه الباحثون والمؤلفون في العصر الراهن، وعندما يُسمح لنفس مريضة بالتزوير سندعو الآخرين في حقيقة الواقع الى كشفه ولو من منطلق الدفاع النزيه عن تاريخ هذه الأسرة التي جاهدت بالنفس والنفيس، ومن يقرأ التاريخ سيطلع على نضالات ومنجزات وكرامات عظيمة ومدهشة منذ قرون عديدة لها ثقلها السياسي من حيث تمسكها بالثوابت الوطنية والإسلامية بدءً من الشريف أبي نمي أمير الحجاز المتوفى عام ٧٢١هـ جد الأسر الحسنية التي تقطن العراق، وجد الأسرة الهاشمية التي حكمت في الحجاز والعراق، وما زالت تحكم في الأردن، مروراً الى قائد المجاهدين الإمام البغدادي الكبير، الذي شارك مشاركة ميدانية في ساحات الشعبية والكوت وكذا والده السيد صادق العطار الحسني الذي اشترك في البصرة الفيحاء في الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م، وصولاً الى «الحقير» الذي جاهد بالكلمة الرسالية المهادفة.. والبنديقية المقاتلة في حرب الاحتلال الاميركي الغاشم. وأسس «تيار المرجعية الإسلامية» وجناحه العسكري «ألوية الشريعة الخاتمة» (١١٣).

في نهاية المطاف راح المؤرخ الناقد حيدر الحسني في نقد الكاتب بمقالة تحت عنوان بارز: «ماذا دهاك يا رشيد»، انظر الوثيقة رقم (١٣)، والمهندس السياسي المستقل رعد الجبوري من خلال مقالته المسماة: «هل هم أقلام للإيجار؟» «مثقّفون» شيوعيون بين خواء الثقافة وإنحراف التطبيق رشيد الخيون أمّودجاً» انظر الوثيقة رقم (١٤).

جدل السيد البغدادي

نظرية الحكم.. نشوء الدولة الملكية

* أشاد الشيخ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) في موسوعته الشهيرة (الذريعة الى تصانيف الشيعة) ج: ١٨، ص: ٧٨، ط ١٩٧٤ ميلادية.. الى أن الوفد البغدادي اجتمع مع الإمام المجاهد السيد البغدادي في داره في محلة العمارة

(١١٣) انظر بتوسع: أحمد الحسني البغدادي، خطاب المقاومة من العراق الى الأمة ما بين ٢٠٠٣ - ٢٠١٧م، ج: ١ و ٢، الطبعة الشرعية الاولى، ١٠ محرم الحرام ١٤٣٩هـ - ٣٠ أيلول ٢٠١٧م، منشورات مكتبة الإمام المجاهد السيد البغدادي العامة و/انظر: مقابلة الدكتور خضير المرشدي عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الأسبق وعضو قيادة قطر العراق منذ ٢٠١٣ على قناة العربية في برنامج الذاكرة السياسية الجزء السادس.

(القديمة).. الا انه لم يذكر سبب زيارة الوفد الى النجف الاشرف، وماذا دار من وراء الكواليس من احاديث خطيرة.. ومن ثم لفها الكثير من الغموض، كما قيل عنها الكثير؟.. فهل تستطيع أن تردنا ببعض الايضاحات التي عرفت بها بحكم صلتك بسماحته؟..

** اليك الحكاية بتفاصيلها، ودعني أستل لأشحد ذاكرتي ولا تقاطعني بمدخلة فالحديث عن هذه المسألة الاستثنائية تستغرق كُتباً مستقلةً.

في عام ١٣٤١ هجرية - ١٩٢٢ ميلادية اعتقد الملك فيصل (ت ١٣٥٣هـ) ومن ورائه قوى الثورة الرجعية المضادة أنّ المعارضة الوطنية والإسلامية قد ذابت واندثرت الى ابد الابد.. وأنّ المؤسسات الدستورية ستجري في العراق على حسب ما يرام وفق مخطط بريطاني بشع رهيب.

بيد أنّ التصورات والحسابات الوهمية انكشفت خلال فترة وجيزة، فلقد استأنفت من جديد معارضة الجماهير، التي يقود مسيرتها علماء النجف والكاظمية بجرأة وثبات وصبر في وجه صياغة وكتابة الدستور في المجلس التأسيسي المقترح، والتي لا تتم إلا على ضوء من مصادر التشريع الإسلامي الأصيلة.

من هنا.. اصبح الملك والقوى الرجعية المضادة في ارتباك وحيرة.. وحسبوا لهول المشكلة الف حساب وحساب!!.. وبعث وفداً على مستوى رفيع من القيادة السياسية برئاسة الحاج محمد جعفر ابو التمن (ت ١٩٢٣م) من اجل أن يوضحوا سياسة الملك الداخلية والخارجية بصيغتها النهائية، ويحددوا اهدافها في الممارسة والتطبيق بصيغ مرحلية لأنهاء المرجعية الدينية في النجف، وقبل الاجتماع بمؤلاء الامناء.. ومنهم: الشيخ محمد حسين النائيني والسيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني.. ادرك الوفد أن هناك عقبات تعرقل مسيرته في هذه المهام أول ما بدا لهم الاجتماع من وراء الابواب المغلقة بأبرز مستشاريهم.. وهما: السيد البغدادي والشيخ الجزائري (بما اتحما من قادة الثورة ويفهمان ملايسات البيئة النجفية، وواقع الرسالة التي تحملها النجف، ولا سيما ما يتصل منها بقضايا الساعة مخفوفة في كثير من الاحيان بملايسات غير واضحة، لا يتييسر للمرجعين أن يحددا موقف الشريعة منها بمنظور سريع وقرار مرتجل) من اجل أن يمهّدوا لهم التفاوض والتشاور مع المرجعين.. ومن خلال هذه المبادرة الذكية تتمخض لهم المردودات الايجابية.. وهي السبيل الوحيد للعمل المثمر.. وعلى هذا الاساس يغدو السيد البغدادي من أبرز المفوضين مع النائيني، وكذلك الشيخ الجزائري مع الموسوي الاصفهاني.

من هنا.. انقلبت الحسابات والتصورات كلها بين عشية وضحاها مرة ثانية.. ويمتحن العلماء العاملون امتحاناً عسيراً في إيمانهم حرمة هذا الوطن العروبي الإسلامي العزيز.. بعد أن انفض الاجتماع المغلق بادر الوفد لاداء مراسيم زيارة الإمام امير

المؤمنين علي، وقدر الله للشيخ كاظم ابو التمن، الذي يتسم باللهجة الصادقة أن يتخلف عن صحبة الوفد، وبقي معتكفا في بيت السيّد البغدادي، الذي عقد فيه الاجتماع.

ومن هنا.. تتحقق المعجزة في هذه الفترة العصبية من تاريخ العراق الحديث.. وينبري السيّد البغدادي يسأله مخاطباً بصراحة لما فيها من مرارة وجراحة.. يا شيخ انت تعلم العلاج في هذه التجربة الجديدة عوض النفي والرفض ايجاد مسار جديد ودستور جديد يواكب الحاجات المتطورة على ضوء مفاهيم الشريعة الإسلامية العملية.. وخلاصة القول الحاسم: لا بد أن يكون تشكيل المجلس التأسيسي تحت قيادة اسلامية وطنية مخلصه.. وهل يطبق الملك هذه الشروط الرئيسية المتفق عليها، ام يجهضها ويعمل لصالح الخطط البريطانية؟!..

فأجابه بحدوء: ان جلالة الملك المفدى لا يستطيع بأي حال من الاحوال، وفي هذه الظروف الراهنة عدم مجارة الانجليز في خططهم المرسومة في بناء «دولة مدنية» تقوم على أساس فصل الدين عن السياسة!..

فقال السيّد البغدادي: اذن ليس لفصل في اعتناقا واعتناق القوى الإسلامية بيعة لقيادة العراق الجديد!..

وعلى هذا الاساس.. تخض السيّد البغدادي قاصداً الشيخ النائي.. وقدم له تقريراً مفصلاً.. ندد فيه بتخطيط الملك من خلال ما جرى من حوار ونقاش، فكانت النتيجة سلبية، ومن جراء ذلك ولى الوفد رأساً على عقب راجعاً الى الملك، ولم يحصل على الغاية، بل تفشى التناقض والمضاعفات السياسية فيما بينهم في هذا الطريق الطويل المفروش بالأشواك والمطبات والوحشة والظلام الدامس.

من هنا.. راح رئيس الوفد بإيمان اقوى، ونفس مطمئنة، واردة فولاذية لا تعرف الكلل، ولا تفهم الفشل الى معسكر المعارضة الإسلامية، ومعه بعض رفاقه الاشداء.

والعكس بالعكس حين فشلت المفاوضات في النجف الاشرف حول دعم ومساندة المجلس التأسيسي.. خاطب رئيس الوفد السيّد البغدادي بحزن عميق: يا سيدنا كان اعتمادنا عليكم، واملنا الوطيد بكم.. فكيف تعرقل مسيرتنا كان من المفروض أن تنسحب من المهمة المكلف بها، حتى ننجح فيما نصبو اليه.. واليوم كيف أواجه جلالة الملك المعظم بعد أن اكدت له أنّ هنالك عندي السيّد البغدادي الصديق الصدوق، والفقير الجسور؟!..

- إذن، هذا كله صحيح.. أين المجاهد الجزائري؟ ما هو دوره المكلف به؟..

إنّ الفقيه الجزائري لم يوجد في هذا الاجتماع الانفرادي بين البغدادي وابو التمن، بل كان ذاهبا الى منزل السيّد ابي الحسن الموسوي الاصفهاني للتشاور والتنسيق العملي على ايجاد صياغة كحد ادنى مع الملك، بيّد أن السيّد البغدادي كشف الاوراق الخاسرة على حقيقتها للنائبي.. وعانى بنفسه هذه التجربة الثورية ولا جدوى في اللوم والعتاب بما فيه من مرارة وقسوة من قبل اخيه الشّيخ الجزائري في فشل هذه الخطة المكلف بها من قبل الوفد البغدادي الرسمي، لذلك عمد الملك الى تسفير النائبي والاصفهاني خارج الحدود، وذلك في سنة ١٩٢٣ ميلادية.

والشيء بالشيء يذكر: حين تسفيرهما قد ودعا في حشد من العلماء الى كربلاء المقدسة.. وبعد منتصف الليل اثار السيّد البغدادي على مجموعته مسألة فقهية معقدة، قد تعالت الاصوات الهادرة في تنفيذها.

كان هناك على مسافة خمسمائة متر او اكثر مجموعة اخرى تسمع صدى هذه الاصوات، كان في ضمن هذه المجموعة السيّد سعيد الحكيم يهمس في آذان السيّد محسن الحكيم الم يكن هذا صوت السيّد البغدادي؟!..

قال: نعم بالتأكيد نحن (بيا حال) الان الناس نيام بالطابق الاعلى المكشوف للفضاء الخارجي.. قم حالا لنذهب اليه نعاتبه.

فجاء الحكيم وهو ليس على حالته الطبيعية موجهاً عتاباً رقيقاً:

أرجوك يا أبو كاظم مو وقته الان.. نحن بيا ضيم، فبادره السيّد البغدادي قائلاً:

هل تريد منا ترك المذاكرات العلمية؟!..

يا ابا يوسف انتبه الى ما اقول لك من اكتشاف توقعاتي المستقبلية: إن المؤسسة الفارسية الدّينية سينتهي دورها الفاعل بالنجف الاشرف، لأن شعب العراق كان بالأمس متخلفاً اجتماعياً.. واقتصادياً.. وكان بحاجة ضرورية ملحة للأموال التي تجبى اليه باسم «الحقوق الشرعية» وتشديد «العتبات المقدسة»، اما اليوم فقد انقلبت كل الحسابات السياسية بين عشية وضحاها، وغدا العراق دولة، وفي المستقبل القريب سوف يمتلك موارد ضخمة، وبالتالي يوظف طاقات بشرية هائلة في المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية.. وبالنتيجة يتحرر من هيمنة المؤسسة الحوزوية الفارسية، التي تؤثر بشكل مباشر او غير مباشر على سيادة الوجود العراقي واستقطاب شيعته، وقد أشرت للميرزا النائبي قبل سنة تقريباً: إن الحوزة في يوم ما ستطرد، ولا يعود لها وجود على الساحة النجفية، وليس لها من يدافع عنها بعد أن يغدو العراق حكومة

وشعباً ليس بحاجة الى المساعدات الإيرانية(١١٤)، التي تأتي اليه بـ«العملة الصعبة» باسم دعم العتبات والحوزة.. حتى استهزأ المقربون اليه بوجهة نظري المستقبلية، بل قال احدهم هذه تخيلات عنصرية!!..

قلت له: لماذا (يا شيخ) تزعم تخيلات عنصرية؟!!..

أليس المتصدون لا يقدمون للبيوتات العلمية العربية الا النزر القليل من الدراهم المعدودات، وهم يصطدمون بصعوبة الحياة اليومية، والمتطلبات المعيشية الكثيرة والمتراكمة، وسوف تكون النتيجة ترك تحصيلهم العلمي، ويغدون من طلاب الوظائف والمناصب الحكومية؟! وفي البارحة رأيت بأُم عينيك حينما صاح صالح حمامه (احد رموز النظام) بسخرية: «ابن حسين.. ابن ابو الحسن!!.. ولم يحرك ساكنا من كان في توديعهما في تلك اللحظات، وكان الاخرى بهم أن يردوه على الاقل، وغدا هذا الاجراء المهين في خبر كان.. وكأنه لم يحدث شيء في الساحة النجفية.. والأمر يحدث بعده الأمر(١١٥).

وإذا كان الحسيني البغدادي لا يختلف عن السيد محسن الحكيم، في ضرورة «تعريب المرجعية الدينية»، إلا انهما قد اختلفا في الوسائل والأساليب والاختيار، ومثلما أراد الحكيم انتزاع المرجعية لصالح العرب، فإن الحسيني البغدادي وقف منذ البدايات ضدّ «المؤسسة الفارسية الدينية» في العراق. وكان يعتقد أن دورها سينتهي وتأثيرها سيكون محدوداً بعد أن أصبح العراق دولة، وأن ما يأتي من «عملة صعبة» يزعم دعم المرجعية والعتبات المقدسة سوف لا تكون الحاجة إليه شديدة، كما هي حينذاك، فضلاً عن أن تخلف العراقيين سوف لا يستمر طويلاً. وقد عبّر عن وجهة النظر هذه في حوار له مع السيّد محسن الحكيم (عام ١٩٢٣)، لكن الوقائع ظلت صلبة وذهبت عكس ذلك، حيث استمرت الامتدادات الخارجية بقوة، لاسيّما في المنعطفات السياسية وهو ما يمكن قراءته على نحو واضح بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وتأثيراته وانعكاساته على أوضاع البلاد(١١٦).

بعد هذه الجولة من فشل الوفد البغدادي الرسمي لهذه المهمة الصعبة بين الطرفين.. «بدأت جولة ثانية جديدة من الصراع بين الطرفين حيث أدى اعلان مراجع الدين في النجف والكاظمية في اصدار فتاوى ضد الانتخابات المؤدية

(١١٤) إنّ هذه التوقعات لقد تحققت في الجملة! أنظر بتوسع في سرديات هذا الكتاب الذي بين يديك: «الفصل الثاني مرجعية السيد الخوئي أهداف مشتركة بين اليمين واليسار فوارق أم مهازل».

(١١٥) الإمام الحسيني البغدادي، ص: ١٥٥، مصدر سابق، و/انظر: مُجّد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨ - ١٩٥٨م، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥م، ص: ٢٦ وما بعدها، و/انظر: المسيرة الجهادية والفكرية، ض: ٢٣ وما بعدها، مصدر سابق.

(١١٦) الإمام الحسيني البغدادي، المصدر نفسه.

لتشكيل المجلس التأسيسي وضد اقرار الدستور وضد قانون التجنيد الالزامي وضد التعيين في الوظائف الحكومية وضد ادخال أبناء وبنات الطائفة في المدارس الحكومية(١١٧) حيث وقّع رجال الدين مُحمَّد تقي الحسين ومشكور الحولائي ومهدي الخراساني وعبد الكريم الجزائري وموسى تقي [زايردهام] وصالح كمال الدين وجواد صاحب الجواهر على مضبطة موجهة الى رئيس الوزراء في ٢١ تموز ١٩٢٢ تضمنت رفض أي قرار او معاهدة او قانون انتخابي يمس استقلال الامة وكرامتها(١١٨) واعلن ابو الحسن الاصفهاني. قائلا:

«الى اخواننا المسلمين ان هذا الانتخاب يميّت الامة الاسلامية فمن انتخب بعد ما علم بجرمة الانتخاب حرمت زوجته وزيارته ولا يجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين»(١١٩).

كما اصدر مُحمَّد حسين النائيني فتوى مشابهاة ورد فيها:

«لا اشكال في حرمة الانتخابات ومن انتخب فقد عصى وجاء بغضب من الله عظيم».

ويبدو ان هذا الاعلان قد اثار غضب الحركة الوطنية عموما ودفعهم الى التوجه نحو رجال الدين لأخذ آرائهم بهذا الصدد وقد وجد هؤلاء ان الحكومة البريطانية ومؤسسة الحكم العراقية برئاسة الملك فيصل الاول قد نكثوا بوعودهم! تجاه العراقيين. واثار الخالصي بحسب ما ذكرت المس بيل الى ذلك بقوله:

«ان بيعة الملك فيصل اصبحت لاغية لأنه اخل بالشروط التي تعهد بها اثناء البيعة والتي تنص على المحافظة على استقلال البلاد». الامر الذي اثار الملك فيصل الاول ضده بعد ان وصله هذا التصريح، لكنه اضمره في صدره بحكم ما يتحلى به

(١١٧) عبد الخالق حسين، الطائفية السياسية ومشكلة الحكم في العراق، دار ميزوبوتيميا، بغداد ٢٠١١، ص: ٧٤.

(١١٨) مصدر سابق، ص: ٧٤.

(١١٩) مُحمَّد باقر أحمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الاشرف، النجف ٢٠٠٤، ص: ٢٥٧. نقلا عن (د. ك. و، وزارة الداخلية، الانتخابات والعشائر، ملف رقم ٢٦١٨ و ٦، ص: ٨.

من المحكمة وسعة الصدر(١٢٠)، كما رفض الشيخ عبد الكريم الجزائري انتخابات المجلس التأسيسي وأعلن حرمة المشاركة فيها(١٢١).

وقد استدعى الملك فيصل الاول عددا من شيوخ الفرات الاوسط كان من بينهم عبد الواحد سكر ومحسن ابو طبيخ وعلوان الياسري وقاطع العوادي وشعلان ابو الجون وتمكن من اقناعهم بان المعاهدة تمثل مكسبا للعراق وان الشروع بانتخابات المجلس التأسيسي يمثل ضرورة ملحة لاستكمال بناء الدولة. وفوافق الشيوخ على رأيه عدا محسن ابو طبيخ الذي صرح بانه غير قادر على مخالفة علماء الدين الذين افتوا بجرمة اجراء الانتخابات مع ذلك فانه بذل جهداً للتوفيق بين ارادة رجال الدين وسياسة الحكومة(١٢٢).

ثم اندلعت مرة اخرى بؤادر الصدام السياسي بين المؤسسة الحاكمة والمنظومة الدينية عندما حددت وزارة عبد الرحمن النقيب الثالثة يوم ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٢ موعدا للبدء بالانتخابات وفقا للنظام الداخلي الصادر في الرابع من اذار ١٩٢٢ وحددت مهامه بما يأتي: أ - وضع الدستور او القانون الاساسي للمملكة العراقية. ب - سن قانون لانتخاب مجلس النواب. ج - التصديق على المعاهدة العراقية - البريطانية.

في تلك الظروف المعقدة، عرض على كبار رجال الدين الشيعة آنذاك منهم مُجّد مهدي الخالصي، وابو الحسن الاصفهاني، مُجّد حسين النائيني استفتاءً حول شرعية انتخاب المجلس التأسيسي فكانت الإجابة من الشيخ الاصفهاني:

«فمن دخل فيه وساعد عليه فهو كمن حارب الله ورسوله واوليائه».

واجاب النائيني بقوله: «نعم حكمنا بجرمة الانتخابات وحرمة الدخول فيها على الامة العراقية كافة وان من دخل في هذا الامر او ساعد عليه ادنى مساعدة فقد حاد الله ورسوله والائمة الطاهرين».

(١٢٠) منتصر حسن دهيرب، موقف رجال الدين والعشائر من الدولة العراقية الحديثة خلال مدة الملك فيصل الاول، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، العدد الاول، ج: ١، مج: ١٥، جامعة المتنى، كلية التربية للعلوم الانسانية، ص: ٢٦٨ - ٢٦٩.

(١٢١) مُجّد حسين علي الصغير، قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٩، ص: ١٣٢.

(١٢٢) مُجّد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، مطبعة الفلاح، بغداد، ١٩٢٤، ج: ٢، ص: ٥٠١.

وأجاب الخالصي، قائلاً: «نعم قد صدر منا الحكم بتحريم الانتخابات على الأمة العراقية كافة فمن دخل أو تدخل أو ساعد فقد حاد الله ورسوله» (١٢٣).

وبعد اسبوعين من بدء الانتخابات اصدر رجال الدين بقيادة الشيخ الخالصي فتاوى جديدة تدعو المواطنين لمقاطعة الانتخابات، وقد صدرت الفتاوى في النجف وكربلاء والكاظمية موجهة الى المسلمين في العراق تضمنت حرمة المشاركة في الانتخابات وجاء في فتوى الخالصي أنَّ الانتخابات قد قامت على وسائل غير مرغوبة من الشعب العراقي حيث استخدم البريطانيون القوة العسكرية واغلقت الحكومة الاحزاب السياسية، ونفت الشخصيات الوطنية خارج البلاد. عليه فانه افي بحرمة المشاركة في الانتخابات او القيام بأي عمل يدعمها لان ذلك يؤذي مستقبل العراق ورخاءه. ووزعت منشورات بعدها تدعو المواطنين الى طاعة فتاوى المقاطعة وحالما صدرت تلك الفتاوى الدينية استقالت الهيئة التفتيشية المشرفة على انتخابات في النجف وكربلاء والكوفة.

وبغية إضفاء الصبغة الوطنية البعيدة عن الطائفة على تلك الفتاوى الدينية ارسلت الى الحاج كاظم ابو التمن شقيق جعفر ابو التمن من اجل تقديمها الى رجال الدين السنة لتوقيعها ووضع اختتامهم عليها وقد فعلوا ذلك، ثم جرت عملية استنساخ كبيرة للفتاوى وتم توزيعها في انحاء العراق المختلفة (١٢٤)» (١٢٥).

عدوان ثلاثي محاصر.. وموقفه ملكي متواطيء

* المشهور بين قوى المعارضة في العراق أنَّ الإمام المجاهد السيّد البغدادي.. بعث يوم السابع من ربيع الأول عام ١٣٧٦ - ١٩٥٦ برقية استنكارية شديدة اللهجة الى الطبقة الحاكمة في العراق لوقوفها موقف المتفرج من العدوان الثلاثي على مصر.. وقد كتب عنها المؤرخون العرب صفحات مشرقة لأنها تستهدف بصراحة متناهية اسقاط حكومة نوري السعيد، رئيس الوزراء العراقي «المعتق» من هنا نسأل ماذا حدث بعد هذا التصعيد في إسقاط وزارة نوري السعيد؟..

اتخذ الحسني البغدادي مواقف راديكالية من النظام الملكي بشكل عام، وخصوصاً عند حدوث العدوان الثلاثي الإنكلو - فرنسي «الإسرائيلي» على مصر بشكل

(١٢٣) مها مزره كاني، الشيخ مُجد مهدي الخالصي ودوره الفكري والسياسي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٢١م، ص: ١٤٩.

(١٢٤) مُجد مظفر الأدهمي، العراق: تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني ١٩٢٠ - ١٩٣٢، مكتبة الذاكرة، بغداد، ٢٠٠٩م، ص: ٩٥ - ٩٧.

(١٢٥) إشكالية الصراع بين حكام العراق...، ص: ٣٣٣ وما بعدها، مصدر سابق.

خاص عام ١٩٥٦م، ولاسيما عند اندلاع الهبة الجماهيرية في النجف وبغداد والموصل ومناطق أخرى من العراق، تضامناً مع الشقيقة مصر، حيث جابقتها السلطات الحكومية بالقمع وقامت بإطلاق الرصاص على طلبة المدارس المنتفضين في النجف، وسقط ثلاثة من أبناء النجف، وهاجت المدينة المنتفضة، حيث تمكن المتظاهرون من السيطرة عليها لنحو تسعة أيام، وكان الجيش قد أرسل لضبط الأمن والنظام دون أن يتدخل في ردع المتظاهرين، وحاولت السلطة امتصاص حالة الغضب الشعبي (١٢٦) وعلى إثر ذلك أرسل الملك فيصل الثاني الدكتور محمد فاضل الجمالي مبعوثاً من قبله، وحين زيارته غير الدبلوماسية طرقت باب الدار فخرج السيد العم ففوجئ برئيس بلدية النجف محمد علي كمونة وكان بصحبته معالي الدكتور الجمالي ورحب بهما ثم أدخلهما الى المكتبة.. وهرع مسرعاً الى بيت العائلة ليخبره بهذه الزيارة المفاجئة.. فجاء سماحته، وأستقبل الجمالي مرحباً به.

وفي بداية الاجتماع بدأ الجمالي: يعرض تطورات الحوادث المؤسفة، التي جرت على الساحة النجفية.. بسبب التظاهرات الجماهيرية الغاضبة.

ثم بدأ يعرض وجهات نظر الحكومة حول العدوان الثلاثي على مصر، واستمر الحوار ثلاث ساعات.

ثم ختم حديثه بالحرف الواحد: والله يا سماحة العم.. إنَّ جلالة الملك المفدى يعتز بمواقفكم الوطنية والإسلامية، ومتأسف من موقف الحكومة إتحاء العدوان.. وسألتقي بالملك المفدى وسأكشف له ما دار من حديث بأمانة تاريخية، وأن يرى ما يمكن عمله على الطبيعة.. وأني أناشدكم أن تتعاونوا معه الى اقصى حد ممكن.. ولما فرغ من كلامه.. رد عليه قائلاً:

لماذا اختارك الملك.. لهذه المهمة الصعبة من دون البقية من أركان نظامه؟.

هل تعلم سببه؟.. كان والدك الشيخ عباس رحمه الله صديقي، ويكن الولاء لي.. ويعلم الملك أنَّ أركان نظامه لم ولن أقابلهم، بل اغلق الباب في وجوههم.. أما انت فقبلت مواجهتك من غير موعد على حساب والدك، لأنَّ المرء يحفظ بولده.. وأنَّ مجيئك نتيجة الخطاب المكتوب (انظر الوثيقة رقم ١٦)، الذي وجهته اليه الرامي الى أسقاط وزارة نوري السعيد وتعين رئيس وزراء وطني يتضامن مع الشعب المصري ويدين العدوان الغاشم الفاقد للعاصم.. بعد أن لمسنا نحن القمع والارهاب، ولمستم انتم كذلك في هذه الايام انفجاراً جماهيرياً هائلاً بدأ أولاً في النجف الاشرف وبعد قليل (وبدون تنسيق) انفجر في بغداد وبقيّة المدن الأخرى.. اندفعت الى الشوارع في كل مكان كتل بشرية من عشرات ألوف الرجال والنساء في تظاهرات مستتكرة صاخبة وصارخة تعلن معارضتها للموقف المتفرج نحو العدوان الثلاثي الطاغوتي على

(١٢٦) الإمام الحسيني البغدادي، ص: ١٥٦، مصدر سابق.

الشقيقة مصر، واليوم تريدون منا التعامل معكم.. لم نكن على استعداد للقفز فوق حركة التاريخ.. ولم يكن لدينا ما يحفزنا على نسيان كل الأسباب الحقيقية للصراع.. وفتح صفحة جديدة منقطعة الصلة بما كان.. ولا يزال قائماً من أسباب هذا الصراع.. نحن لا نصافحكم بعد خراب البصرة.

أما في تداخل ملف الثورة المضادة واسقاطاته على الواقع العراقي اذكر حالة من الصراع المرجعي الداخلي الذي اخذ اشكالا متعددة والذي تحول الى «اتهامات» و«اتهامات مضادة» ولم يسلم منه الا القليل، فان السيد البغدادي مثلاً أشيع انه لم يحارب حكومة عبد الكريم قاسم بشكل او بآخر، وعلى أساس هذا أتهم بأنه متعاطف معه، كما اشيع بأنه كان قريباً من الانظمة التي تلت حكم قاسم ويقول آية الله [الحفيد] السيد أحمد الحسني البغدادي في حوار خاص بيني وبينه إزاء هذه التهم والمزاعم:

عندما عرفت وزارة المخابرات البريطانية أن السيد البغدادي العدو للدود للفرنجية «الصليبية العالمية» ومن خلال اطروخته الفقهية المعروفة بـ«وجوب النهضة» التي يطالب بها طرد الكفار عن بلاد الاسلام جملة وتفصيلاً.. وهنا انكشفت اواراقه بعد زيارة الوفد البغدادي بقيادة الزعيم الوطني محمد جعفر ابو التمن الذي أراد منه اقناع الشيخ محمد حسين النائيني بتأييد المجلس التأسيسي العراقي من هنا شعرت السلطات الرجعية بأن السيد البغدادي هو عدوهم الاوحد ولم ولن يؤيد النظام الملكي مطلقاً، فلذا وضعوا في طريقه العقبات، لاسيما وان هنالك مرجعيات تتعاطف مع الملكية العراقية، الا ان السيد البغدادي ثورته التي عكستها مجمل كتاباته ومواقفه وجرأته ونظافته، ترجمت استثناءً «ميدانياً»... فقد طغى على حياته واقع العزلة «النسبية» إزاء الانحرافات، التي عايشها «حوزوياً» و«سياسياً»، أو «العزلة الاجتماعية» الممزوجة بصراحته (١٢٧) في كشف هذا الواقع نتيجة هذه الحرب الضالة.

(١٢٧) من الممكن الاطلاع على مقابلة واحدة مع السيد البغدادي توضح الفارق في الصراحة والجرأة، بينه وبين غيره من «المراجع» الذين عاصروه، لكن بـ «شرط» أن تكون هذه المقابلة ليس مع صحيفة «عراقية»، قد تقود للقليل والقال، والرشوة والمال، بل مع صحيفة «عربية» بحيث يجب وضع «شرط» آخر عليها و«الشرط» هو أن تكون المقابلة معه ضمن مجموعة مقابلات مع أمثاله من «المرجعيات» لكي يأخذ الكلام طابعه العقوي والمصدق، ويعطي الفرصة المقارنة بين ما يمكن أن ينفرد به من الصفات «الصراحة والجرأة هنا» عن غيره. وبناء على ذلك يمكن أن ندرج هنا نص مقابلة من هذا القبيل أجرتها مجلة (الصيد الأسبوعية اللبنانية) الصادرة في ١٨ / ٢٥ / سبتمبر / ١٩٦٩، مع عدد من «المرجعيات» النجفية وهنا جزء من هذه المقابلة: «عبر الأزقة ذاتها انتقلنا لزيارة بعض أبناء المرجع الأعلى لـ«الطائفة الشيعية» آية الله العظمى وحجة الإسلام سماحة العلامة المجتهد الأكبر السيد محسن الحكيم. سألنا السيد محمد رضا السيد محسن الحكيم عن لبنان الذي يحبه والذي جاءه سبع مرات من قبل وعرف سائر نواحيه.. وسألنا عن الحكومة التي عز علينا تشكيلها... ثم انطلق يروي لنا بعض ذكرياته اللبنانية

التي تعود بتاريخها إلى العام ١٩٤٧، أيام كانت فلسطين ما تزال فلسطين. قلت للسيد محمد رضا: ترى هل يسعدنا حفظنا بالسلام على سماحة المرجع الأعلى.. قال:.. والله، (السيد) محتجب. إنه ممتنع عن مقابلة أي كان عدانا نحن أولاده. لقد جاء الكثير لمقابلته، ولكنه ظل على قراره. وكيف صحته؟..

. الحمد لله، إنه بخير حال..

عساه مرتاحا..

. الحمد لله، ولا حمد ولا شكر لغير الله.. ونسأله تعالى أن يهدينا سواء السبيل لمقاتلة عدونا وعدوه، ومدنس حرماننا، والمعتدي على ديارنا المقدسة، والمشرذ نساءنا وأطفالنا في فلسطين، وحارق المسجد الأقصى، هذا الدخيل الصهيوني الأثيم. طرقتنا على أحد البابين الخشبيين الذين كتب عليهما بالطبشور أو ببعض أنواع الدهان اسم (الخوئي)، ففتح لنا، ودخلنا لغرق وسط مجموعة من طلبة العلم بينهم كهول وشبان وفتية لم تنبت ذقونهم بعد. كان آية الله العظمى وحجة الإسلام، المرجع الديني، سماحة السيد أبو القاسم الخوئي فوق فراشه في زاوية الحجر، على يسار الداخل. سلمنا وجلسنا مأخوذتين بهذه العلامة الذي تجاوز الثمانين من عمره، والذي يعتبر التالي بعد السيد محسن الحكيم في الأهمية والفضل والعلم. سألناه عن حاله، وعن صحته، فحمد الله وشكره، بينما تولى طلبته الكلام نيابة عنه، إذ يتعبه الكلام.. وسألناه عن الأحوال عامة فلم يزد على شكر الله وتمنى الهداية والخير للمسلمين، والصمود لمحاولات الإيقاع بهم.

في الزيارة الأخيرة كان علي أن اسمع ما لا يرضيني.. ذلك أن حجة الإسلام، آية الله العظمى، سماحة السيد محمد الحسني البغدادي لا يجامل ولا يداري.. بادرني سماحته هاتفًا: ماذا تريدون منا، انتم في لبنان؟ ماذا تريد منا صحفهم تلك التي تردد ما يقوله راديو الأهواز من افتراءات ومحاولات للفساد والفتنة؟ لا تحاول إقناعي بأن تلك الصحف إنما تدافع عن الدين وعن رجاله.. إنما تدافع عن الاستعمار ومصلحته في المنطقة.. لم اعلق، فهتف بي: لماذا لا ترد علي؟ لماذا لا تجيب؟ هل يوسعك أن تدافع عن موقف هذه الصحف، أو عن موقف السلطات الرسمية في لبنان منها؟

ارتفع صوته أكثر فأكثر وهو يقول: لقد عرفت أن بعض من سمع كلامي «حاول اتهامي بمبالاة السلطات الحاكمة». تصور أن اهتم، انا، بأن يرضى عني هذا الحاكم أو ذاك!. وماذا تراني أريد من الحكام، أنا المنصرف لخدمة ربي وديني ووطني؟ ظللت ساكتا أتأمل الوجه السمع رغم التجاعيد وغضون التسعين سنة أو يزيد، حينما أكمل سماحته فقال:

. إنهم لا يريدون لهذه الأمة الخير، إنهم يشيعون بين أبنائها عوامل الفتنة وصرف أنظارها عن معركتها الأساسية على أرض فلسطين، ألم تر يمينك قبة الروضة الحسينية المطهرة سليمة من أي أذى؟! ألم تلتق برجال الدين فتتيقن بنفسك بأنهم يتابعون مجهوداتهم وأعمالهم كالمعتاد، أم أنك رأيت عشرات القتلى والجرحى في الشوارع والميادين وحتى داخل المقامات المقدسة؟! حرام، هذا الكذب. وكفر وخروج على دين الله.

كل هذا بينما القدس تحترق! ترى ماذا أصابنا حتى ضللنا طريقنا فلم نعد قادرين على التمييز بين العدو والصديق؟!

وقمنا نودع حجة الإسلام السيد البغدادي فقال: طمئنهم في لبنان أننا بألف خير، وعسى أن يهديهم الله حتى يميزوا بين ما ينفع عباده وبين ما ينفع فقط العدو الدخيل والمستعمر المتربص بنا. في طريق العودة كنا نستعيد تلك (النوادر) الطريفة التي تفضل بها راديو الأهواز على العرب والمسلمين، وأهل العراق خاصة، ومنها:

حكاية (القصاب)، أو (اللحام) الذي تحول بقدرة قادر إلى (حجة الإسلام) و(مجتهد أكبر).. ثم حكاية (رشيد السائل بباب الروضة الحيدرية المطهرة) ولقد صار فجأة آية الله العظمى، وصار مرضه تحسيد الاعتداءات (الحكم الغاشم في العراق) على الشيعة وعلى العتبات

وعندما انتقل العراق الى العهد الجمهوري كان موقف البغدادي واضحاً وجريئاً بتأييد ثورة ١٤ تموز المجيدة، وذلك بعد ان زاره قادة الثورة بما فيهم «فؤاد عارف» أحد قيادات الضباط الاحرار بعد ذلك ابرق السيد البغدادي برقية لتأييد الثورة الى الزعيم عبد الكريم قاسم الذي أجاب عليها بخط يده مخاطباً إياه بالمجتهد. انظر الوثيقة رقم (١٧).

من هنا تحركت بعض القوى «الدينية» لإثارة الاشاعات ضده بأساليب جديدة لا شرعية لأنها لا ترى مصلحة في تأييد قاسم لأسباب إقليمية (١٢٨).

تحرير الشيوعية

بين الاستغلال القومي.. والمرجعية الدينية

إن حكاية الفتاوى التي صدرت من المرجعية الرباعية حول إعتبار «الشيوعية كفر وإلحاد» نلاحظ فتاوى من مراجع دين وفي مقدمتهم السيد محسن الحكيم التي صدرت في شباط ١٩٦٠م، جاء فيها:

«لا يجوز الإنتماء الى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفرٌ وإلحادٌ وترويج الكفر والالحاد اعادكم الله وجميع المسلمين عن ذلك، وزادكم إيماناً».

وأما فتوى الشيخ عبد الكريم الجزائري جاء فيها:

«... الشيوعية هدمٌ للدين وكفرٌ وضلالٌ، فلا يجوز الإنتماء اليها بوجه من الوجوه كفى الله المسلمين شرها».

وأما ما صرح به السيد محمد الحسني البغدادي ليست فتوى كما كتب عنها المؤرخون هي مقالة فكرية في مواجهة الشيوعية، فقد أكد على أن:

الشيوعية فئة [فكرة] ملحدة صريحة الإلحاد في كتبهم المنشورة وسائر كلماتهم الشائعة التي لا يمكن تأويلها، ويكفي في ذلك هجر اسم الجلالة وتعقيب من نطق به

المقدسة. ويبدو أننا يجب أن نحاكم كل تلك الأقوال، على أنها نوادر وطرائف وأعمال سحرة... فعندها فقط تستقيم الأمور، ونصبح قادرين على إصدار الأحكام الصحيحة، حتى لو أغرتنا بعكسها مناشير الليل وكتابات النهار وإذاعات ما بينهما. انظر: الحقيقة عن أحوال الشيعة في العراق، طلال سلمان (رئيس تحرير جريدة السفير سابقاً) مجلة الصياد البيروتية، بتاريخ ٢٥ أيلول.

(١٢٨) العمل الإسلامي في العراق، ص: ٤١ وما بعدها، مصدر سابق.

بأنواع الأذى حتى انهم بهذا المبدأ قد قضوا على عباد الله في أديانهم، بل حجزوا عليهم في جميع ما يعود إليهم ولل قضاء عليهم خدع كثيرة قد أشرنا إلى جملة منها.

وقد سرت هذه الفتنة إلى بلادنا وقد اغتر بها أناس كثيرون حتى أصبحوا من أكبر دعاةا وهم لا يشعرون.

فاشتد الاختلاف وعمت الفوضى وأريق الدماء وهتكت الأعراض وأستهين بالحرمان وتوسع الفساد بأنواعه.

وكان لهؤلاء أعظم تأثير على المستضعفين، وقد أبتلى الأبرياء من المؤمنين بأنواع القذف والتكفير ونحوهما، بذلك نسأله تعالى تحسين الحال.

ان الشيوعية فتنة وقعت في زماننا جاءتنا من أعدائنا وهي أكبر فتنة قاضية على الدين والنظام.

فالواجب على جميع المسلمين ولاسيما حكوماتهم مقاومتها والقضاء عليها، فعليكم أيها المسلمون أخذ تمام الحزم لهذا الأمر بكل طريق حاسم لها (١٢٩).

ثقافة الاستفزاز

نقف هنا ونؤكد أن رشيد الخيون يزعم أن ما أصدره البغدادي ليس «فتوى» بل كانت بياناً تحريضياً تعبويّاً لإبادة الشيوعيين العراقيين عن بكرة أبيهم! في الوقت الذي عالج هذه الإشكالية الأخ عادل رؤوف الخبير المحاميد في كتاباته الموضوعية بشؤون المرجعيات «الدينية» والاحزاب الإسلامية والإسلاموية بأنّ مراجع دين آخرين أصدروا فتاوى متزامنة مع فتوى الحكيم ضد الحزب الشيوعي العراقي كالجزائري والشيرازي والخوئي.. فان السيد البغدادي رفض باصرار وعناد إصدار فتوى بالتزامن مع فتاوى المراجع الأربعة (١٣٠) بل بعد فترة زمنية طويلة اضطر متأخراً

(١٢٩) مخطوطات مكتبة السيد البغدادي، ص: ٤٧، مصدر سابق.

(١٣٠) زار وفدٌ حوزوي رفيع المستوى الإمام البغدادي في محاولة لإقناعه حول إصدار فتوى في تحريم الإنتماء للحزب الشيوعي العراقي بالتزامن مع تلك المنوي إصدارها، وكان الوفد يتألف من الشيخ مرتضى آل ياسين والسيد اسماعيل الصدر شقيق الشهيد الصدر الأول والسيد محمد جمال الهاشمي، وقالوا لسماحته أنّ الكفر والحاد أصبح ظاهرة خطيرة في العراق وأنّ الشيوعيين يدعون إلى الإباحية ويسحلون المعارضين بالحبال ولا بد من إصدار فتاوى جماعية ضد الشيوعية، بيّد أن البغدادي أجابهم إن إصدار الفتوى الشرعية بالعنوان الأولي مقبولة ما في ذلك ريب؛ إلا أنّها في العنوان الثانوي ستؤدي بالتالي إلى ذبح الشيعة، وهذا خطأ مرعب لا يغتفر عند الله الواحد القهار.

أن يكتب مقالة عن عقيدة الشيوعية والشيوعيين المعتقدين بها في موسوعته الإسلامية المسماة: «التحصيل في أوقات التعطيل».

إن الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني بادر عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م لدراسة من خزانة مخطوطات مكتبة السيد البغدادي الخاصة دراسة أكاديمية وافية، وأعقبها بترجمة مختزلة لصاحب المكتبة وعن أسرته الأدبية والعلمية والجهادية. وقد بادرني بسؤال حينما كان يكتب عن جهاده الميداني عن حرب العراق وعن ثورة العشرين! هل عند سماحة السيد جدك رأي حول المبادئ الشيوعية الهدامة. قلت: نعم.. نعم في تحصيله المخطوط (١٣١).

إن المقالة كانت أكثر حصانةً وحذرًا وحيطَةً تحاول أن تفرق بين المؤمنين الحقيقيين وبين القواعد الشعبية التي انتمت للحزب الشيوعي العراقي لأسباب متعددة ومع المجازر التي أرتكبت بحق الشيوعيين فيما بعد وحينها أصدر البعثيون بياناً برقم (١٣) يقضي بتصفية الشيوعيين مع أن فتاوى «المرجعية الرباعية» وظفت في الإبادة الجماعية، حينما أظهرها مصورة عبّر التلفاز كإجراء تصفية حسابات سياسية لتنفيذها. إلا أن تصورات وحسابات الاسلاميين والحوزويين تختلف اختلافاً كبيراً في تقرير الدور الفاعل الذي أنجزته هذه الفتاوى في هذا الإطار. بيد أن هناك من لا يتصور بأن الفتاوى كانت هي الأسس الأساس في تصفية كوادر الحزب الشيوعي

ثم أين كنت طوال هذه السنين عن الشيوعيين والشيوعية ومواجهتها من وجهة فكرية وعقدية وثقافية؟!...

جدير بالذكر يقول: محمد سعيد الحكيم: إن العراق حين تعرض لخطر المد الشيوعي الاحادي انفتحت المرجعية الشيعية بقيادة السيد الجد السيد الحكيم على أهل السنة في العراق ورحبت بهم لتوحيد الكلمة من أجل الوقوف في وجه المد المذكور (في رحاب العقيدة ٢٤٧/١) غير أن شقيقي السيد علي يرد عليه، بقوله: لماذا لم يفت بتكفير الشيوعية أيام الحكم الملكي حين كان الحزب الشيوعي أكثر الاحزاب العلمانية قوة وانتشاراً، كما لم يفت إلا بعد سبعة أشهر من قيام عبد الكريم قاسم بمهاجمة الشيوعيين [يقصد خطاب الزعيم قاسم في كنيسة مار يوسف] وإتهامه للشيوعيين بالفوضوية.

ويطرح السيد الشقيق إن الحكيم استعان بحزب البعث لمكافحة الحزب الشيوعي، في نفس الوقت قد جعل حزب البعث فتوى الحكيم سُلماً لإستلام السلطة، كما أن الهدف من الاتفاق مع علماء أهل السنة هو اسقاط حكومة عبد الكريم قاسم وليس من أجل إتحاد كلمة المسلمين، وبعد الإطاحة بقاسم حصلت القطيعة خصوصاً باستهداف شيعة العراق (الشيئات الثلاث: شيعي، شروكي، شيوعي) الذين أصبحوا فريسة للنظام البعثي. وأضاف: لقد صرح بعض بطانة السيد بأن المرجعية انتصرت على قاسم؛ ولكن القوميون استفادوا من ذلك وصعدوا على أكتافنا، أنظر: المطارحات الإسلامية (بتصرف خفيف) ص: ٢٢٤ وما بعدها، مصدر سابق، و/انظر: عدنان السراج، الإمام محسن الحكيم دراسة تاريخية، ط: دار الزهراء، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ص: ٢٢٨.

(١٣١) انظر: التحصيل، ج: ٥، ص: ٢٥٣م، مصدر سابق.

وأنصاره. بل أنَّ ميليشيا المقاومة الشعبية هي التي بدأت بالجازر والمذابح وسحل المعارضين بالجبال(١٣٢).

ومهما يكن، فإنَّ كل ما يمكن قوله بهذا الصدد هو أن نقول بأنَّ مريد: ماذا هناك يا رشيد في تصفية حساباتك السياسية المبرمجة، وعلاقاتك الحميمة بـ«فخري كريم»، و«مهدي الحكيم»(١٣٣). اللذان يحاولان تشويه أسر وبيوتات عربية ووطنية على طول التاريخ الحديث! وفي طليعتهم أسرة الإمام البغدادي الكبير - وبهذه البساطة يزورون التاريخ الناصع الأمين، أجل هكذا يفعل «كتبة الصفة» المسيرين من امثال رشيد الخيون! وتلك حكاية تحتاج مبحث آخر مستقل يستدعي قراءة نقدية بعيدة عن الاستغفال والاستحمار والانتقام والانوية والانانية بهذه الصفحة الالتزامية في قراءتنا لتاريخ هذا «الرجل» المتطفل على موائد التأليف والتحقيق في كل شاردة وواردة.

حضور البغدادي.. في مواجهة الشاه

* المشهور عن الإمام المجاهد السيّد البغدادي انه العدو اللدود للأسرة البهلوية منذ مجيئها إلى عرش إيران.. وفي بداية انتفاضة خرداد عام ١٩٦٣م ضد الشاه محمد رضا بهلوي.. لم يكن الإمام المجاهد سباقاً في هذا الحدث التاريخي الحضاري.. في نفس الوقت نلاحظ كل القوى المعارضة من مراجع واحزاب استنكروا فوراً الممارسات الوحشية ضد تطلعات الشعب الإيراني، الذي شجب قانون «كابيتو لاسيون» ما هو رأيكم في ذلك؟!

** كان السيّد البغدادي رضوان الله عليه من وراء المنظار يدرس حقيقة الاوضاع الجارية في إيران وابعادها وتأثيراتها على الساحة الإسلامية بدقة موضوعية وعقلانية..

(١٣٢) أنظر بتوسع الفقرات التالية: «المرجعية.. والمد الشيوعي»، ص: ٢٤ و ٣٦ وما بعدها، مصدر سابق و/«تحديات أمام الخيار الاصلاحى» عادل رؤوف، «العمل الإسلامى في العراق» مصدر سابق، و/انظر: «ثورة ١٩٥٨ وجماعه العلماء.. الى اين؟!» المسيرة الجهادية والفكرية، ص: ٣٣ وما بعدها، مصدر سابق، . و/انظر: «تحریم الشيوعية» عبد الحسين شعبان، «الإمام الحسينى البغدادي» ص: ١٦٧ وما بعدها، مصدر سابق، و/انظر: «فوارق بين الفقيه والسلطان» في الثقافة الدينية، احمد الحسينى البغدادي، ط: ٢، ص: ٥١ وما بعدها، مصدر سابق. وما جاء فيه: استوقفتني كلمة: «ماركسي» انخرت دموعي عندما عاصرت الانقلاب الدموي في الثامن من شباط عام ١٩٦٣م الذي أصدر حاكمه العسكري اللواء رشيد مصلح التكريتي (قتل عام ١٩٦٩م) البيان رقم (١٣) يقضي بتصفية «الشيوعيين» عن بكرة أبيهم، واستغلال فتاوى المرجعية الرباعية النجفية في ذلك!.

(١٣٣) انظر فقرة: «عمالة مهدي الحكيم» في كتابنا: «إيران والعراق أسرار وقضايا»، ص:

١٥ وما بعدها، مصدر سابق.

وشاءت الاقدار أن يكون السيّد البغدادي مريضاً في بغداد.. وبعد الاحداث المؤسفة في إيران جاء على الفور الى النجف الاشرف، وحضر مجالس الفاتحة المقامة على أرواح الشهداء.

وهنا اجتمعت معه القوى المعارضة، وتداولوا فيما بينهم ما يجري على الساحة الإيرانية من احداث خطيرة.. ثم أعقب ذلك لقاء آخر (يعتبر هذا الاجتماع بمثابة مؤتمر تمهيدي) في داره العامرة حضره السيّد عبد الله الطاهري الشيرازي، والشيخ حبيب الأراكي، وأخوان مرعشيان، والشيخ محمد اللاهيجي، والسيّد عبد العزيز الطباطبائي والشيخ محمد هادي الاميني.. وغيرهم. فكان حصيلته هذا اللقاء الموفق أن استجاب السيّد البغدادي.. وبعث البرقية الثورية الشديدة اللهجة الى طاغية إيران محمد رضا بهلوي، فكان لهذه المبادرة العظيمة اثرها الفاعل في الساحة الإسلامية.. وحين اصداها بمنشورات موزعة في كافة انحاء العراق بادرت إلى إذاعتها صوت العرب القاهرية في تعليقها، الذي يمثل وجهة نظر الحكومة المصرية من خلال معلقها السياسي المعروف أحمد سعيد، ونشرتها صحف العربية المتحدة أنظر الوثيقة رقم (١٨)، وترجمتها قوى المعارضة الإسلامية الى اللغتين الفارسية والتركية، وطبعت مشفوعة بصورته الكريمة في منشوراتهم السرية داخل سجنهم الكبير.. وفي النجف الاشرف بادرت الحوزة «العلمية» المعارضة يتقدمهم الشيخ مهدي كروي بزيارة السيّد البغدادي في داره العامرة.. يعبرون عن مشاعرهم الصادقة إتجاه هذا المنعطف التاريخي الكبير.

- هل من حوادث هامة لفتت نظركم؟..

نعم.. نقطتان:

الأولى: حينما اوكلت إليّ مهمة توزيع البرقية في بغداد وضواحيها.. كان بصحبي الشهيد السيّد ابراهيم أحمد الفاضلي، والشيخ محمد سعيد الغيبي.. وقد احتجزونا في مقر الحرس القومي في الكاظمية، وكان الفاضلي يهتف: ألم تروا الإجازة الممنوحة في المنشور؟! فلم يلتفت مسؤول الحرس القومي اليه، واستمر في مهمته يستفسر الجهات المختصة للتأكد من السياسة الخارجية للحزب والدولة إتجاه هذه البرقية اللا دبلوماسية.. فكان الجواب على الفور اتركوهم وشأنهم، وما نحن والشاه عدو العروبة والإسلام.

والثانية: جندت المعارضة الإسلامية الإيرانية في الداخل وفي الخارج كل طاقاتها في دعم هذا الموقف الرسالي الثوري، الذي تصدى له السيّد البغدادي.. والعامل الاساس في ذلك أن السيّد محسن الحكيم لم يستنكر اعمال الشاه الوحشية مباشرة، وانما ابرق في حينها لأحد علماء طهران السيّد عبد الله البهبهاني المتعاطف مع شاه إيران الطاغية متأسفاً بشكل عام للإحداث الجارية في إيران.

إنَّ موقف السيد الحكيم التاريخي المشهور في العراق من السيد الخميني وقبلها من إنتفاضة الخامس عشر من خرداد عام ١٩٦٣ ورسائله التي وجهها الى مراجع وحوزات إيران ومن أبرزها برقيته التي بعثها للسيد الخميني بتاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م دعا فيها الى الهجرة من إيران نحو العراق. وورد في بعض من صرح أنهم خمسة وعشرون علماً حوزوياً. بل في مصدر آخر إنها وُجِّهَتْ الى حوزات إيران كافة في سبيل الإقامة الدائمة في النجف واتخاذ قرار حيال شاه ايران، جاء فيها:

إنَّ الحوادث المؤلمة المتتالية والفواجع المخزية التي ألمت بساحة العلماء الأعلام والجامعة الروحية في قم قد أدمت قلوب المؤمنين والمتدينين، وأوجبت تأثرها الشديد ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. أملي حضرات العلماء ينزحون باجمعهم الى العتبات المقدسة حتى أقولها كلمة صريحة في الدولة. ١٨ ذي القعدة ١٣٨٢ هـ. محسن الطباطبائي الحكيم.

وعلى أَس هذا إستهزأ سماحة الإمام الخميني على هذه الدعوة المشبوهة التي تساند وجود الشاه الطاغية للديمومة امبروطوريته الملعونة وإخلاء الساحة الايرانية من الحوزات والعلماء المجاهدين.

- قالوا: بعد فترة ليست بطويلة اخذت المؤسسة الدينية في النجف الاشرف موقف الصمت المطبق حول ما يجري في إيران.. ماذا كان موقف الإمام المجاهد السيد البغدادي قدس سره؟!..

- قد تسربت اخبار من إيران.. مفادها: إنَّ الشاه اعتقل الخطباء الإسلاميين ورجال الحوزة المعارضين الأشداء في كل مكان، وهنا بادر الدكتور محمد صادقي طهراني، والشيخ مهدي كروي.. وكان برفقتهم الشيخ محمد هادي الاميني، والشهيد السيد ابراهيم أحمد الفاضلي، والشيخ محمد ابراهيم جناتي.. يلتمسون من السيد البغدادي أن يستنكر هذه الاعمال اللا إنسانية، التي يقوم بها الشاه الطاغية.. الا أنَّ سماحته امتنع في البداية.. قائلاً:

اذن.. اين المتصدون بالأمس؟!.. لماذا لم يستنكروا اعمال الشاه مباشرة، ويرقوا اليه شخصياً، بدلاً من أن يرقوا إلى العلماء هناك؟!..

فرد عليه صادقي هاتفا: انت يا مولاي رابعهم بالإجماع ما نحن وهؤلاء!!..

- اذن.. من هنا سأبرق ضد الشاه العميل طالباً اطلاق سراحهم.

ومن خلال هذه المواقف الرسالية الثورية الجريئة في محاربة شاه إيران الطاغية... حاولت الزمر الشاهنشاهية أن تسلك كل ما تستطيع لتفريق شتى التهم، والصاق

النعوت، التي تطفح بها مخيلاتهم المريضة بالإمام المجاهد السيّد البغدادي.. بل وقد تعرض مراراً لحملات مضادة من جانب اجهزة الإعلام الشاهنشاهية.. بل وصل الأمر الى ما هو اكبر من ذلك.. وصل الأمر الى حد ندد به اعضاء المجلس النيابي السوري الشاهنشاهي في إيران.. وسموه بـ«المهرج الارهابي».. ولكن في حينها كانت تلك الزوبعة المثقلة بالسموم، ورمال الاحقاد الصفراء، والأتربة السوداء التي هبت على فقيه الإسلام السيّد البغدادي قدس الله روحه الطاهرة في محاولة لتغطية وجهه الشمس.. زوبعة في فئجان.. فلم تضعف عزيمته، ولم تلتن قناته، واستمر في جهاده الإسلامي المتواصل بإيمان ويقين، ولا يستسلم حتى النفس الاخير.

قد قارع المستعمرين وكل مأجور وحاقد

لم يثنه عن رأيه الدخلاء أرباب المكائد

قد قارعوه تجنباً لكنه قد ظل صامد

بطل أبي عيلم ومحنك علم مجاهد (١٣٤)

كتب الدكتور الأميني، قائلاً: أعود بذاكرتي الى عام ١٣٨٣هـ - ١٣٤١ش حين كنت في النجف الأشرف، وقد عهدت الحركة المناهضة المقاومة يومذاك ضد العهد الملكي الإيراني المباد فيها تجاوباً لانتفاضة الشعب الإيراني المسلم المثابر الصامد، الذي كان يقدم الضحايا والقرايين في سبيل عقيدته ورسالته في إيران بعد أن ساهمت فيها النجف الأشرف مساهمة فعالة، ووقفت الى جنب الشعب الإيراني المكافح، لأن نجاح الثورات والنضالات الشعبية التحررية في الوطن الإسلامي منوط بتأييد النجف الكامل ومساندتها مادياً ومعنوياً، وهكذا الحال في بقية الحركات العلمية والفكرية.. وهذه المعالم واضحة في كل زمان، وقد ظهرت الشخصية النجفية على صعيد العلم والأدب والكفاح الشعبي وكافة المجالات بوجه عام.. فكنت على اتصال وثيق بزعماء الحوزة الدينية، وقادة الحركات العلمية أوقفهم على التغلغل الصهيوني في إيران، وأحثهم على إستنكار الجرائم والحوادث الدامية المتتالية التي تحتاح الشعب، وفي خلال تلك الفترة أصدرت عدة بيانات حادة قارصة ضد الحكم الملكي المباد والاعتداء الصهيوني الغاشم، وتدخله السافر في قضايا الشعب الداخلية، والمجزرة الأثيمة التي وقعت بالشعب الإيراني من لدن جلاوزة (ابن غوريون) الطبقة الحاكمة على أكتاف الشعب والقتال والتصادم والأهوال والنكبات، التي حلت بساحتهم، واعتقال زعماء الدين والسياسة والخطابة والاقتصاد، وزجهم في غياهب السجون، ولا ذنب لهم يحسب غير كفاحهم في سبيل مثلهم العليا والدفاع عن حومة الدين، وعن حرية

(١٣٤) هذه الابيات من حفظ الخاطر، وأنا لست شاعراً، ولهذا ترائي لا أستشهد في كتاباتي، ولا في مقابلاتي، ولا في مجالسي الخاصة!..

الوطن الشهيد المذبوح بسكاكين هؤلاء الأوغاد، الذين أيدوا بالأمس اعتراف ملكهم القزم بالدولة اللقيطة «إسرائيل».

أجل.. أعود الى وراء، إلى السنين الغابرة فأتذكر جيداً أنَّ الفقيه الإمام المجاهد السيّد محمّد الحسني البغدادي المتوفى ١٣٩٢هـ، وهو من أحفاد أمير الحجاز الشريف قتادة بن إدريس كان من بين الفقهاء والمجتهدين، الذين تجندوا ضد الحكم الملكي الفاسد في إيران، وكنت على اتصال دائم معه، فحدثته ذات يوم عن الظروف والحوادث الإيرانية، والتيار الصهيوني المقيت، وأذنا به من القرود والأوغاد، الذين ما برحوا ينهشون بأنيابهم الدامية عروق الإسلام ويفككون عرى القوة العربية والأخوة الإسلاميّة، وقد بلغ السيل الزبى، فكان لا بد للسيد أن يثور، وبالفعل استجاب لصيحة القرآن، واندفع على صداها يذود عن شرف الإسلام وحرماته، ليجعل الحد الفاصل لمهاترات شرذمة استحوز عليهم الشيطان الصهيوني فأنساهم ذكر الله....

وعلى إثر النكبات، وفي وسط الأهوال والتنكيل بالشعب الإيراني بعث السيّد استنكاره واحتجازه الشديد في برقية قارصة قرأنا في سطورها آيات المجد والبطولة.. وسور الخير والمحبة والدعوة الى الله وجمع الشمل، ونصها:

عاهل المملكة الإيرانية محمّد رضا بهلوي . طهران .

اتخذاكم لأعداء الإسلام الذين كان مقصدهم الوقيعة في شريعة سيد المرسلين ﷺ، والقضاء على الإسلام والمسلمين.. هو الذي أدى الى سوء صنيعكم بالشعب الإيراني، وعلمائه الأبرار قتلاً وارهاباً وحبساً وتبعيداً، وأعظم من ذلك بغيكم على علماء الدين، وعلى رأسهم الإمام آية الله الخميني، الذين بهم تقام الدولة، وتنظم الرعية، كيف لا وهم حجج الله وآياته، وأعلام الدين ودعائه؟.. وقد يؤدي سوء صنيعكم الى سوء عاقبتكم في الدارين هواناً وخسراناً، وصريح القرآن في كثير من آياته هو البطش والانتقام من الجبابرة والطاغين، وأنّ فاجعة إيران لم تكن خاصة بهم، بل عمت كافة المسلمين فانهم منكم ناقمون، وعليكم ساخطون، والأمر يحدث بعده الأمر. انظر وثيقة رقم (١٨).

محمّد الحسني البغدادي

وقد كان لهذه البرقية الدّينية السياسية أثرها الفاعل في البلاد الإسلاميّة، فبادرت الصحف العراقية الى نشرها، وأذاعتها محطة إذاعة «صوت العرب» القاهرة، وفي إيران نقلت في حينه الى الفارسية [والتركية]، وطبعت مشفوعة بصورة السيّد الحسني البغدادي.

والغريب المؤسف أنّ بعضاً ممن أرّخوا إنتفاضة الشعب الإيراني، ودونوا مراحل انقلابه المظفر نسوا أو تناسوا، لعوامل هم أدري بها، الإشارة ولو من طرف خفي

الى الموقف البطولي الرائع، الذي لعبته الشخصية النجفية بصورة خاصة في هذا الحقل وجهودها واجتهادها المتواصل في نجاح الانتفاضة ودفعها الى التطور والتقدم والازدهار.. كما أنهم لم يذكروا مئات البرقيات والنشرات والمقالات الصادرة في وقته هناك، وكلها كانت لها آثارها البالغة، وتأثيرها العميق في نزوج الثورة، وتمهيد قاعدتها الشعبية والدولية.

ومهما يكن من أمر، فبعد أيام توالى الكوارث والحن في إيران... تزداد بطشاً، وشدة، وأذنان ابن غوريون... يواصلون بطشهم وفتكهم بالشعب الإيراني الأعزل من كل سلاح سوى سلاح الإيمان... وسلاح العقيدة المنتصر بإذن الله تعالى.. فبعث السيد البغدادي ببرقية أخرى يستنكر فيها أيضاً بطش الطبقة الحاكمة الدكتاتورية في إيران وعبثهم وغيهم وهذا نصها:

عاهل المملكة الإيرانية محمد رضا بهلوي - طهران

أبرقنا لكم، كما أ برق العلماء صيانة لمقامكم وشعبكم، فلم نجد منكم جواباً، ولا هدى ولا صواباً، كأننا من أعدائكم، ولم نكن من «أوليائكم»، وما أدري أكان ذلك جهلاً ونقصاناً، أو تمرداً وطغياناً، عصماً الله وإياكم، فتمسكوا بالقرآن تلاوة واستماعاً تنالوا به نجاحاً وارتفاعاً، فاحذروا تخويفه وتهديده ووعيده ويطشه.. فالله.. الله.. في حماية الدين، الله.. الله.. في دماء المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى.

محمد الحسني البغدادي

وليت مهاترات هؤلاء المناكير.. وقفت عند هذا الحد من تعذيب رجال الدين، وتشريدهم، وقتلهم، والتنكيل بهم، وإيداعهم السجون والمعتقلات، بل تبادوا في غيهم، فأصدر عملاء الصهانية والبهائية أمراً بالقضاء على رجال الدين، وقتلهم تحت كل شجر ومدر، فبلغ عدد الضحايا من الشعب الإيراني المسلم ١٠/٠٠٠ آلاف.. ويحلم الملك في الوقت نفسه باستمرار عرشه سنين عدة...

ولكن هل من المعقول استمرار حاكم مراهق كهذا إعتد على أسياده المستعمرين من مصاصي الدماء وأعداء الشعوب لإسناد كرسيه المحطم الجوانب، الذي جعل الشعب بضرباته الفولاذية منه تابوتاً للديكتاتورية المقبورة الى أن يأتي أمر الله، وكان أمر الله حتماً مقضياً... (١٣٥).

خطاب الوحدة.. خطاب الطائفية

* عام ١٩٦٥ ميلادية وجه الإمام المجاهد السيّد البغدادي بياناً خطيراً يندد فيه بالنعرات الطائفية التي يثيرها النظام العارفي الرجعي المتخلف بين أبناء الشعب العراقي الواحد... كيف تمت عملية تحريفه واستغلاله؟.. وماذا كانت المردودات السلبية بعد ذلك؟..

** إن البيان الثوري الإسلامي في واقع الحقيقة كان خطوةً رساليةً يكاد يكون هو الأول من نوعه في تاريخ العراق الحديث. انظر الوثيقة رقم: (٢١)، لأن السيّد البغدادي وجد الطائفية متجسدة.. يثيرها عبد السلام محمد عارف واجهزته.. والسيّد محسن الحكيم وحاشيته.. سواء بسواء..

ومن الطبيعي هذه الورقة الصفراء يستفيد منها الاستكبار والكفر العالمي وعملاؤه في المنطقة لتصفية طموحات هذا الشعب المسلم وآماله المستقبلية الحضارية التاريخية.

وعلى هذا الاساس.. ارسل البيان الثوري الإسلامي الى مطبعة الغري الحديثة.. الا أنّ المنتسبين للعائلة العارفية هددوا صاحب المطبعة وأمره بعدم طبع البيان، حتى لو كان مجازاً من قبل وزير الثقافة والارشاد، ومن رابع المستحيلات أن تجيز الدولة مثل هذه الممارسات اللا مشروعة في القانون «على حد زعمهم»، بل بادرت الاجهزة المختصة في النجف الاشرف بسرعة مذهلة بتحريفه، بل ونشره في اجهزة وسائل الاعلام المختلفة.. مع نشر البيانات والبرقيات الصادرة من رجال الدين المعممين المواليين للعائلة العارفية!..

ومن هنا.. تحرك السيّد البغدادي بسرعة دون أي تردد أو وجل.. وبأدر بإصدار بيان يحمل صيحات احتجاج على هذه التصرفات اللاشرعية.. فأمرني رضوان الله عليه أن اقوم بهذه المهمة الصعبة ويكون باسمي شخصياً فليبت الطلب بكل اعتزاز وشرف.. فذهبت الى بغداد، وكان برفقتي السيّد محمد صادق الحسني ابو وسام.. فذهبنا معا الى مطبعة النجوم، لان صاحبها ومديرها صديق ابن العم.. وطرحنا عليه أمر السيّد البغدادي فأمتثل لهذا الأمر الواجب.. شريطة أن ينفذ بعد انصراف العمال، حتى لا ينكشف الأمر للأجهزة الامنية المختصة.. وبالفعل طبع البيان يوم الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك، وجئنا به الى النجف الاشرف، ووزعناه على علمائها ورجالها.. وقد أدى هذا البيان في حينه الى انعطافة تاريخية وثورة مشتعلة في صفوف الشرائع الاجتماعية المعارضة.

وفيما يلي ما جاء فيه:

لا يجوز التفرقة بين المسلمين ويجب الإتحاد بينهم بضرورة الدين هذه هي كلمة يجب تعزيزها واحترامها ونشرها بين كافة المسلمين إحياءاً للدين وطرداً للمشركين فالويل كل الويل لمن حذف ما ورد فيها ما لا يناسب مقامها وأثرها من أفرادٍ قرنوا أنفسهم بمقامي ولغو كلامهم بكلامي كان ذلك منهم تضييعاً لشأننا وقضاءً على الإسلام ووطننا ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ سورة التوبة، ٣٢.

احمد حفيد الإمام المجاهد
السيد محمد الحسني البغدادي
النجف الاشرف
٢٣ رمضان المبارك ١٣٨٥ هـ
انظر: وثيقة رقم (٢٥)

وعلى إثر هذا الاستياء العام لا بد أن نذكر بهذين اللقائين المثيرين للذين حدثا بين الشيخ علي كاشف الغطاء تارة.. وبين ممثل رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف تارة أخرى:

١ - طلب الشيخ علي كاشف الغطاء مقابلة السيد البغدادي (ليلة اصدار البيان) في محاولة يائسة لتهدئة سماحته.. وبمجرد أن استقر قليلاً في مجلسه.. بدأ يتكلم فقاطعه السيد البغدادي موجهاً إليه عتاباً أخوياً ولا جدوى من تبريرات الشيخ الا موضوعية، لانه هو من جملة الذين اصدروا بياناً يهاجم من طرف واحد مثيري الطائفية، ويساند نهج السلطة العارفية صراحة..

وبين ليلة وضحاها وجدت على الساحة النجفية اشاعات ما انزل الله بها من سلطان، تتناقلها الالسن في كل مكان وفي كل زمان.. مفادها: إن السيد البغدادي شتمه.. ثم بالتالي طرده من مجلسه شر طرده (١٣٦)!!..

ولكن.. اقول والحق يقال: كان أبرز ما حدث في تلك الجلسة أن خاطبه بهدوء واحترام:

يا شيخ علي اتق الله من غضبه وسخطه وكن على سيرة ابائك الأولين، الذين كانوا على بصيرة من دينهم.. فلا تكن من المخدوعين.. وانت خاتمة اجدادك العاملين، الذين لم يضعوا (عبر نصف قرن حينما كانت دفعة الزعامة المطلقة بأيديهم)

(١٣٦) أنظر بتوسع فقرة: «أحمد الوائلي.. حضور.. اعتذار.. تظلم»، في كتابنا: إيران والعراق أسرار وقضايا، ص: ١٣٣ وبعدها، مصدر سابق.

حجراً على حجر على حساب العلماء العاملين، والفقراء المحرومين باسم الشريعة والدين.

٢ - اوفد الرئيس عبد السلام محمد عارف في اليوم الثاني من اصدار البيان الثوري مستشاره الخاص للشؤون الداخلية عبد الجليل أحمد العبيدي.. ورفقته الدكتور محمد بديع شريف رئيس ديوان رئاسة الجمهورية، والشيخ عبد الوهاب الأعظمي الأمين العام للمؤتمر الإسلامي الأول في بغداد.. يقدم الاعتذار على هذه الممارسات اللا أخلاقية، فكان حديث سماعته حاداً في سبيل الوحدة الوطنية في البلاد.. وبعد أن ختم حديثه الشجاع سارع بالخروج دون استئذان من غرفة الاستقبال.. تاركاً وراءه هؤلاء الذين همهم في الحياة الاستحواذ والتفوق والتحكم وحب السلطة.

ولكن نجد الدكتور الباحث عبد الحسين شعبان كتب عن هذا المنعطف التاريخي عن غفلة غير مقصودة، حيث ذهب قائلاً:

وقد حاول الشيخ علي كاشف الغطاء إقناع الحسني البغدادي بالتخلي عن البيان أو عدم توزيعه، خصوصاً وأنه كان يقصد بالاستكبار «الحكومة العراقية» وبالطائفية المجموعة الناشطة من التيار الإسلامي الشيعي الذي كان بينه وبينهم ما صنع الحداد - كما يقال - ، لكن الحسني البغدادي أبى ذلك، وقد حاول أن يشرح موقفه في بيت كاشف الغطاء لممثل رئيس الجمهورية عبد الجليل أحمد العبيدي الذي وصل إلى النجف برفقة محمد بديع شريف رئيس الديوان والشيخ عبد الوهاب الأعظمي أمين عام المؤتمر الإسلامي الأول في بغداد، لاسيما بتأكيده على الوحدة الوطنية، في حين كان الجانب الآخر يريد منه شيئاً آخر، ولما شعر بأنه أدى المهمة قام بترك غرفة الاستقبال وسارع بالخروج (١٣٧).

عالمٌ بلا فلسطين.. نهاية للتاريخ

* الإمام المجاهد السيد البغدادي أصدر أكثر من بيان وفتوى ومقابلة صحفية عربية وإسلامية واجنبية بوجوب مساندة الجيش العربي الرابض على خط النار، ودعم منظمة التحرير الفلسطينية بالنفس والنفيس لأحرار النصر المؤزر الأخير، وتحرير الثرى الوطني الفلسطيني السليب، والقضاء على المعتدين من صهيانية وعملاء ومستكرين... من خلال هذه المواقف البطولية.. فهل كان علي تنسيق مباشر مع قادة فصائل المقاومة الفلسطينية؟..

(١٣٧) الامام الحسني البغدادي...، ص: ٢٠٤، مصدر سابق.

****** بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ كان للسيد البغدادي موقف متميز عن رفاقه الفقهاء في النجف الأشرف.. حيث كان يدعو الى مساندة الثورة الفلسطينية بالجد والسلاح و المال.. بلا وصايا وبلا قيود.. حتى اني اذكر أنّ رئيس تحرير مجلة «الف باء» العراقية.. نشر خبراً في العدد ٢٩ عام ١٩٦٩ ميلادية تستكشف من خلاله التناقضات الموجودة في الساحة الحوزوية النجفية اذا كتب قائلاً:

بعد فتوى آية الله السيّد محسن الحكيم المرجع الديني بنصرة العمل الفدائي.. يأتي الإمام المجاهد محمد الحسن البغدادي ليصدر فتوى بالتطوع في قوات فتح لإبادة الصهاينة الجرمين ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة التوبة، ١٠٥.

تلاحظ من خلال هذا النص «الخبري» إن رئيس التحرير حينما قرأ فتوى الحكيم.. وجد فيها القيود «الشرعية» من قبيل.. أن تكون قيادة حكيمة وأن يكون الضرر أقل على المسلمين أنظر الوثيقة رقم (١٩)، اما عندما قرأ فتوى البغدادي لم يجد فيها وصايا، بل يجب المبادرة للتطوع في العمل الفدائي بلا قيود وشروط (١٣٨)، انظر الوثيقة رقم (٢٠)، فمن قتل في رأيه كان من الشهداء المجاهدين في سبيل الله تعالى.

ومن خلال هذا الموقف الرسالي الثوري الحاسم.. وقبله المواقف الثورية الجريئة.. بدأت الثورة الفلسطينية تفكر بكسب زعماء مدرسة النجف الحديثة أكثر فأكثر.. فبدأت الوفود تنهال باسم: قادة المقاومة الفلسطينية على سماحته للتنسيق معه.. فكانت المقابلة الأولى من خلال الأخ يحيى نصر الله والوفد المرافق له منتدباً عن قيادة حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) وقواتها العاصفة.

ثم اعقبه وفد آخر بقيادة الدكتور ابو بكر امين سر قيادة اقليم العراق وبرفقته الشاعر خالد علي مصطفى عضو قيادة الاقليم، والدكتور عبد الرسول القرشي (ابو

(١٣٨) أنظر الكتب التالية: موقف الإمام البغدادي حول قضية تحرير فلسطين، إصدار جماعة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ط: ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، مطبعة اسعد، بغداد و/أحمد الحسن البغدادي، عندما يحكم الطاعوت (الحلقة الاولى)، ط: ٢، ٢٠٠٨ م، التوزيع بيسان للنشر، بيروت، لبنان و/صلاح مهدي الحمادي، فلسطين في فتاوى العلماء، مجلة الكوثر، بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٢١ هـ. و/كرار اسماعيل محمد مرضي، دراسة تاريخية رسالة ماجستير، جامعة الكوفة - كلية الآداب، ط: ٢٠١٣ م، ص: ٨١ وما بعدها و/محمد هادي الأميني، مخطوطات مكتبة السيد محمد الحسن البغدادي، ط: ٢٠١٤ و/موقف الإمام البغدادي حول قضية تحرير فلسطين، بيانات كتبت ونشرت ١٩٦٩ م لنصرة القضية الفلسطينية، مجلة الموسم الفصلية، تصدر في هولندا، بتاريخ ٢٠٠٩، ص: ٣٥٧ وما بعدها و/أنظر: السيد محمد الحسن البغدادي مواقف النجف من القضية الفلسطينية ١٩٢٩ - ١٩٥٨، اطروحة دكتوراه (جامعة الكوفة كلية الآداب ٢٠١٢ م) للطالب ناجح عبد الحسين الرماحي، ص: ١٥٥.

العلی)، والسید علی نعمة الحلو.. وفي هذا الاجتماع أجرت اذاعة صوت العاصفة وقتها مقابلة صوتية حول زكاة الفطرة، والتطوع ونشرتها مجلة: «فلسطين الثورة» بتاريخ ١٩٦٩ ميلادية.

وبعد فترة ليست بطويلة التقت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. برئاسة ممثلها في بغداد (لم اذكر اسمه الان) على رأس وفد كبير تجاوز عددهم عشرين عضواً وكان دليلهم الحاج محمد طه بشييش، وعبد الرزاق الاسدي (من اهالي النجف) بما انه كان سماعته وقتها في داري طريح الفراش، ولم يجدوه في ديوانه العامر، وحين الاجتماع به طلب رئيس الوفد منه دعم الجبهة مادياً وبالفعل استجاب لذلك وتبرع لهم بما تجمع في حوزته من زكاة الفطر.

ومن هنا.. تبادل سماعته والسید ياسر عرفات، والدكتور جورج حبش كلمات الود والمحبة والاخاء والتفاعل والتنسيق.. لما لذلك من اهمية في تعزيز النضال المشترك ضد الرجعية والصهيونية والاستكبار الاميركي.. وفي إحدى زيارات الأخ ياسر عرفات إلى بغداد، جاء إلى المستشفى حيث كان السید البغدادي يرقد مريضاً في مستشفى مدينة الطب، ليطمئن على السید البغدادي، ويستفسر عن صحته، ويتحدث معه حول قضايا الساعة، إلا أن القدر شاء أن يكون سماعته، للأسف الأسيف في غيبوبة فلم يجر معه أي حديث، فغادر السید عرفات المستشفى مودعاً من مرافقي سماعة السید بمثل ما استقبلوه به من حفاوة وتكريم، متوجهاً إلى قصر بغداد مقر إقامته.. وحينما سمع أبي بهذه الزيارة المفاجئة ذهب اليه يقدم له الشكر الجزيل على هذه المشاعر الجياشة.

- سؤال فرعي يتبادر إلى الذهن بعد الاجابة على هذا السؤال الأول: ماذا كسب الإمام المجاهد السید البغدادي للنجف الاشرف؟!...

- طالما كسب الموقف لصالحها.. ونستطيع تلخيصه في أنما: غدت بحمد الله رمزاً للصمود والتصدي ضد الوجود الصهيوني الاستيطاني الاستكباري، ولم تعد النجف الاشرف كما كانت من قبل كمية مهملة على حافة الصراع وحركته العامة.. استطاعت أن تبني العلاقة الجدلية مع طلائع الثورة الفلسطينية على أسس متينة وسليمة.

مخصلات إيرانية.. مخصلات عراقية

إنَّ السید البغدادي رضوان الله عليه لم يقبض طيلة حياته النبيلة مალأً مشتبهاً.. وقد ضرب في حياته عشرات الامثلة النادرة.. وكيف لا يكون كذلك؟! وهو الذي

زهد في الحلال المباح.. وهو الذي مات مديناً للناس على الرغم من الحقوق الشرعية، التي تجبى اليه من مقلديه وانصاره.. فكان ينفقها في سبيل مساعدة الفقراء والمحرومين.. حتى انه ليلة وفاته.. لم يكن عنده ما يصرفه لعزائه، او يقوم بكفالة عائلته الكبيرة، التي تركها من بعده في التيه المظلم بلا دليل.. ولولا أنَّ المحسنين الملتزمين من عشيرته فتحو من ديوانه الواقع على الشارع العام محلات أجروها ليكتسبوا منها لقمة العيش الزهيد.

وعلى هذا الضوء.. اكشف اليك الأسرار الكامنة من خلال اهم النقاط الرئيسية التالية:

اولاً: قبل نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هجرية اجتمع في ندوته العلمية الكبرى خلال انعقادها صباحاً الحاج محمود اغا الهندي (ت ١٣٤٣) صهر المرجع اليزدي من اجل أن يقوم بأقناعه والالحاح عليه بقبول الراتب الشهري الصادر من عائدات الاوقاف الهندية البريطانية المشهورة بـ«خيرى أوده».. أو «فيلوس الهند» أسوة بـ«بعض العلماء والطلاب الدّينيين».. الا أن السيّد البغدادي رفض رفضاً صارماً استلام هذه المخصصات الشهريّة المشبوهة، التي من خلالها غدا للإنجليز صلات وثيقة وعلاقات ودية مع بعض من قبضوها من ضعاف النفوس الدنيئة.. وخصوصاً من ترأس تقسيمها في النجف الاشرف وكربلاء، وكان كل من يعتاش عليها يغدو في نظر الناس البسطاء في موقع الهمز واللمز.. والحر تكفيه الاشارة!!..

ويجب أن تعرف: أن محمود اغا الهندي كان ضابط ارتباط بين السيّد محمّد كاظم اليزدي.. وحكومة الاحتلال، وكان من أبرز «علماء الحفيظ»، وقد أشادت تقارير المخابرات البريطانية عن خدماته التي قدمها أثناء الحصار الظالم لمدينة النجف وكلمته المشهورة بحضور كوكس بعد انتكاسة الثورة هي تعبير عن رغبته الصادقة بارتباطه المخابراتي الرسمي بالاحتلال الفاقد للعاصم، وما كانت النجف الاشرف تعرف عنه شيئاً الا أنه ظهر على الساحة النجفية بعد أن تقدم الإنجليز من البصرة الى بغداد وغدا في واقع الحقيقة مرجع طلاب المناصب والزعامات الديماغوجية، واصحاب المصالح الشخصية من أبناء النجف، وحينما انتصر الثوار العراقيون على العدو المحتل في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ ميلادية هرب الى إيران.. وبقي صهره السيّد ابو القاسم الخوئي (١٣٩) يرفع مصالحة الخاصة!!..

(١٣٩) انظر بتوسع فقرة: «الخوئي.. المال.. الحوزة.. قرارات ما فوق قانونية»، في كتابنا: «في مواجهة الدين الآخر مذكرات أحمد الحسيني البغدادي...»، ص: ٦ وما بعدها، مصدر سابق و/انظر بتوسع فقرة: «مشروع «الدين الرابع» الابراهيمي الجديد» في كتابنا: في الثقافة الدينية....، ط: ٢، ص: ٧٣ وما بعدها، مصدر سابق. و/انظر كتابنا: المسيرة الجهادية والفكرية....، ص: ٢٧٠ وما بعدها، مصدر سابق.

نافلة القول هنا: لقد أدركت آنذاك أنَّ بعض الشخصيات كانوا يرفضون إستلام ذلك وكانت لديهم تحفظات على هذه المنحة بل حتي يشككون في أمرها الغامض وخصوصاً ضلوع آل اليزدي في أمرها، والمعروفين تاريخياً بعلاقاتهم الوطيدة والخفية مع بريطانيا والتي كانت تستعمر الهند كلها آنذاك.

إنني لا أستطيع تحديد عدد الممتنعين من أخذها، ولكن كنتُ أعرف بشكل واضح بعضهم، مثل الشيخ الرميثي والسيد الحمامي والشيخ القائيني والسيد الشخص والشيخ دعبيل والسيد البغدادي الذي كان شديداً في مهاجمتها ويُعدها لعبةً إنجليزية خفية ويتم التستر عليها بأنها موقوفات!..

لقد تراجعت هذه الحنة شيئاً فشيئاً خصوصاً بعد تنامي الوعي في أجواء الطلبة الحوزويين والمثقفين واختفت بالأخير عند قيام ثورة الزعيم عبد الكريم قاسم رحمه الله، وهذا الأمر كان أيضاً مثاراً للريبة (١٤٠) وقد أشرنا في فقرة: «مدخل إلى منظومة المؤسسة الدينية...» من هذا الكتاب.

وثانياً: بمناسبة مرور ذكرى السنة الثانية على سقوط النظام الملكي في العراق.. بعث برقية استنكار الى عبد الكريم قاسم رئيس مجلس الوزراء، انظر الوثيقة رقم (٢١)، على المهرجانات غير المشروعة، التي قامت بها الدوائر والنقابات والجمعيات الرسمية، وشبه الرسمية بالتصفيق والرقص في شوارع القطر في ذكرى استشهاد الحسين (ع) في العاشر من محرم الحرام.. ومن جراء ذلك حدثت مصادمات دامية في المسيب و الديوانية و الحي ووسط العراق وجنوبه وغيرها... راح ضحيتها عدد لا يستهان به من كلا الطرفين.

وعلى إثر ذلك.. بعث عبد الكريم قاسم الزعيم السيّد حميد حصونه قائد الفرقة الأولى بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٥٩ ميلادية لينقل اليه رسالة شفاهية.. كان السيّد البغدادي وقتها في الكوفة، وبرفته السيّد حسام الدين الهادي الحسني.. وقيل لسماحته أن قائد الفرقة الأولى يرغب في مقابلة سماحة الإمام المجاهد لينقل اليه رسالة هامة تتعلق بالمفارقة الفادحة يوم عاشوراء.. وهو الموضوع الذي يعرف عبد الكريم قاسم حساسيته لدى السيّد البغدادي.. وبعد الحاح شديد قبل سماحته مقابلة السيّد حميد حصونه، ولكنه اعتذر له بأنه مريض غير قادر على الحديث في ما حدث من قبل الشيوعيين في يوم عاشوراء من جرح عميق، وتحذٍ صارخ لتقاليدنا وشعائرن.. فاذا كان لديه ما يقوله من مفارقات شرعية واخلاقية حدثت على الساحة العراقية فمن الخير أن يقوله لمستشاريه.

وهكذا.. تمثّى قائد الفرقة الأولى للسيّد البغدادي الشفاء العاجل، ونقل اليه تحيات عبد الكريم قاسم وتمنياته.

(١٤٠) محنة الهروب من الواقع (بتصرف خفيف)، ص: ١٥٢، مصدر سابق.

ثم اردف يقول: إن سيادة الزعيم الركن يقدم مخصصات شهرية لسماحة السيّد ليستعين بما في شؤونه الخاصة والعامّة.

إلا أنّ السيّد حسام الدّين الهادي بادره بجفاء قائلاً:

ومن العجيب لم تكن لديكم خبرة موضوعية عن قدسية هذا الإمام المجاهد بمواقفه المشهورة بعدم قبض مخصصات من أيّ سلطان مهما كانت هويته.

وهنا.. استغرب ممثل عبد الكريم قاسم من هذه المقولة الرسالية الثورية.. ثم تكلم بصوت خافت:

الم يكن بعض زملائه من مراجع النجف يستلمون مخصصات الزعيم!!! بل البعض طالب شخصياً بذلك، ويبدو أن سماحته على سيرة السلف الصالح!؟...

وثالثاً: فوجئ السيّد البغدادي في شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٥ هجرية بزيارة أحد أركان النظام العارفي المدعو: السيّد نجم الدّين النعيمي، وكان برفقته الشّيخ عبد الوهاب الاعظمي يتقدمهما السيّد يوسف الحلو، والاخير طلب من سماحته أن يجتمع هذان الشخصان معه في جلسة مغلقة.. بسبب وجود طلابه في مجلسه وقتها.. فاستجاب السيّد البغدادي لذلك.. أقول ذلك وقد كنت بنفسني واحداً من شهود هذا الاجتماع.. واذا كانت ذاكرتي ما تزال دقيقة فإن النعيمي بدأ يتكلم بمزاجه الهادئ، ونبرات صوته البطيئة.

قال: إن السيّد الرئيس، (يقصد عبد السلام محمّد عارف)، في حاجة أن يتعاون مع سماحتكم.. وخصوصاً أن البلاد تمر عبر ظروف صعبة ومعقدة.. وكما انتم تعلمون لقد حرك شاه إيران: من هنا الشّيخ محسن الحكيم.. ومن هناك ملا مصطفى البارزاني.. ويقدم لسماحتكم مخصصات شهرية قدرها عشرة الاف دينار من اجل ادارة شؤون حوزتكم العربية، وتغطية نفقات نشاطكم.. يرجو سيادة الرئيس قبولها مع فائق التقدير والاحترام.

الا أن المرحوم السيّد البغدادي رفض هذا الطرح الطاغوتي بلا حوار ونقاش.. وخرج من الجلسة الخاصة متوجهاً الى داخل الدار وهو يقول:

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.. إنا لله وإنا اليه راجعون.. والى الله المشتكى ومنه نتمسك بدينه القويم.

فخرج هؤلاء، وذهب سعيهم، وضاعت هباء، وتبددت في الهواء.. ولم ولن تنجح عملية اختراق السيّد البغدادي في العمل لصالح قوى الثورة الرجعية المضادة.. وهؤلاء نسوا أو تناسوا أن هناك اشياء كثيرة تفوق الاغراء ومهاوي الوقوع في حبالهم..

هي: قوة الانتماء للمثل والمبادئ الكبرى، وقوة الولاء للرسالة، التي يحملها وقوة الشخصية في تجاوز الحصار الاقتصادي الأخير.

إلا أن هؤلاء بالتالي اتصلوا مع ضعاف النفوس من «رجال الدين» من عرب وفرنس الموالين منهم والمعارضين سواء بسواء.. ولم اشر الى اسمائهم لسبب بسيط لأنني لم أعتز على وثيقة أو صورة أو رسالة تثبت هذا الزعم لمن يريدون معرفة حقائق هذه الأسرار والقضايا.

ليتني أستطيع بعث الوعي في بعض الجماجم
لأريح البشر المخدوع من شر البهائم
وأصول الدين عما ينطوي تحت العمائم
من مأس تقتل الحق وتبكي: أين حقي؟!
يا ذئابا فتكت بالناس آلاف القرون
أتركوني أنا والدين فما أنت وديني
أمن الله قد استحصلت صكاً في شؤوني
وكتاب الله في الجامع يدعو: أين حقي؟!

ورابعاً: اجتمع الدكتور عبد المجيد الرافعي، عضو القيادة القومية لحزب البعث، ومسؤول القيادة القطرية في لبنان، والوفد المرافق له مع السيد البغدادي في داره عام ١٣٨٩ هجرية، وكان الحديث بخصوص ما يجري على الساحة اللبنانية من ارهاصات حرب أهلية ظالمة فكان الاجتماع في واقع الحقيقة على مستوى رفيع لما يجري من مناقشات هامة حول قضايا الساعة، وخلال هذه الجلسة، التي دامت قرابة الساعة وقد تم تبادل الأحاديث في هذا الاجتماع التاريخي عما يجري في الساحة اللبنانية وإرهاصات الحرب الأهلية المرتقبة، وما يجري في الساحة العراقية بخصوص إتهام النظام للسيد مهدي الحكيم بالتجسس لصالح المخابرات الأجنبية الذي أذيع مساءً عبر أمواج الأثير على لسان إذاعة وتلفاز جمهورية العراق وصحفها الرسمية نبأ إلقاء القبض على المتهم المذكور. وفي عصر اليوم الثاني أذيعت المقابلة الصوتية المثيرة للجدل التي أجريت مع سماحته رضوان الله عليه قبل أربعة أشهر تقريباً ولم تنشر في حينها مع الأسف الأسيف لتصفيات سياسية مُبَيَّنَة (١٤١).

وفي أثناء الأحاديث المتبادلة بين البغدادي والرافعي همست في أذن سماحته بأنّ هنا آلة تسجيل حديثك! فبادرتي بصراحتي المعهودة: ثم ماذا أنا لست غافلاً، لقد أذعوا عني مقابلة صوتية تحدثت فيها: عن شط العرب جرء لا يتجرأ من العراق.. وعن طاغية شاه إيران وإضطهاده للشعب الإيراني وعلمائه الأبرار.. وعن خطورة

(١٤١) أنظر بتوسع فقرة: «عمالة مهدي الحكيم...» في كتابنا: «إيران والعراق»، ص: ١٥ وما بعدها، مصدر سابق.

الجواسيس والعملاء على أوطاننا العربية والإسلامية فلم أستنكر على توقيت إذاعتها ونشرها في الصحافة، بل ولم أعتذر للشعب العراقي إنها مقابلة أجريت قبل شهر عديدة! وبالأمس زارني وكيلي الشرعي العام في الكويت السيد علي الغريفي [المشهور بالحائري] وأبلغني أن الكويتيين الأعاجم حصرياً ينتقدون تصريحك في مطاردة ومعاقبة الجواسيس في العراق! فأجبت: لا زال هذا هو مبنائي الشرعي والله ولي التوفيق والسداد.

ومن هنا.. جرت احاديث هامة في بهو البلدية حول أهمية هذه الشخصية الإسلامية الثائرة بينه، وبين السيد شبيب لازم المالكي، الذي كان برفقته بوصفه متصرفاً لكربلاء المقدسة وقتها، بادره قائلاً:

قد رأيت ظاهرة غريبة لأول مرة في حياتي تلك هي الحياة التقشفية، التي يعيشها سماحة هذا الإمام المجاهد في ملبسه ومسكنه ونكران ذاته.. وهذا مالا نجد في «رجال الدين» بلبنان، فهم يعيشون حياة «ارستقراطية»، في نفس الوقت نجد لهذه الشخصية مواقف بطولية لا تنسى في مساندة حركة التحرر العربية.

فرد عليه المالكي قائلاً:

إن هذه الشخصية بعيدة عن المال والجاه كزهد الإمام علي (ع)، ولا اخفي عليك سراً: أن الملفات الموجودة لدى الاجهزة المختصة حالياً، أكثر من مرة أن السيد البغدادي يرفض الهدايا التي تقدم الى سماحته (١٤٢).

(١٤٢) وللتأكيد كتب د. شعبان: «وبعد انقلاب ١٧ تموز (يوليو) العام ١٩٦٨ الذي أعاد حزب البعث إلى السلطة، اجتمع الدكتور عبد المجيد الرافعي عضو القيادة القومية لحزب البعث والوفد المرافق له مع الحسيني البغدادي الذي زاره في داره (أواخر العام ١٩٦٩)، وتم تبادل الأخبار والمعلومات عما يجري في الساحة اللبنانية، التي كانت تندر بحرب أهلية، وخصوصاً في الموقف إزاء الوجود الفلسطيني المسلح، وكان السيد شبيب المالكي قد حضر اللقاء بوصفه متصرفاً للواء كربلاء (محافظاً)، وكانت التجف حينها قضاءً يتبع لكربلاء، ولفت الرافعي انتباه المالكي بعد خروجهما إلى حياة التقشف التي يعيشها البغدادي قياساً بأفرانه في لبنان، وطلب مفاتحة القيادة بدعمه مادياً، فكان ردّ المالكي: إن البغدادي رجل زاهد وتؤكد المعلومات التي لدينا أنه يرفض الهدايا وأية مساعدات من الجهات الرسمية. وهو ما أكدته لي المالكي شخصياً إضافة إلى رسالته المؤرخة يوم ٢٨/٩/٢٠١٧. [واليك نصها: رسالة تاريخية حول رفض كافة عروض السلطة بقبول الدعم المالي تنشر لأول مرة هذه الرسالة التاريخية التي وردتنا من الدكتور المفكر العربي عبد الحسين شعبان مؤلف كتاب: «الإمام الحسيني البغدادي مقاربات في سسيولوجيا الدين والتدين (التاريخ والسياسة)» حول رفض الامام المجاهد السيد البغدادي كافة عروض السلطة بقبول الدعم المالي

الأخ الدكتور عبد الحسين شعبان المحترم

تحية طيبة

أرسل اليكم ما كتبت عن أية الله محمد الحسيني البغدادي، كما عرفته شخصياً خلال الفترة التي قضيتها محافظاً في كربلاء، وذلك بناءً على طلبكم.

وشيء اخر اود أن أبرئ ذمتي منه أمام التاريخ سمعت أنا شخصياً من الحاج خير الله طلفاح، وكان وقتها رئيس مجلس الخدمة العامة.. حينما قدم التعزية لي بمناسبة رحيله الى الرفيق الاعلى المصادف أواخر ذي القعدة عام ١٣٩٢ هجرية.. يقول:

قد وجهت إلى الرئيس أحمد حسن البكر عتاباً مفاده، أن الشيخ محسن الحكيم يقدم له شاه إيران مليون دينار كمخصصات شهرية باسم «الوقوف» الإيرانية، ولم يقدم الشاه منها مليماً واحداً الى المرحوم الشيخ المجاهد البغدادي، بوصفه مرجعاً شيعياً!!..

مع خالص المودة

شبيب المالكي
(محافظ كربلاء سابقاً)

المرجع الديني السيد محمد الحسني البغدادي
لقد امتدت فترة اشغالي لمنصب محافظ كربلاء، حيث كانت مدينة النجف الاشرف قضاءً تابعاً لها ما يقارب الاربع سنوات اتسمت علاقتي خلالها مع مختلف فئات الشعب من المثقفين والادباء والمدرسين والعمال ورجال الدين وغيرهم. بروح الود والتعاون والاحاء. ولما تتسم به مدينة النجف من مكانة دينية مرموقة، كونها تحتضن مرقد الامام علي عليه السلام وتتخذ منها المرجعية الدينية للطائفة الشيعية مقرأً لها، فقد كانت محط زيارة ابرز الشخصيات العربية والاسلامية وحتى الدولية وعلى كل المستويات من ضمنهم رؤساء الدول والامراء والملوك يأتون لزيارة هذه المدينة المقدسة للتبرك بزيارة ضريح الامام علي عليه السلام.
ومن ابرز المراجع التي عاصرتها خلال اشغالي لمنصب المحافظ هم: السيد محسن الحكيم، الامام روح الله الخميني، السيد محمود الشهودي، [الشاهرودي] (وهو غير محمود الشهودي رئيس مصلحة النظام الايراني)، السيد ابو القاسم الخوئي، الشيخ علي كاشف الغطاء، السيد محمد الحسيني [الحسيني] البغدادي.
كان السيد محمد الحسيني البغدادي يرفض أي دعم مادي من الدولة على الرغم من حاجته اليه.

ومن ابرز الشخصيات التي زارت السيد البغدادي د. عبد المجيد الرفاعي عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، وخلال اللقاء عرض د. عبد المجيد على السيد البغدادي امكانية دعمه مالياً، فرفض كما رفض كافة عروض السلطة بقبول الدعم المالي.
ومن الشخصيات اللبنانية التي نظمت لها لقاء مع السيد البغدادي

- ١ - السيد طلال سلمان، رئيس تحرير جريدة السفير.
 - ٢ - السيد جعفر شرف الدين، وهو من الشخصيات اللبنانية الشيعية المرموقة.
 - ٣ - اديب الفرزلي، وهو عم الياس الفرزلي.
 - ٤ - كامل الاسعد رئيس البرلمان اللبناني الاسبق.
- وغیرهم الكثير.
مع تحياتي.

شبيب المالكي
(محافظ كربلاء السابق)

انظر: فقرة: «الوطنية والنزاهة»، في كتاب: الامام الحسني البغدادي، ص: ٢٠٨ وما بعدها، مصدر سابق.

فرد عليّ الرئيس قائلاً:

المرحوم الشّيخ البغدادي رفض المال مني شخصياً.. فكيف تتوقع أن يأخذ من تلك المخصصات.. وهو الخصم العنيد لشاه إيران؟...

يقول الباحث المؤتمن الدكتور شعبان: وقد وثّقت هذه المعلومة مع منذر المطلق سكرتير مكتب البكر حينها والسفير لاحقاً، الذي أكّد لي أنه سمعها من الرئيس البكر، مع إشارة إلى مرجعيته العربية الشّجاعة، وهو ما يؤكّد ترفّعه ووطنيته ونزاهته (١٤٣).

ومهما يكن من هذا كله.. فهناك اجماع بين السياسيين والمفكرين على أنه: كان نزيهاً مترفعاً عن الدنيا، وقد كان بإمكانه من خلال موقعه المرجعي الحساس أن يكسب الملايين.. سواء كان من شركة أوده «الخيرية»، أو من جهاز السافاك مخابرات شاه إيران المخلوع، أو من الانظمة العراقية.. كما فعل البعض من زملائه وأساتذته؛ ولكنه فارق الحياة الفانية الزائلة، وهو لا يملك من حطام الدنيا إلا داراً واحدة.. والواقع أنه افضل واقدس من اولئك الذين كسبوا الملايين باسم الدّين، اذ هم تركوها لأبنائهم ينعمون بها ويتحملون اوزارها!!..

وختماً أكّد السيد البغدادي في تحصيله حول المخصصات المعينة من السلطان الغصبي، حيث راح يقول:

نهي في الأخبار المعترية عن طلب الخوائج من الظلمة كالسلطان وامرائه فلا يحسن الاستغناء بهم، بل كل الأموال التي تحصل بسببهم سريعة الذهاب عديمة البركة.

بل شاهدنا ذلك في زماننا قد خاب المتعلقون بهم وأصابهم ما ليس في خلدكم من أقسام البلوى، قال شيخنا البهائي قدس:

انا جربنا ذلك وجربه المجربون قبلنا واتفقت الكلمة منا ومنهم على عدم البركة في تلك الأموال وسرعة نفادها وإضمحلالها وهو أمر ظاهر محسوس يعرفه كل من حصل شيئاً من تلك الأموال الملعونة.

نسأل الله ان يرزقنا رزقاً حلالاً طيباً يكفيننا ويكف أكفنا عن مدّها إلى هؤلاء وأمثالهم انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء، إنتهى.

ولا يخفى عليك إتساع هذا الأمر في هذا العصر فلا ترى من يسلم منه إلا النادر، اللهم نجنا من ذلك وأنت أرحم الراحمين(١٤٤).

السفير الأميركي.. والمرجعية الدينية

إنّ الولايات المتحدة الأميركية تهتم بمنطقة الشرق الاوسط لأنها من المناطق الاستراتيجية في العالم، وبعض اهتماماتها يتركز على النجف باعتبارها منطلق المرجعية العليا للشيعه.. لذا نرى بين فترة واخرى مسؤولي الدبلوماسية الاميركية يزورون العلماء المرجع.

ففي العهد الملكي عام ١٩٥٣ ميلادية زار السفير الاميركي «برتون بري» الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في مدرسته الدينية..

وفي عام ١٩٦٧ ميلادية زار السفير الاميركي وبرفقته الدكتور مشايخي سفير إيران في العراق السيّد محسن الحكيم في مصيفه بالكوفة.

* وهنا من حقنا أن نسأل: هل حصلت زيارة من هذا القبيل إلى الإمام المجاهد السيّد البغدادي بعد مرجعيته الصالحة؟!.. واذا حصلت بالفعل.. فما هي صفة الزيارة؟!.. وبأي اتجاه دارت الاحاديث؟!..

** عام ١٣٨٧ - ١٩٦٧ حينما كان المرحوم السيّد البغدادي ضيفاً لدى الحاج عبد الباقي الطيار في بغداد فوجئ ابو هاشم وابناؤه ومن وجد في مجلسه العامر امثال السيّد حسام الدين الهادي الحسيني والسيّد هاشم السيّد علي والحاج عبد المجيد

(١٤٤) التحصيل، ج: ١، ص: ٥٨٢، مصدر سابق و/انظر: الكتب التالية: أحمد الحسيني البغدادي، حق الإمام في فكر السيّد البغدادي، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الباقر ١٩٩٩)، ص: ٧٣، فقرة: «نحو مرجعية صالحة»؛ أحمد الحسيني البغدادي، فقهاء وحركيون بين الثورة والسكون (بيروت: مؤسسة الباقر، ٢٠٠٢)، في الفقرات التالية: «أزمة قيادة المرجعية» ص: ٦٤، و«خطورة الرمزية القيادية» ص: ٧٤، و«نظام المؤسساتية»، ص: ١٠٩؛ و/انظر: أحمد الحسيني البغدادي، التفسير القرآني للاقتصاد (النجف: مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤)، ص: ٢٦ وما بعدها، و٩١ وما بعدها؛ و/انظر: أحمد الحسيني البغدادي، إيران والعراق، ص: ١٥ وما بعدها، و٣٣ وما بعدها، و١٩١ وما بعدها، و١٩٧ وما بعدها، و٢٢٩ وما بعدها، مصدر سابق، و/انظر: في مواجهة الدين الآخر، في الفقرات التالية: «الشهيد الصدر الثاني بين المحلية والتأسيس» ص ٤٦ وما بعدها، و«صدام حسين بين مرجعتين» ص: ٧٩، و«الخوئي.. المال.. الحوزة.. قرارات ما فوق قانونية» ص: ٨٦ وما بعدها، و«أهداف مشتركة بين السيستاني والأميركان»، ص: ١٠٣ وما بعدها، و«الخامنئي.. الاحتواء المزدوج في العراق.. ضياع الوطن.. وتزوير الدين» ص ١٤٢ وما بعدها.

عكرة والحاج كاظم عبد العزيز الصفار التميمي. بزيارة السفير الاميركي ولم أتذكر اسمه الا أنه كان آخر سفير بالعراق بسبب التحالف الوثيق مع «إسرائيل»، في حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ميلادية فلما جلس ومن برفقته في غرفة الاستقبال المظلة على نهر دجلة قرب الجسر المعلق.. طلب مقابلة سماحته وكان وقتها نائماً فأيقظه ابو طالب بكل هدوء وفاجأه بهذه الزيارة التي لم تكن مرتقبة.

وهنا.. رفض السيّد البغدادي رضوان الله عليه مقابلة ممثل زعيمة الاستكبار العالمي (اميركا) عدوة المستضعفين في العالم مستشهداً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ سورة الكافرون، ١ - ٢.

ولكن.. نظراً لرغبة مستشاريه والحاحهم عليه بوجوب التعاليم الإسلامية التي تأمر بإكرام الضيف مهما يكن.

ومن هذا المنطلق.. اذن بدخول السفير اليه، وهو على سريريه لا يحرك ساكناً.. وحين دخوله على سماحته بادر ترجمانه وكاتبه الخاص.. وهو من اهالي مدينة كربلاء المقدسة من أسرة ال النواب لم اذكر اسمه: إن «سيادة» السفير جاء للاستفسار عن صحة سماحتكم باسم المستر «ليندون جونسون» رئيس ادارة الولايات المتحدة الاميركية.

طبيعي رد عليه: ماذا تطلبون منا انتم في اميركا.. ماذا يطلب منا جونسون... وهو يدعم الصهيونية العالمية.. ويساند احتلال اسرائيل بلاد العرب المسلمين بكل ما يملك من الادمغة.. والاموال.. والاسلحة.. لا تحاول اقتناعي بأن جونسون يريد السلام حقاً بل يريد الاستسلام قهراً.. على حساب الشعب الفلسطيني المشرّد.. وأنا لا استغرب من تصريحات: جونسون الاخيرة.. وما يقوم به من دعم ومساندة لأني متأكد أن البيت الابيض خاضع لنفوذ المؤسسة العسكرية الصهيونية لأسباب كثيرة أبرزها: الاعتبار العاطفية، والتأثير الصهيوني في الحياة الاميركية، وما يتصوره مخططو السياسة في البيت الابيض من أن مفتاح الاستقرار الدائم في الهيمنة على منطقة الشرق الاوسطية هو: وجود دولة «اسرائيل».. فكيف نتوقع من هذا البيت الابيض أن يستنكر على الاقل هذه الحشود المريبة على حدود الجمهورية العربية المتحدة؟!.

وكان حديث السيد الحسني البغدادي بمثابة مفاجأة غير دبلوماسية، لكنها لغة الحسني البغدادي المعروفة بفصاحتها ووضوحها ولغة العراقيين السائدة آنذاك، وهم عرفوا وخبروا كيف تمارس «إسرائيل» عدوانها، وكيف يتم تعطيل التنمية والتقدم، بحجة مواجهتها وتبديد الأموال لشراء السلاح، علماً بأنه كان أوّل الداعين لدعم ومساندة الثورة الفلسطينية «بالجند والسلاح والمال»، فلم يضع قيوداً على العمل الفدائي أو شروطاً لممارسة الكفاح ضدّ الصهيونية، كما فعل بعض رجال الدين

الآخرين في فتواهم التي اتخذت طابع المجاملة، أو هكذا فُتُرت في ظلّ الحماسة السائدة، وقد توافد عدد من القيادات الفلسطينية لزيارة السيّد الحسني البغدادي، والتقى وفوداً من فتح والجبهة الشعبية، وتبادل بعض الرسائل مع ياسر عرفات وجورج حبش، وكان عرفات (أبو عمار) قد زاره في المستشفى حين كان يرقد في بغداد في مدينة الطب.

وكان قد وجّه في حينها نداءً إلى ملوك ورؤساء الحكومات الإسلامية وشعوبها حول مقاطعة الدول التي تساند إسرائيل جاء فيه: «... فالواجب على المسلمين كافة مقاطعة الاستعمار في كل أمر، فيحرم عليكم مساعدة المستعمرين، بل يحرم عليكم كل ما يوجب ضعفكم وقوتهم» (١٤٥).

واخيراً زعم الباحث الدكتور شعبان: هناك من يشكّك بصحة هذه الرواية معتبراً أن اللقاء جاء بترتيب واتفاق، لكنني أميل إلى هذا الرأي، وأعتقد أن الاتفاق لم يكن مع الإمام الحسني البغدادي، بل مع بعض الحاشية التي كانت تريد استغلال اسمه وتليين موقفه، خصوصاً وأن وضعه في مثل تلك الأجواء قد يضطره إلى المجاملة، وبذلك تكون خطوة أولى للتنازل، لكن السيد خيّب مثل هذا الظنّ وأفضل مثل هذا التقدير أو الاعتقاد، حين عبّر عن موقفه الحاد إزاء الصهيونية و«إسرائيل» والولايات المتحدة (١٤٦).

وامتازت مرجعيتي السيد البغدادي والشيخ كاشف الغطاء (١٤٧) عن مرجعية السيد الحكيم بنزعة رسالية ثورية مفصلية، وهذا ما لا نجده في شخصية الحكيم القلقة بوصفها سياسة مطلبية غير محدودة بمجموعة من المطالب السياسية، إذ بقيت المطالب حد توصيفات الباحث عادل رؤوف ترتفع وتنخفض، وتصعد وتخبّط، وتتغير وتتبدل تبعاً للظروف وطبيعة الحاكم وطبيعة التحدي السياسي، وممكنات المرحلة.. ولعلها اتخذت في مرة من المرات شكلاً مثيراً جداً للتساؤل عندما زار السفير الأميركي السيد الحكيم (١٤٨)، وذلك بعدما اندفع العمل الإسلامي و«حين أشتد ساعد التيار الإسلامي، وبدا قوة تُرهب الاستعمار، والنظام العارضي ضعيفاً أمامه، كان الأميركيون الذين تبنا هذا النظام غير مطمئنين على قدرته وحماية نفسه وبسبب هذا الاحساس اضطر السفير الأميركي ببغداد أن يتوجه بنفسه إلى المرجع الديني آية الله السيد محسن الحكيم أعلى الله مقامه، ففي أواخر سنة ١٩٦٧ فوجئ السيد الحكيم بالسفير الأميركي والذي كان معه جملة من المسؤولين، وقد وجه السفير الأميركي سؤاله للسيد الحكيم:

(١٤٥) الإمام الحسني البغدادي، ص: ٢٠٧، مصدر سابق.

(١٤٦) ص: ٢٠٦، مصدر سابق.

(١٤٧) انظر بتوسع كتاب: «محاورة الإمام المصلح كاشف الغطاء»، مصدر سابق.

(١٤٨) محمد باقر بين دكتاتوريتين، ص: ٣٠٤، مصدر سابق.

ماذا تريدون من الحكومة القائمة؟ ولم تعارضوها؟! ثم حاول أن يؤكد أن ذلك الوضع هو أفضل صورة للوضع السياسي في العراق. فصمت السيد الحكيم ولم يرد عليه، إلا أنه مَدَّ يده الى كتابين كانا الى جنبه وهما «منهاج الصالحين فسلمها للسفير الاميركي، قال له: هذا ما نريده!.. خرج السفير الاميركي وهو يتصور أنه قد استطاع العثور على هدف الزيارة، إلا أنه فوجئ بالقول من قبل بعض مرافقيه»، بان هذه رسالة [عملية] فقهية المقصود منها المطالبة بتطبيق أحكام الإسلام (١٤٩).

ومن الطريف ذكره أنه في عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م كنت برفقة جدي السيد البغدادي لزيارة السيد علي شير المندوب الشرعي في الكويت للمرجع العام السيد حسين البروجردي (حينذاك)، ورأيت في مجلسه ثلة من فقهاء و«رجال دين»، وكان من ضمنهم الشيخ عبد الكريم الزنجاني والأخير تحدث قائلاً: لقد زارني بالأمس الدكتور مشايخي سفير ايران في بغداد أخبرني ما دار من حديث بين الحكيم والسفير الاميركي...؛ وبالتالي ختم حديثه مستغرباً باللغة الفارسية: «آقاي حكيم خيرى زرگ» معناه باللهجة الفارسية «شيطان» بسبب صمت الحكيم المطبق وبالتالي قدم له كتاب بعد أن وضعه في ظرف محكم! وعند خروج السفير فتحه في السيارة وإذا به رسالة عملية فتوائية لمبانية الفقهية وليس تقريراً سياسياً ومشروعاً تغييرياً إصلاحياً لتحقيق «مكتسبات الشيعة»، الذين يعيشون تحت مظلة طائفية غير معلنة رسمياً.

تشجيع شعبي غامض.. تهيئة سلطوي صارم

* متى التحق الإمام المجاهد السيد البغدادي بالرفيق الأعلى، واتصلت روحه الطاهرة الزكية مع أرواح الشهداء السعداء؟

** في الساعة والنصف من مساء الثلاثاء المصادف التاسع والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٩٢هـ - الموافق الثالث من كانون الثاني عام ١٩٧٣م توفي مرجع الأمة الإمام المجاهد السيد البغدادي عن حياة خصبة في الجهاد والثورة، فقد كان رضوان الله عليه فقيهاً من أعظم فقهاء الإسلام المعاصرين، وقائداً ميدانياً في حرب المستعمرين المستكبرين، ومسانداً لتحرير فلسطين كل فلسطين.

وحين أذيع نبأ الوفاة مساءً أعلنت مأذنة أمير المؤمنين الإمام علي سلام الله عليه في العتبة العلوية تعزي العالم الإسلامي برحيل المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد البغدادي وسرعان ما تناقلته أمواج الأثير في الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية على لسان إذاعة وتلفاز الجمهورية العراقية وصحفها الرسمية وغير الرسمية نبأ

(١٤٩) حسن السعيد، نواظير الغرب.. صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العربي، ط: ١٩٦٨م، مؤسسة الوحدة العربية، للدراسات، بيروت - لبنان، ص: ٣٢٦.

حزين ورتاء مبین، فتلاحقت بالتالي الأنباء والاصداء في الاذاعات العربية والأجنبية، مثل: جمهورية مصر العربية، ودولة الكويت، وصوت فلسطين (الثورة الفلسطينية)، ومونتي كارلو الدولية، وصوت أميركا (واشنطن)...؛ وبعد إذاعة النبأ هرعت آلاف الناس لحضور مراسيم التشيع المهيّب، فاغلقت الأسواق وعطلت الأعمال لإنتظار الصباح الباكر في سبيل المشاركة الفعلية في ذلك، فاكتمت مدينة النجف بالفود الواردة، وانطلق الجثمان الطاهر من خارج المدينة على شكل مواكب وتظاهرات جماهيرية تندد بالنظام ويرئيسه أحمد حسن البكر بسبب عدم إعلان الحداد الرسمي لرحيل هذا الآية العظمى وعلى إثر ذلك انسحب من التشيع عبد الرزاق الحبوي محافظ كربلاء وعبد الحسين الرفيعي عضو قيادة فرع بغداد، باستثناء الأخ الصديق الباحث محمود الصافي رئيس بلدية النجف حينذاك لم ينسحب من التشيع بوصفه ليس منتصباً لحزب السلطة، ولهذا قصدي وهمس في أذني ناصحاً بأدب جم:

أرجوك ثم أرجوك أن تستنكر عبر المكرفون هذه الهتافات الغاضبة لأنّ فيها مردودات سلبية على الأسرة الكريمة! فأعتذرت منه، ونسي الصافي أن السلطة لم تُقم حداداً رسمياً بل أمرت بقطع التيار الكهربائي في النجف منذ الصباح الباكر، ولذا لم تطبع المناشير التي أُنبت هذا المصاب الجلل، وبالتالي نشرت صحيفة العدل النجفية كل من أُن هذا الإمام الوطني الإسلامي الكبير، وفي باحة الصحن العلوي الشريف صليت على جثمانه بدلاً عن المراجع الدينيين الذين حضروا مراسيم التشيع، وذلك بحسب وصيته، ودفن في مقبرته الخاصة التي هيأها لنفسه وهي الى جانب مسجده المعروف باسمه والواقع في شارع الإمام زين العابدين، ثم أُقيمت الفاتحة على روحه الطاهرة ثلاثة أيام بدءاً من الساعة الثامنة صباحاً وصولاً الى التاسعة مساءً، ووفد المعزون من كل أنحاء العراق وخارجه لتعزية نجله وحفيديه وشقيقه وأخيه غير الشقيق. وكما أُقيمت له الفواتح في مدن العراق وخارجه من قبل مقلّديه وعارفي منزلته الرفيعة ومن قبل مراجع دين وأئمة جماعة ورؤساء جمعيات ثقافية ودينية:

ففي العراق: السيد روح الله الخميني والسيد أبو القاسم الخوئي، والسيد محمود الشاهرودي، والسيد عبد الله الشيرازي، والشيخ هادي زين العابدين، والشيخ مُحمّد رضا الاصفهاني، والشيخ مُحمّد علي المدرس، والسيد عبد الرضا الشهرستاني، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ نصر الله الخلخالي، والشيخ عبد الوهاب الاعظمي، والشيخ مُحمّد مهدي الخالصي (١٥٠)، والشهيد السيد قاسم شبر، والسيد عبد الكريم علي خان المدني، والشيخ علي كاشف الغطاء، والسيد مُحمّد علي الحمامي. والسيد مهدي الحسني البغدادي، والسيد عماد الدين البحراني الحائري، والشيخ كاظم شبيب الساعدي، والسيد علي نقی الحيدري، والسيد ابراهيم الزنجاني، والشيخ مُحمّد علي سيويو، والسيد عباس الكاشاني، والسيد أحمد المستنبت، والسيد عبد الرسول كمال

(١٥٠) وأقام مجلساً تأبينياً بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته.

الدين، والسيد داود الشرع، والشيخ حسن علوش الحلبي، والشيخ علي الساعدي، وعبد الاله النصراوي أمين عام الحركة الاشتراكية العربية. والعشائر العربية العراقية وفي طليعتهم: عشيرة آل الحسيني (بغداد)، وعشيرة الفياض العامري (الراشدية)، وعشيرة البو نيسان الحسيني (سامراء)، وعشيرة السعبري الحسيني (الحارثية)، والبو محمد (العمارة)، وجمعية الأرشاد الديني (كربلاء)، وجمعية النهضة الاسلامية (كربلاء)، وجمعية التوجيه الديني (النجف)، وجمعية القرآن الكريم (النجف)، وجمعية التضامن الإسلامي (الناصرية)، وهيئة الصاغة (النجف)، وهيئة الشعراء الشعبيين (كربلاء)، وجماعة الحوزة العلمية (النجف).

وفي الكويت: السيد محمد الحسيني الشيرازي، والسيد علي شبر الحسيني، والشيخ عز الدين الجزائري الأمين العام لمنظمة الشباب المسلم في العراق، والسيد امير محمد القزويني، ووكيله العام السيد علي الغريفي المشهور بـ«الحائري».

وفي البحرين: وكيله العام الشيخ علي البحراني العربي والسيد عبد الحسين الغريفي.

وفي ايران: السيد كاظم المرعشي، والسيد احمد الخونساري، والشيخ محمد طاهر شبير الخاقاني، والشيخ مكّي الكعبي (اسمه الحركي في العراق محمد حسن عضو المكتب السياسي للحركة الثورية لتحرير عربستان)، والشيخ محمد ابراهيم جناتي، والشيخ محمد صادقي طهراني، والسيد محمد مفتي الشيعة الأردبيلي، والشيخ محمد هادي الاميني.

وفي افغانستان: وكيله العام السيد محمود معز الدين الكركي، والشيخ آصف محسني.

ورثاه وأرخ وفاته طائفة كبيرة شعراً ونثراً من الكتاب والخطباء والأكاديميين وباللغتين العربية والفارسية وباللغة العراقية الدارجة:

من ذلك هذه المقطوعات الثلاث:

قال السيّد عبد الحميد الراضي:

كيف طواك الموت يا ناشراً	الوية الجهاد والاجتهاد
العلم والجهاد في مأتم	قد لبس عليك ثوب الحداد
مدارس للعلم قد اقفـرت	واظلمت منائر للرشاد
محمد وانت ذاك الفتى	الحسني النجفي الولاد
وانت من بغداد في معشر	بيتهم فيها رفيع العماد

أرادك الجهاد يا سيفه ذخراً لأيام صعب شداد
أراد والاقدار في مرصد اذ بها تحول دون المراد
فصاح إذ نعاك تاريخه (يا أسفاً أغمد سيف الجهاد)

وقال محمد الشيخ علي البازي:

قد هد ركن الدّين وانحارت له حتى القواعد
ومضت تنوح بلوعة منه المدارس والمساجد
عند افتقاد محمد الحسني من بالعلم واحد
المرجع الاعلى الذي اثاره نعم الشواهد
رزء به قد فت من اوطاننا عضد وساعد
أفنى الحياة عن العروبة والهدى بالعزم ذائد
قد قارع المستعمرين وكل مأجور وحاقد
لم يثنه عن رأيه الدخلاء أرباب المكائد
قد قارعوه تجنّياً لكنه قد ظل صامداً
حاكى ابا ذر فعاش على صريح القول زاهد
لم يغره مال الغنى وعاش للفقرا مساعداً
فغدت تنوح بحسرة في فقدته الصيد الاماجد
بطل أبى عيلم ومحنك علم مجاهد
يا نادباً إن خانك التعبير من حزن تكابد
فانذب ثلاثا حينما قد ارخوا (مات يجاهد)

٤٦٤ × ٣ = ١٣٩٢ هجرية

ومنهم الشيخ عبد الأمير الحسيناوي.. ومطلع قصيدته:

له خطب حل في فقد إمام زاهد
فقدته شرعة جده خير تقي ماجد

فرداً مضى تاريخه من مرشد ومجاهد
لذلك قلت منشداً له بقلب واجد
أرخ «فها بمحمد» اثكل شرع محمد

١٣٩٢هـ

* وهذه المقطوعات الثلاث التي تنوه تاريخ وفاته لا تكفي فمن الضروري التعرف على مراثي شعراء عصره، ولو باستعراض قائمة اسمائهم، أو مطالع مراثيهم.

من أشهر هؤلاء الشعراء من وجهة نظري..

السيد أحمد الصافي النجفي.. ومطلع قصيدته:

أبو كاظم مولى يفيض براءة وطهراً وتنزيهاً عن الهفوات
وفي الحق لا يخشى ملامة لائم ويخشى أله العرش في الخلوات
مقام له في العلم والفقه شامخ بعيد عن الأهواء والشبهات
فيالك بغداديّ قوم ومعشر له منزل سام بشط فـرات

ومنهم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي.. ومطلع قصيدته:

المجد يقبس من هداك ويكبر يا صادق الإيمان ذكرك نير
شهدت لك التقوى بأنك ومجاهد وثائر لا يقهر
جاهدت باسم الله جل جلاله تبغي إنتصار الحق وهو مظفر
والعلم في كف المجاهد قـوة أمضى من السيف الرهيف واقدر

ومنهم الدكتور مهدي محبوبة.. في اول مرثيته:

لمن الذكرى اجاريها وارسي خطرات العقل في عزة أمس
لمن الدنيا وأحصي فلقد ضاقت على مفهوم حدسي
كنت اهوى أن أراه وأرى مطلع الأيام في انوار قبسي

ومنها:

ايها الفقيه قد كنت لنا	صحوة الإيمان في صحوة نفسي
في جلال العلم في بعث الهدى	في سرى الأيام في افضل طرس
في مسير علوي مجتبي	واجتهاد واضح في كل درسي
وكفاح رسالي منتقى	فلهذا كنت تستوى وترسي
إن بكتك العين لا تبكي سوى	معطيات العقل في أنبل حسي
يا لذكراك وما كنت سوى	سيد الأيام في أشرف غرس

ومنهم عبد الامير الحصري.. ومطلع قصيدته:

محمد يا قبله الثائرين	بعينك ألف ضحى يلمع
بك الدين مستلهم روحه	وفي غير نهجك لا يتبع

ومنهم: السيد طالب الحيدري.. ومطلع قصيدته:

احمد الحسنّي خطبُك هزّني	وسالّ مني الدمع كلّ مسيل
هيجت لاجع قلبي الدامي وما	في القلب من هدفٍ ومن مأمول

ومنها:

عمرًا بكل كريمة متلاطم	كالبحر فيه روى لكل غليل
قضيتة بالصالحات وبالندى	تعطي عطاء الغيث غبّ هطول
في زهد منقطع في الدنيا وفي	تشمير بأن للهدى مسؤول
شهد الكتاب بأنك التالي له	وبأنك المرجو في التأويل
المرجع الاعلى المجاهد روحه	روح الإمام وروح جبرائيل

وله قصيدة أخرى:

علم العلم والتقوى والسداد	قد تهاوى طود من الاطواد
بعد عمر من الجهاد المدمى	قد طواه الزمان سيف جهاد
من سجايا محمدٍ وعليٍّ	مثل في «مُجدِّ البغدادى»
زاد منه وادي الغريين كنزاً	فسلام على كنوز الوادي

ومنهم: الشيخ حسن الصغير.. ومطلع مرثيته:

نعى فقلت هوى من مجدنا علم	وجمجم الخطب فيه فانطوى أصم
وتمتت باسمك الأقوام صارخة	ولو أرادوا بياناً خانت الكلم

ومنها:

نعش تهاوى على الأعناق مرتفع	قد شيعته نفوس كلها ضم
ضاق الغري بجمع راح مزدحم	والنعش مرتفع ما بينه علم
وانت من دوحة المجد التي انتشرت	حيث احتمى في ذراها العرب والعجم

ومنهم الشيخ عبد اللطيف الدارمي.. ومطلع قصيدته:

عالم بالدين والقول مُسَدَّد
 حسني في الاعمال
 وامام ليس يُجحد
 آية الله له فيمما أتى
 نهضة الاسلام والتاريخ يشهد

ومنها:

فكره الوقاد اشراق الهدى
 صادق عرفانه كان محمداً

وهو في كلِّ الاماني وطنٌ
نبضه الامان لكن ليس ينفد
عربيّ النهجِ قلبٌ ودمٌ
وحدويّ في زمانٍ قد تبدّد
كأبي ذرٍّ يهدٍ وثقى
كلُّ معنى من معانيه مُخلّد
سيرةٌ محمودّة في موقفٍ
قدوةٌ شمّسٌ وفرقٌ
دينه التوحيدُ في عرفانه
خالصٌ في كلِّ ما كان توقّد
اجهد النفسَ واعلى قدرها
في نضالٍ وجهادٍ قد تجسّد
هو للإحسانِ في وجدانه
كلُّ خطوٍ للمعالي قد تحشّد
احمدٌ منه له في علمه
حيثما كان الحقّ كان مرفدٌ
بحرُه الهدا في كلِّ المنى
كلُّ عذبٍ ولواءِ الحبِّ احمدٌ
هو تاريخٌ بطولاتٍ مضتْ
جُرأةٌ في الحقِّ لكن لا تُردّ
كلُّ قولٍ جاء فيه هُدى
فاستقام العلمُ والامجادُ فرقُد
كلُّ شعيرٍ دونه في شرفٍ
انه منه هو والقلبُ غرّد
انا لازلتُ له اذكُرُه
وضميرُ الحبِّ فيه قد توقّد

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ فِيهِ اجْتَمَعَتْ
 كَانَ فِيهَا وَلَهُ وَالصَّبْحُ رَدَّدَ
 ذَا مُحَمَّدٍ ذَا مُحَمَّدٍ حَسَنِيٍّ
 عَرَبِيٍّ وَهُوَ لِلْإِحْسَانِ مَنْشَدُ
 قَالَ لِي فِي حَضْرَةِ قُدْسِيَّةٍ
 كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا قَدْ كَانَ يَسْعَدُ
 يَا أَبَا الْإِحْرَارِ إِنَّا وَطَنُ
 ذِي جَفَوْنَ الدِّينِ تَسَهَّدُ
 إِنْ ذَكَرَكَ تَجَلَّتْ وَاعْتَلَّتْ
 كُلُّ ضَوْءٍ نَبْضُهَا وَحْيٌ مَسَدَّدُ

ومنهم السيد عبد الستار الحسيني ومطلع قصيدته:

مضيت وذكر مجداك مستعاد	به كلُّ الملا - ماءٌ يـزاد
(مُجَدِّ) كنت للإسلام سيفاً	يصول به إذا احتدم الجلال
جهدت لحفظ بيضته جهاداً	فحقُّ بَانَ تَوْنُوكُ البلادُ
نطقت غداة كان النطق حقاً	ورائدك الصراحة والسداد

ومنها:

عزفت عن الظهور وانت شمس	بياضك كيف يحجبه السواد
وانت البحر بحر العلم طام	وليس لما يفيض به نفاذ
وكهف تستجير به البرايا	إذا نزلت به الكرب الشداد
وان نكثت شريعتنا بجرح	فانت ابا التقى - له ضماد
بك ازدانت ربوع العلم فخراً	وسوق العلم خالفها الكساد
لقد اخذ العقيدة عنك من لم	يكن بالشرع قبل له اعتقاد

ومنهم مكي عزيز في مطلع قصيدته:

بكينا الذي في ذكره تنفع الذكرى وهو الجدير بها في كل ما أجرى

وبإختزال شديد: ومن جميع ما تقدم من ذكر نبذة من حياته قدس سره فلما توفي شاهدت الجماهير من المستضعفين ومن الفقراء والوجهاء.. تبكي عليه وتصرخ أمام جنازته في بداية تشييعه وإلى محل دفنه وكان التشيع عظيماً مهيباً [وكانت المواكب تندد بالنظام ورموزه كما أشرنا تشيع جماهيري غاضب.. وتعميم سلطوي صادم]، وذلك بسبب كونه قدس سره كان مرجعاً ميدانياً وشعبياً ويشترك مع جماهير الشعب، لاسيما الطبقة المعدمة، وخدمة الحسين عليه السلام، وأصحاب المواكب الحسينية [خصوصاً] العشائر النجفية في السراء والضراء لحل مشاكلهم سرّاً وعلانية، ويحتقر زعماء السياسة [والاقطاع]، وقد قال السيد عبد الحميد الرازي أستاذ جامعة بغداد والرياض والقاهرة في شأنه:

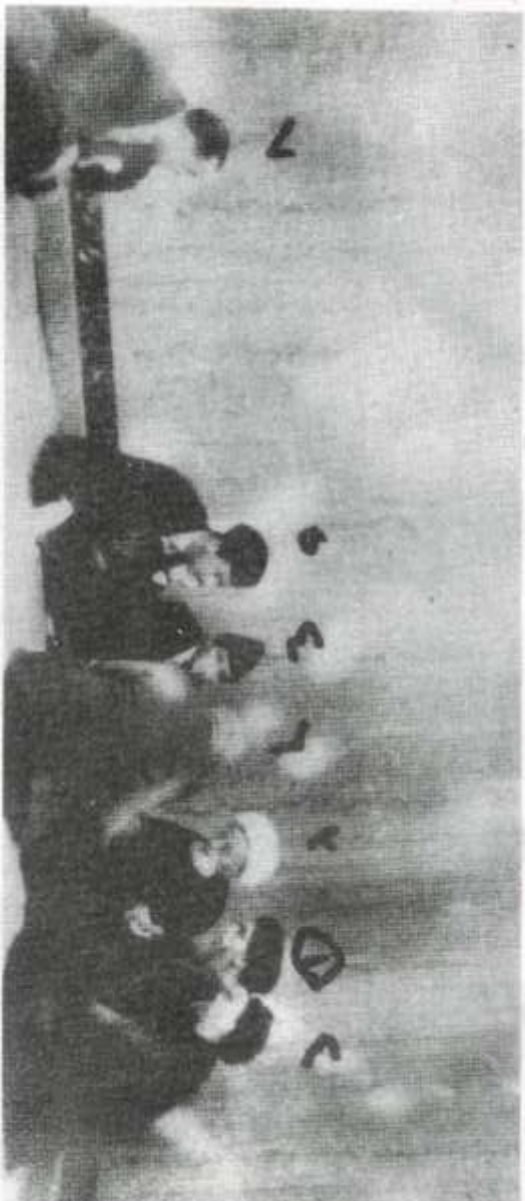
يحكي أبا ذر أخا غفار	في الزهد يحكيه وفي الأفكار
محبباً إلى الفقير المدقع	مبغضاً إلى الغني الجشع
مبادر إلى الجهاد سابق	وهكذا كان أبوه
(الصادق (١٥١))	

-
- (١٥١) إسلامنا، ص: ١٢٤ (بتصرف خفيف) مصدر سابق، و/ انظر الكتب والصحف والمجلات التي صدرت حول تأبينه وتشيع جثمان سماحته وفي ما يلي نصها:
- ١ - سماحة الإمام البغدادي في ذمة الخلود، جريدة الثورة بتاريخ ١٩٧٣م.
 - ٢ - مات آية الله العظمى الإمام البغدادي، جريدة التأخي الكردستانية بتاريخ ١٩٧٣م.
 - ٣ - الإمام البغدادي حاضر رغم الرحيل جريدة العراق بتاريخ ١٩٧٣م.
 - ٤ - سماحة الإمام البغدادي رحل إلى الملكوت الأعلى ولم يغب، جريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٧٣م.
 - ٥ - حسن عيسى الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف (التاريخ السياسي لمدينة النجف ١٩٥٨ - (٢٠٠٠)، ط: النجف، ١٤٠/٢٤.
 - ٦ - محمد صادق آل بحر العلوم، وفيات الأعلام، ط: مركز إحياء التراث التابع لدار المخطوطات العتبة العباسية، ٢٠١٧، ٨٦٥/٢.
 - ٧ - إبراهيم أحمد الفاضلي، جفل القلب وجمدت الأنامل، مجلة العدل النجفية بتاريخ ١٩٧٣م.
 - ٨ - إبراهيم أحمد الفاضلي، ماذا أكتب.. وماذا أقول؟ مجلة العدل النجفية بتاريخ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
 - ٩ - عبد الهادي الفائق، وليس فقيداً من تدوم مفاخره، مجلة العدل النجفية بتاريخ ١٩٧٣م.
 - ١٠ - محمد الشيخ علي البازي، مات يجاهد، مجلة العدل بتاريخ ١٩٧٣م.
 - ١١ - خضر عباس الصالح، اللقاء الأخير، مجلة العدل بتاريخ ١٩٧٣م.

-
- ١٢ - عبد الجبار الزهيري، المجاهد الإمام آية الله البغدادي في ذمة الخلود، مجلة العدل تاريخ ١٩٧٣م.
- ١٣ - سخر فتاواه وبياناته ومقابلاته دفاعاً عن فلسطين المرجع البغدادي، مجلة فتح الثورة لسان حركة فتح ١٩٧٣م.
- ١٤ - رحيل آية الله الشيخ البغدادي الفقيه المبدع في أطروحته الجهادية «وجوب النهضة»، مجلة الأفق والقاعدة/ جبهة التحرير الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٣م.
- ١٥ - رحيل الإمام البغدادي الأكثر مساندة للقضية الفلسطينية، مجلة الهدف، الجبهة الشعبية التحرير فلسطين، بتاريخ ١٩٧٣م.
- ١٦ - وفاة أبرز فقهاء العصر الحديث، مجلة الجبهة الشعبية - القيادة العامة - بتاريخ ١٩٧٣م.
- ١٧ - رحيل فقيه العروبة والإسلام الإمام البغدادي لسان حال الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بتاريخ ١٩٧٣م.
- ١٨ - رحيل آية الله السيد البغدادي من مراجع النجف، مجلة الشعب، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني بتاريخ ١٩٧٣م.
- ١٩ - وفاة المرجع الكبير الشيخ البغدادي، مجلة الطلائع لسان حال منظمة الصاعقة بتاريخ ١٩٧٣م.
- ٢٠ - رحيل الإمام البغدادي في ذمة الخلود سخر فتاواه في وجوب دفع ضريبة الأئمة والزكوات للمنظمات الفلسطينية المقاتلة، مجلة الدراسات الفلسطينية - مركز الدراسات الفلسطينية، بقلم رئيس التحرير بتاريخ الخامس من شباط ١٩٧٣م.

وثائق واجتماعات وصور

وثيقة رقم (2)



لقاء علماء النجف مع الملك فيصل الثاني في مرقد الإمام علي (ع) أواخر الأربعينيات ويظهر في الصورة:

- ٥ - الوصي عبد الإله.
- ٦ - نوري السعيد.
- ٧ - أحمد الوزراء.
- ١ - السيد محسن الحكيم.
- ٢ - السيد علي بحر العلوم.
- ٣ - الشيخ عبد الكريم الجرايري.
- ٤ - الملك فيصل الثاني.

توجهت لعملي لطيف القشور في صحيفة كيهان بتاريخ السبت ٥ فبرور سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٤ م. عدد ١٣٢٤.

سأجده في الله المتكبر بحسب عملي وثيقة لثمة
تعمد صريح عملي حراز للرجوع إلى الله القوي عرودي
في كل مساجد وتكفي الفتنة بسلام محاسن ثوبية وألوان

ورسل في طهر لا حروب. سأجده في الله المتكبر على وثيقة العروية هي
لرسائله المتناهية في مساحته بملهسة وطلاة المرحوم في الله القوي عرودي. رسله في
عمه

من القصف الأثير في طبع ١٣٤٠/١١/١٠
القام لوضع خبره والفتنة في الطهر وثبة ثوبية الفتنة للكتابة بالمشاب
الذي حل على القام الإلهامي بوثقة في الله القوي عرودي. سره كان باقيا
على لطفه بغير طرد. والأقسام والفتنة بملهسة في أيام مرده بسمت
على شكرا ويشكر الجميع المخلصي صوريا

السلام والفتنة في الطهر وتحليل القام لعملي الطهر. بحث على القاصد
الذي بغير عرودي في الله بطلب القويين والقائيد الفتنة المكونة
للأمر في ثوبية القوي الإلهامي القوي. وبغير ملهسة القاصد لملن. سلكون
الذين والفتنة بغير ولاي. بحث على الله لعملي. قرينه ورسل لوراسا لثمة.
مستمن القاصد على المخلصي

قوي. مله البرية لسلط سنة ١٩٢١ هـ. بحث وثقة في الله القوي عرودي.
وربة لثمة في المخلصي في القصف كتبت بغير طرد توجه المرحبة في حراز
قوي. وبغير ملهسة المخلصي القوي. كان عرودي. ولثمة مع لثمة بشكل
ثمة. لرحمة المخلصي قوي. بحث على لثمة الإلهامي في لثمة بملهسة الإلهامي
بغير طرد.



وثيقة رقم (4): رسالة بعث بها السيد مهدي الحكيم الى شاه ايران

الطيب حكيم، الاسم: محمد مهدي، رقم الملف: ٩٧/٢

الموضوع: طلب منزل للسكن في طهران

10 يوليو 1350م

طهران

بسم الله الرحمن الرحيم

حجيرة صاحب اجالاته الشاهنشاه آريامهر العظيم اسعد الله الامة بتأييده ملكه ونفوه سلفاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد فاصبروا في يا صاحب اجالاته ان اغنيتم فرصة وجودي في ظل رايكم المباركة لارفع اجالاتكم اعني آيات الشكر والامتنان على الرعاية السامية التي لازلت اضع في خلاطك منذ الاجادات النبوة التي جرت في العراق والتي اوجعت بعدي عن اهل بيتي [...] واني يا صاحب اجالاته ان امكن في ان اسي كل حديث في حجاب فلا عني ان اسي تلك الاكلاف الضاحية التي ضموني بها واحدة بعد الاخرى وكان آخرها لا آخرها امر جالاتكم السامي السفير الشاهنشاهي في لندن ان يولي معرف اجالاته السر والقامة حجة السفير الطرقي الطرقي الفصححة للسفر الى تلك البلاد الثانية، والآن يا صاحب اجالاته قد خرجت بعد التوكل على الله سبحانه وعلاني على التوجه الى [...] لتقديم بالوجبات الدينية هناك بعد ان عرجت هذا الموضوع على جالاتكم بواسطة السفير الشاهنشاهي في بروكسل المذكور سيد مهدي [...] الاذن والرضا من جالاتكم، واني يا صاحب اجالاته اري ان من حقي ان اعرض عندكم وضيي الماضي بعد لتفعل جالاتكم على باستمواز رعايتكم في وجودها لكل جوانب حاجي بعد قلندي، فاصح سيدنا المظفور له آية الله العظمى السيد الوالد عاب نواز حيث كتب لي شرف بطورة عقائد جالاتكم بعد رحلة القيد في اقام الماضي لرفع آيات الشكر والامتنان على الموقف الشريف الذي وقفه ايران بوجهات صاحب اجالاته تجاه الحديث المولم.

يا صاحب اجالاته اني لا امسك من دنياي شيء مالا وان التربية النفسية والطريق الاجتماعية لا تسمح لي باستمرار ولاد افئدت والمؤمنين من اجل توفير معيشة صالحة في وبعالي وتلقيم من الحق الصغار الذين اري اني مسؤول ادبيا عنهم، وان لتصاحب اجالاته مقدم الامة اطني لذلك لا اجد حرجا اذا اظهرت حاجتي ووقعت له تطبيق دارا تكون سكنا في وبعالي بالولاية وحدا لم كانت في طهران فانما لازلت احييت تحت حبايته وفي ظل رعايته فان راي صاحب اجالاته ان يامر بتحقيق هذا الرجاء فلي جهلا واني لم كن المتألمين وان لم ير معصاة في ذلك [...] وبعديا اصحو في يا صاحب اجالاته [...]

محمد مهدي الحكيم



ضایعه بزرگ برای عالم اسلام

رحلت حضرت آیت الله حکیم

اطلاعات

۳۲ صفحه

در کلیه تقاضا فالت
حسارت مالی و جانی
پیدا نمی شود

شوروی
دو قضا نور د
در مدار زمین قرار دارد

بر طبق شایسته
نور د در
سو اسر کنود
اصقل
عمومی
خود نقد بود

برای اولین بار در ایران چاپ شد

مجموعه کتابهای حضرت آیت الله حکیم
تألیفات: ۱۰۰۰۰۰
مجموعه کتابهای حضرت آیت الله حکیم
تألیفات: ۱۰۰۰۰۰

در ۱۲ خرداد ۱۳۴۹ (۸۰۵۹) تملین العزائم بمناسبة وفات آية الله
السيد الحكيم، صحيفة اطلاعات ۱۲ خرداد ۱۳۴۹ "تأثر جلالة الشاهنشاه بشدة بنبأ وفاة حضرت آية الله
الحكيم، وأعلن البلاط الملكي الحداد".

درگذشت

آیت الله حکیم

آیت الله حکیم در ۱۲ خرداد ۱۳۴۹ (۸۰۵۹) تملین العزائم بمناسبة وفات آية الله
السيد الحكيم، صحيفة اطلاعات ۱۲ خرداد ۱۳۴۹ "تأثر جلالة الشاهنشاه بشدة بنبأ وفاة حضرت آية الله
الحكيم، وأعلن البلاط الملكي الحداد".

وثيقة رقم (6)

ترجمة بعض المعلومات المتعلقة بالصورة
صحيفة اطلاعات الفارسية، طهران وبغداد تقريران من بعضهما.

نحت الصورة التي تضم مساحة السيد الحكيم (واقفاً في الوسط)، ومعه صهوه السيد ابراهيم الطباطبائي البردي وهو اقرب حاشية الحكيم الى النساء وعظمااته، ويقف الى جانبه الوفد الايراني برئاسة عباس آرام وزير خارجية الشام. انصت تحت الصورة: السيد عباس آرام في لقاء الحكيم والخاضعون من اليمين الى اليسار، الواقفون: السيد الدكتور مقتدر، الدكتور السيد مهدي بيراسته، أمير تيمور كلالي، وأحد العلماء القيمين في العراق. الجالسون: بلاطة السادة بوزير انايكي، وسخي، ومهدي.

استقبل السيد الحكيم وزير خارجية الشام عباس آرام والشخصية الهامة الجديدة الارتباط بالأجهزة الصهيونية والأمريكية ومعه وفد إيراني كبير هم المذكورون في الصورة، منهم د. مهدي بيراسته السفير الإيراني في بغداد والذي جيء به عام ١٩٤٥م الى بغداد باختياره خيرة في جهاز الأمن الإيراني ليقوم بإدارة الفتنة المروجة آنذاك ضد حكم الرئيس عارف وبالتسيق مع السفارة البريطانية كما كشفت ذلك الوثائق السرية لتلك الفترة والتي نشرت أخيراً في بحث (شيمة العراق) السيد حامد البياتي.

وكان موضوع استقبال السيد الحكيم لوزير خارجية الشام والسفير الإيراني مرتبطاً بوجود الإمام الخميني في النجف في العراق وذلك سبباً لحاصره هناك ومنعه من التحرك ضد الشام، فكان اللقاء وكانت الصورة لكي يقال للشعب الإيراني ان المرجعية الدينية المتمثلة بآية الله الحكيم ترفض تحركات الخميني وتضع عليه وعلى تحركه ومرجعيته ألق علامة استهظام.



وزير النظام الجمهوري (غلام عباس آرام) يقبل يد السيد الحكيم

وثيقة رقم (7)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الأعلى السيد ابو القاسم الخوئي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هل رأيتم من حكومة البعث في العراق ما ينافي الدين أو الإنسانية بالنسبة الى شخصكم الكريم أو الحوزة العلمية أو الإيرانيين؟ فقد ذكر بعض المغرضين تعاملهم معاملة سيئة، افترنا ماجورين؟

بغداد ٢٥ / ١٢ / ١٩٧١ م علي رضا

بسمه تعالى شأنه

تحية طيبة

وبعد إني بالنسبة إلى لم أر من الحكومة الموقرة إلا خيراً. أما بالنسبة الى الحوزة العلمية والإيرانيين فقد سمعت من بعض الثقة أن الحكومة تعاملهم معاملة حسنة، والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

النجف الأشرف

٨ ذي القعدة ١٣٩١ هـ

الخوئي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المرجع الأعلى السيد ابو القاسم الخوئي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. هل رأيتم من حكومة البعث في العراق ما ينافي الدين أو الإنسانية بالنسبة الى شخصكم الكريم أو الحوزة العلمية أو الإيرانيين؟ فقد ذكر بعض المغرضين تعاملهم معاملة سيئة، افترنا ماجورين؟

بغداد ٢٥ / ١٢ / ١٩٧١ م علي رضا

الخوئي

بسمه تعالى شأنه

تحية طيبة

وبعد إني بالنسبة إلى لم أر من الحكومة الموقرة إلا خيراً. أما بالنسبة الى الحوزة العلمية والإيرانيين فقد سمعت من بعض الثقة أن الحكومة تعاملهم معاملة حسنة، والله ولي التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

النجف الأشرف

٨ ذي القعدة ١٣٩١ هـ

الخوئي

وثيقة رقم (8)

ترجمة الرسالة: حضرة آية الله العظمى حاج سيد ابو القاسم الخوئي دامت بركاته، تأمل بعون الله سبحانه وتعالى والاتطاف الخاصة لولي العصر إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه أن يكون جنابكم الغالي علينا بصحة وعافية. شرفني بكل امتنان خاتم العقيق المزين بالآية الكريمة "يد الله فوق أيديهم". إن اهتمامكم الخاص بي ورايتكم بشارة خير كبيرة وعظيمة وأني إذ أشكر الله عز وجل وأئمة الحق الذين حرسوني وحرسوا المملكة طيلة حياتي وأيام ملكي وكانوا دليلا لي في حفظ ونشر مذهب الحق المذهب الجعفري وحرسوا المملكة والأمة الإيرانية في كل الحوادث السيئة في الماضي والحاضر، مرة أخرى نسأل الباري عز وجل أن يحفظكم في كل الشيعة في العالم وخصوصا الأمة في إيران ونحن بحاجة دائمة لدعائكم المبارك.

قصر نياوران

الربيع من شهر دي ١٣٥٧ (شمسي)

محمد رضا بهلوي



مكتبه في طهران، سجنه في مشهد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل فيكم أئمة الهدى

والعروة الوثقى

والله اعلم بالصواب

محمد رضا بهلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل فيكم أئمة الهدى

والعروة الوثقى

والله اعلم بالصواب

بسم الله تعالى شأنه

حضرة العلامة حجة الإسلام آية الله السيد محمد
البغدادي دامت بركاتہ

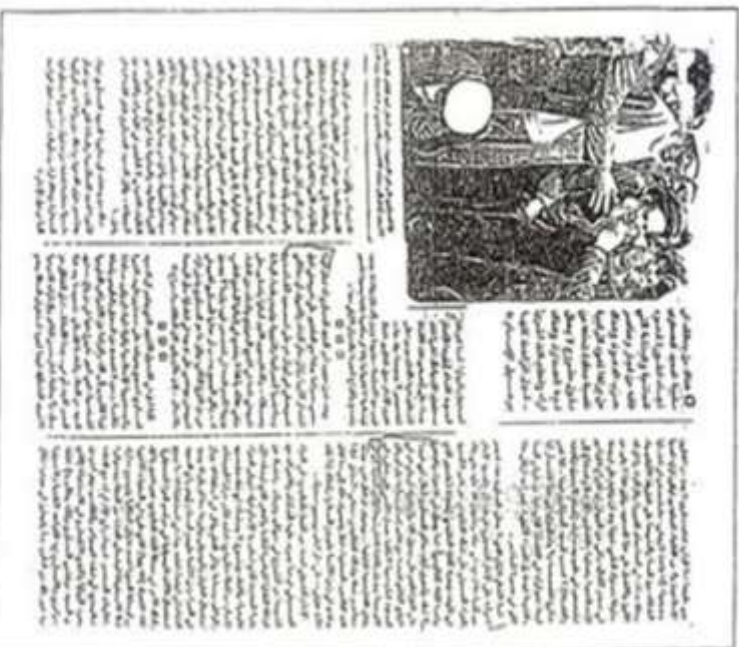
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تسلمنا بيد
التقدير والشكر كتابكم القيم وجوب النهضة لحفظ
النبضة وكان خلاصة لجهود جبارة وبحوث غزيرة
التي بذلتوها في جمعه وتحقيقه فقد أقصرتم الطريق
للمستبطل لاحكام الفقهية نشكر الله سعيكم وجزاكم الله
عن الإسلام واهله خيراً وارجو من العلي القدير ان
يمن على الأمة بالاستفادة من ابحاثكم وبمن عليكم
بمزيد التوفيق لخدمة العلم والشریعة والله ولي التوفيق
دامت افاضاتكم واستلکم الدعاء والزيارة كما لا
انساكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد الهادي الحسني الميلاني

بسم الله تعالى شأنه

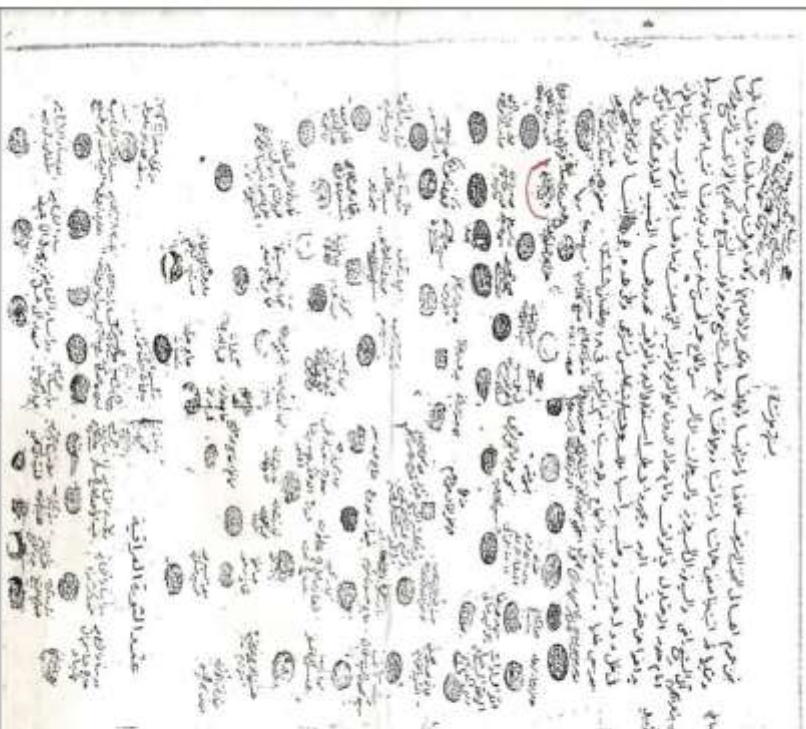
صديق الملا محمد الإسلام بن الله السيد محمد بن أبي بكر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد قد تسلمنا بالكتاب المذكور في كتابكم
بسم النهضة لحفظ النبضة وكان خلاصة لجهود جبارة وبحوث غزيرة
التي بذلتوها في جمعه وتحقيقه فقد أقصرتم الطريق
للمستبطل لاحكام الفقهية نشكر الله سعيكم وجزاكم الله
عن الإسلام واهله خيراً وارجو من العلي القدير ان
يمن على الأمة بالاستفادة من ابحاثكم وبمن عليكم
بمزيد التوفيق لخدمة العلم والشریعة والله ولي التوفيق
دامت افاضاتكم واستلکم الدعاء والزيارة كما لا
انساكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



صورة الصفحة الأولى والأخيرة المقال بعنوان: (من هو مرتضى العسكري؟)
نشرته مجلة ((النصر)) في العدد (٢٨)

وثيقة رقم (12)



مضبطة توكيل النجف الأشرف في الثورة العراقية 1920

وثيقة رقم (11)



اللقاء التاريخي بين الإمام المجاهد السيد البهاددي والإمام القائد السيد الخميني في النجف الأشرف في عام ١٩٦٥م

وثيقة رقم (13) رشيد الخيون ... ماذا دهالك؟

واشتوا بملحه وجهناه، وبملهم كتب ومفكرون وصعدناهم من القرون وعرب وأجانب معملهم ليسوا على الضاحك الجفيري وبمعشهم ليسوا من المسلمين أصلاً¹¹¹.

وفي الصفحة 277 يقول الدكتور الخيون ما نصه:

”انصب الكلام على البدائي الشخص لا البدائي التنظيم، لأن حقيقة الأمر هو تحريك شخص أكثر منه تحريك تنظيم أو حزب، فلم رأيت اسم البدائي من الحركة ثم يلق لها عضود، وفي مشابهة للعديد من الحركات البدئية أو القومية، وحتى اليسارية، تلك التي لا تتجاوز شخص مؤسسها أو مؤيديها“.

”إنّ الزل البدائي صوتاً مدمجاً، كلّ ليس بالوزن المؤثر، الذي يمكن به عن طريق العملية الاجتماعية من كسب جمهور كذلك لا يمتلك ولا غيره تلك القدرة التي يجب امتلاك قوة العشرين إلى العراق، وربما؟ أيعجز تشدده أكثر من التشايط الاجتماعي“.

وزيد عليه بالقول: من أين لكم بهذا القاءهات؟ هل كنتم في الميدان في حينها؟ حتى حكتم على حركته بأنها مجرد (حركة شخص) أم كنتم في وقتها (أرباباً تاركون) تمشون في أربابكم الداخلية وتلكوتون وتتصنون تبين الشذية السياسي في العراق، من خلال (التشهير) بملهمكم وراء مكائكم ورضى ملاكمكم الوثيرة في دول الإغتراب وتلاقق القمصنة لعمري“.

رعد الخيون
كتب وسامي مستقر 2010/1/20
رابط بعض المواقع الإلكترونية التي نشرت المقال :
http://www.alkader.net/jan/raafjaboor1_100121.htm
<http://www.tatlb.net>

الصفحة الأخيرة

الترادة الدرية والثلاثون
هل هو الأقدم لأندرجه؟
(معلقون) أشبه عيون بين حواء الثلاثة وألحرف الخطين
رشيد الخيون مؤرخاً

في مقال سابق لنا إقتنا فيه أحد الكتب الشيوعية الذين تجاوزوا على القوم في مسائل إنسانية دون علم أو ذرية، ولمنصنا إلى القول أنهم لم يدركوا حتى الآن على ما يبدو أنهم لا يشكون من تناول هذه الأمور أو الإغتراب منها، دون تفكير ودراسة وأهمية وصعوبة مشهورة من بعض الفلاسفة والخرى الصوف، التي لا ينبغي أيضاً أن نسي إلى استخلاص نتائجها بأخذهم ذات الأورث التقليدية (الحيادية) التي تروى عليها هؤلاء الكتاب خلال حياتهم الاجتماعية والدينية، ولاشك قد لاحظنا أن الكثير من هؤلاء (المثقفين) اليساريين العرب وشمياً القدامى منهم، من أشرنا لهمهم على سمود الأمويونية الشيوعية، ثم شجروا لاحقاً سمدة إلههم الشيوعية.

لاحظنا كيف أنهم ألهوا القومسة الفكرية، ربما لتفهم تفكرهم في سنوات الأخيرة بينهم بأهمية يفر إلى تفكير من المصداقية، كما أن تفكيرهم أصبح يتفهم عدائي وادع من قردة الفكرية، حتى أنه يلجس نفسه أن يصبح ذليلاً لها للمشروع الإمبريالي الأمريكي في إنتاج ثورته إلى (دول المصطنع للهند) بينما كان قد تروى هذا (صراع) على كونه وحمانيته، وبمهمه رآه على ذلك بأن أصبح شخصاً ومفهماً عن عملاء أمريكا (يرسخ بعدد أعضائهم) كما كان بالأسى يملك مع قليل أو ماركس، و ما لسانه مثلاً حيث معيت مؤسس، وألمني كريمة، وعد الأبرر فكري، وبخبر الحاد ... (وبعلم) لا بدلاج عرقية وقمة لدينا لوضع للثراء، وأصبح هؤلاء الكتاب (أعضاء) يتلون عن الشيوعية والرسالة في تناول الموضوعات المسجدة بشكل عام، أو تلك التي تتناول موضوعات إنسانية بشكل خاص،

هذه القصة وشمياً ضرورية كمنطق إلى مقالتي التي أشرع في خاتمة قراوتي الثانية للكتاب الحبية للتفكير رشيد الخيون “أدعوت السياسة .. الإغتراب والحركات القومية في العراق” شمة

الصفحة الأولى

انظر بتوسع النص الكامل لوثيقة رعد الجوري في قفزة: امتصامات

وثيقة رقم (14)

على تلك المذنبات هو إقامة مصراع الجمجمة وواجهه النظام مواجهاً بمخروطية لا سيما حاصية المصراع
في خطفه في مصراع الجمجمة مما أدى إلى استئصاله (الذي ساء).

وكان هذا الكتاب، شأنه شأن المؤلفات التاريخية لغيره، لا يهتم إلا بالعلمين في برامج العرب والافتخار من البرامج الإبراهيمية حتى النفا لعدد، ص 401 - 402، يؤكد أن الضمير في البرامج التلمذية (أي البراءة البعث والتوحيد) من بابها مدعومة من قبل النظام اليهودي، ليست أول ظاهرة تحقق البناء، والبرهنة... مثلاً قالوا عن رسول الله (ص) قالوا له محزون كلان... الخ، بينما يؤكد في محاورته السهلة أن البرهنة العربية من عهد الملك فارسي إلى عهد محمد كانت مدعومة من قبل الحكومات، لهذا هذه التوراة بين البرهنة العربية والبرهنة الإبراهيمية لها المعنى المزدوج المتداول المتداول مع العلم لنا بعد أن يرجع العرب هم الذين قاموا بالبرهنة المتأخرة المستندة في العراق مؤدومة بأداة شبه بها حكمة الناس... الخ الناس (6)،

اعداد: حيدر الحسني (البيانات)
مؤرخ عراقي

$$\frac{1}{2}(\frac{1}{2} + \frac{1}{2}) = \frac{1}{2}$$
[illegible][illegible]

الصحة والخير

(61) $\bar{u} \bar{u} \bar{u}$

السلامة العامة

سفرية الاقارب و الضحوية هذا الزمان العباسي
يخطول على فقهاء الاسلام المجاهدين

ظهر على الساحة العربية كتاب في ترجمة سيرة الرئيس الأول بلقيم صالح المعروف بسيرة الرئيس السيد بلال الصدر في (الشرق الأوسط) - صنع في سلسلة إرساد بغداد 2004، بعد أن كان قد تم إصدار كتابه الأول، سلسلة (مؤلفات كتابي) التي هي (1) تعريف المؤلف (الترجمة) وهو غير مطابق في الأصل، ولا يعتمد على وثائق المصنف، بل يـعتمد على وصفاة المؤلفين بآرائهم ومعارفهم، وقد اعتُمد على ذلك من قبل الكتلة النضالية كما في كتابه (السرور) - المراجع (الترجمة) السيد علي الحسيني (الكتاب الأول) ص 147.

وذكر الشيخ جعفر الطوسي رحمه الله في كتابه أنه عندما أصبح كاهنًا، فحارب
دعوى الزنادقة، فحاربهم في حربه الأولى، وقد حارب الكفر عن مرسومة إمامه عليه السلام حين أهدى رسول
حربه دعوى الكفار، من حيث قسم الطعنة، فأخذه من تلك يد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى كثر
الزنادقة في حربه، ثم الذي عرفوا في الكفر وأسلموا تلك الدعوة، وذلك ما عارض له الشيخ
الكاتب كان على طائفة، وإن أريد إبعاد الشيخ الكاتب، يمكن على طائفة حربه دعوى وأبي الكاتب ما

[illegible]

السلامة العامة

الغفر بتوسع النص الكامل لوثيقة حيدر الحسيني في فقرة: اضممات

وثيقة رقم (15)

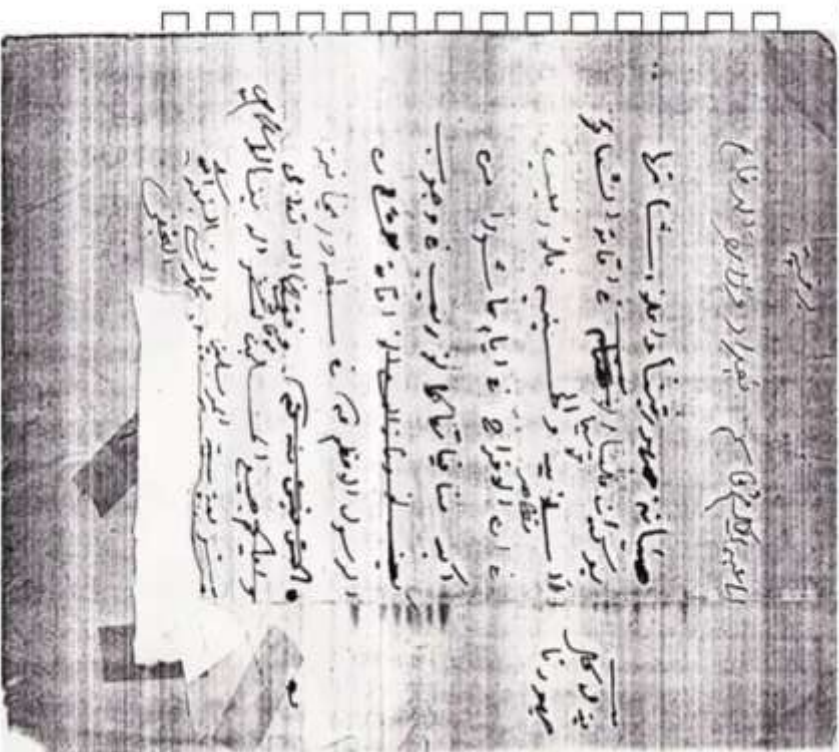
بسم الله الرحمن الرحيم
الى عبدالكريم قاسم بغداد وزارة الدفاع

صيانة جمهوريتنا واعلاء شأنها
يوكدان علينا بذل كل جهودنا لاقامة
الشعائر الإسلامية لاسيما الحسينية فلا ريب
في ان مظاهر الافراح في ايام عاشوراء من
أكبر مناقباتها، كما لا ريب في وجوب
إقامة شأن الرسول الأعظم ﷺ في سبطه
وريجائه.

وفق الله تعالى جميع المسلمين اقامة الدين
الإسلامي شريعة سيد المرسلين

محمد الحسيني البغدادي
النجفي

رسالة استنكاكية من السيد محمد الحسيني البغدادي إلى عبد الكريم قاسم عام 1959م



وثيقة رقم (17)	وثيقة رقم (16)
بسم الله الرحمن الرحيم سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم المحترم بطل الثورة العراقية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نتبذل إلى الله تعالى بنهضتكم رفع أعلام الدين وأعزاز الإسلام والمسلمين قاضية فوراً على كل قوة إستعمارية في جميع أوطاننا العربية والإسلامية. السيد محمد البغدادى ٦ محرم ١٣٧٨ هـ فكان الجواب على هذه الرسالة المباركة: مساحة الجهد السيد محمد البغدادى دامت بركاته. كان لكتابكم اطيب الاثر في نفوسنا نرجو من الله ان يوفقنا الى خدمة دينه وحماية شريعته والقضاء على الظلم والظالمين. الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء ٨ محرم ١٣٧٨ هـ	بسم الله الرحمن الرحيم عامل المسألة العراقية قميل الثاني - بغداد - ان الموقف المطروح تجاه المدوان العراقيين المنسلح على حمر مخالف للشريعة الاسلاميه وانه الداء لحديثة استغاث المسلمين من سلطنة المتوكلين وليس لهذا الوزارة بوزارة توفى السيد عمول تاثيري تتأخروكم باثاقديا في الوقت السلي نوكي لكم قياكم لهذا الواجب والله بهيج لكم نسبة المسلمين ويقطع طمع الكافرين والله سبحانه ولي الناس وهو حسينا وبم الكويل والمسالم على من اصرح الهدي محمد المصطفى البغدادى ٢ ربيع الاول ١٣٧٦ هـ

صحيفة ((الأخبار)) بعنوان علماء الإسلام يعلمون الكفاح المسلح ضدّ الشاه وذلك في عام ١٩٦٣م.

علماء الإسلام يعلمون الكفاح ضدّ الشاه

اعلن علماء الإسلام الكفاح ضدّ شاه ايران ان موقفه ضدّ رجال الدين اتى لفتية الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر عدة برقيات من علماء المسلمين في شتى الاقطار ينادون فيها بتفريق العمل من أجل تحرير علماء ايران من الظلم الواقع عليهم في ايران بسبب سياسة الشاه. ومن أهم هذه البرقيات صورة برقية بعث بها علماء المسلمين بالتحف إلى الشاه ورفضها ختمهم العام الذي السيد محمد الحسني النجفي.

وقد طلب هؤلاء العلماء من الإمام الأكبر امدادهم بالبرقيات والبيانات التي صدرت حول الصراع الدائر بين شاه ايران وعلماء المسلمين لإعداد مواقف تاريخي يستجلب به هؤلاء العلماء المعركة الدائرة بين الشاه وعلماء المسلمين في ايران.

الأخبار الاثنين ١٧ صفر ١٣٨٣/٨ يوليو ١٩٦٣م.



علماء الإسلام يعلمون الكفاح ضدّ الشاه

اعلن علماء الإسلام الكفاح ضدّ شاه ايران ان موقفه ضدّ رجال الدين اتى لفتية الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر عدة برقيات من علماء المسلمين في شتى الاقطار ينادون فيها لتفريق العمل من أجل تحرير علماء ايران من الظلم الواقع عليهم في ايران بسبب سياسة الشاه. ومن أهم هذه البرقيات صورة برقية بعث بها علماء المسلمين بالتحف إلى الشاه ورفضها ختمهم العام الذي السيد محمد الحسني النجفي.

وقد طلب هؤلاء العلماء من الإمام الأكبر امدادهم بالبرقيات والبيانات التي صدرت حول الصراع الدائر بين شاه ايران وعلماء المسلمين لإعداد مواقف تاريخي يستجلب به هؤلاء العلماء المعركة الدائرة بين الشاه وعلماء المسلمين في ايران.

الأخبار الاثنين ١٧ صفر ١٣٨٣/٨ يوليو ١٩٦٣م.

وثيقة رقم (20) فتوى آية الله الحكيم بوجوب التطوع مع حركة فتح	بسم الله الرحمن الرحيم سبحني معاً هذه الليلة يا أكابر وأمم طهارة العالمين بأن أعالج الله ألبهيم لطيفاً محاسناً كثيرهم المساهمين وبنصرهم للمساهمة بشرف العرف سبيل مغرباً لهم ، ولكن عندكم إن عليكم بالحكم الشرعي بحول وديمه ذلك . والرجاء من مساهمكم أن تفتونا بالنسبة لموضوع المساهمة بالمال والطبخ بالنفس تصريحاً .	وثيقة رقم (19) فتوى الإمام الخاضع السيد البغدادي بوجوب التطوع في حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ووقائق العاصفة	بسم الله الرحمن الرحيم سبحتم الله الذي لا يمتنع من وجهه الأضواء المجددة بحمد الحسين واليهادة المظفرة له في هذه المسيرة عند أنكم انطلقتم مادياً من مساهمكم في التطوع في صفوف حركة التحرير الوطني لمجدد ومؤازرة - العاصفة - من أجل أن يفتح فلسطين أو طاعة العروبة المأهولة والتحرير ، التي أختبرها هؤلاء المستعبدون منذ أن أنزلت جبالهم العاصية المستعبدون ، انقضاء بحريناً ومنه من مدراء المقعد . مودة للامانة المحمدي البحر في القدس : ١٥ - شوال - ١٣٨٨ هـ
---	---	--	---

الضمائم

(١)

رشيد الخيون ... ماذا جهاها؟

لا شيء في الكون كله أشدَّ سوءاً ورداءةً ممن يرتد عن مبادئه، ثم ينتقل إلى الخندق الآخر الذي كان حتى أمس القريب يقاتل ضده، أو على الأقل يزعم أنه يقاتل ضده، ليوجه سلاحه ضد وطنه وشعبه، وليشهر قلمه في وجه المبادئ والقيم التي ظل يزعم زمنًا طويلاً أنه بها يؤمن، وفي سبيلها يناضل!!

وقبل أن نلج أبواب الموضوع الرئيس الذي نحن بصددده، نود أن نبرز مسألة أساسية لا بد من إبرازها، ولأنَّ موضوعنا الذي نخدده بصددده يتعلق ببعض مَنْ أدعوا لزمن طويل أنهم شيوعيون وطيون يناضلون ضد الإمبريالية العالمية، فإننا نود أن نؤكد أننا إسلاميون نؤمن بالله سبحانه وتعالى، لكننا في العراق اليوم نؤيد الشيوعيين الوطنيين الذين قاتلوا ضد الإستعمار والرجعية، وضد الدكتاتورية، ثم ضد الاحتلال الأميركي الغاشم في سبيل عراق حرٍّ أبي يبنه ويعلي بنيانه كل أنبائه، واليوم في وجه الاحتلال الأميركي، وفي مشروع مقاومته وطرده من التراب العراقي نرى أنفسنا في نفس الخندق في مواجهة هذا الاحتلال مع كلِّ الشرفاء الرافضين الاحتلال من الإسلاميين والقوميين والماركسين والوطنيين نَجْمَعُ جميعاً على هدف واحد هو تحرير العراق الحبيب من الاحتلال الأميركي، ومن اتباعه والمتواطئين معه. ولننتقل الآن إلى موضوعنا:

فخري كريم شيوعي سابق، أصبح في ظل الاحتلال الأميركي مستشاراً لـ (رئيس جمهورية العراق)، ومكافأة له على تأييد ما يسمى (العملية السياسية)، وللاستفادة من خبراته كلفته أجهزة المخابرات المركزية الأميركية بتقديم قائمة بأسماء كُتَّاب إسلاميين وماركسين وليبراليين ومحللين سياسيين لاستخدامهم في مراكز أبحاث ودراسات إستراتيجية كي ينجزوا أبحاثاً ودراسات تلي ما تتطلع إليه أمريكا من تدمير الثقافة الوطنية والقومية والإسلامية في العراق، وتزوير التاريخ العراقي، لاسيما في مجال مقاومة الاستعمار.

وجاء رشيد الخيون في مقدمة قائمة فخري كريم، ورشيد الخيون هذا شيوعي سابق، أو هكذا زعمَ لمدة طويلة، ألَّفَ كتاباً تحت عنوان: «١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق» صدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث، أيار ٢٠١١ م.

في هذا الكتاب راح رشيد الخيون يصول ويجول في تاريخ العراق، ويضرب ذات اليمين وذات الشمال في أحداث المقاومة العراقية ضد الاستعمار البريطاني، وفي قيادات تلك المقاومة سابقاً الفضل فيها عن أصحابه، ناسباً البطولات إلى غير

أهلها، وفي هذا النطاق تعرّض لآل «الحسني البغدادي» بما لا يليق بباحث في تاريخ العراق! فقد جاء على لسانه في كتابه المذكور ص: ٥٠٧، ج: ١، ما يلي:

«لكن على حد اطلاعي على الكتب التي أرّخت للجهاد في البصرة ثم ثورة العشرين (حزيران ١٩٢٠م) لم تذكر شيئاً عن دور هذه الأسرة في تلك المعارك والمواجهات! مثلي علي الوردي (ت ١٩٩٥م) لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، وقد غطى تفاصيل ذلك الجهاد»، أن الخيون يتجاهل الحقيقة، تلك الواردة في المرجع الذي يستشهد به أي «لمحات اجتماعية في "تاريخ العراق الحديث" للدكتور علي الوردي، فقدّ تحدث الدكتور الوردي في كتابه المذكور عن جهاد السيد صادق رحمه الله حصراً ولقبه بـ «العطار» على غرار لقب آبائه وأجداده حين ذاك، انظر: د. علي الوردي: لمحات اجتماعية في "تاريخ العراق الحديث"، ص ٢٤ و ١٣٤، ج ٤، ملحق ٦، ط بغداد ١٩٧٩م، وزعم الخيون أن سماحة الإمام المجاهد محمد الحسني البغدادي قد حارب الانكليز في البصرة لكن الحقيقة ان سماحته شارك في معارك الشعبية وأبلى فيها بلاءً حسناً، وكان في صحبته الزعيم الوطني السيد هادي مكوثر (الكاف بالفارسية)، وصولات هذين الإمامين المجاهدين، الفقيه السيد صادق والإمام المجاهد السيد محمد الحسني البغدادي، أوردتها مصادر عديدة قديمة وحديثة، وهي مصادر موضع ثقة يمكن للراغب أن يطلع عليها ويجد لها ثبوتاً في :

موسوعة «هكذا تكلم أحمد الحسني البغدادي... تأصيل معرفي بين الثورية واللاثورية» ج ٥، ق ٢، ص ٧ وما بعدها، مركز الناقد الثقافي، دمشق ٢٠١١م. ورشيد الخيون يتناقض مع نفسه فهو يذكر أمراً معيناً في مناسبة ثم يعود بعد فترة ليذكر عكسه في مناسبة تالية وعلى سبيل المثال فقد أصدر سنة ٢٠٠٩ كتاباً تحت عنوان : «لاهورت السياسية.. الأحزاب والحركات الدينية في العراق»، ورّد فيه ص ٢٦٥: «يبرز اسم آل البغدادي في ثورة العشرين (حزيران - يونيو ١٩٢٠م) » وكذلك ورّد ص ٢٦٦ من الكتاب نفسه: «ولعل أول مرجع ديني برز من أسرة البغدادي هو آية الله محمد الحسني البغدادي (ت ١٩٧٣)، وهو من الشخصيات التي تردد اسمها في ثورة العشرين»، ويعود بعد حوالي سنتين فيذكر في كتابه: «١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق» : « لكن على حد اطلاعي على الكتب التي أرّخت للجهاد في البصرة ثم ثورة العشرين لم تذكر عن دور هذه الأسرة في تلك المعارك والمواجهات».

ثم ينتقل رشيد الخيون إلى مغالطة أخرى حيث يقول في صفحة ٥٠٧: «من أن جدّه السيد صادق الحسني البغدادي (ت ١٩١٨م) كان في جبهة الشعبية مجاهداً كفأئد قطاع... في حين أن الحقيقة أن السيد صادق الحسني البغدادي كان قائداً مقاوماً في جبهات البصرة الفيحاء.. لا في جبهة الشعبية كما يذكر الخيون، ومرة أخرى ينتقل الخيون في كتابه إلى مغالطة جديدة إذ يقول: «ثم ذكر أنّ ولده السيد محمد الحسني البغدادي (ت ١٩٧٣م) حارب الانكليز في البصرة»، في حين أن الحقيقة أن سماحة محمد الحسني البغدادي اشترك في جبهات معارك الشعبية وفق ما يروي مؤرخوه الثقة.

إنَّ الباحث المدقق يسعى وراء المعلومة، يطاردها ويدقق في جزئياتها في الزمان والمكان كي يقدمها إلى القارئ صحيحةً دقيقةً لكن الخيون يفتقر إلى منهجية الباحث الذي يسعى وراء الحقيقة، ولا يملك صبره، في حين يَقرُّ بحقيقة يرتجلها ارتجالاً، ففي الفقرة السابقة يَقرُّ بمشاركة السيد صادق الحسيني البغدادي في محاربة الانكليز لكنّه يضعها في جبهة الشعبية في حين أنّها جرت في البصرة، ويضع مشاركة السيد مُحمَّد الحسيني البغدادي في محاربة الانكليز في البصرة، في الوقت الذي جرت فيه تلك المشاركة في الشعبية، الأمر الذي يدلّ، إذا افترضنا حسن النية، على أنّ الخيون شرع في الخلط بين الرجلين المجاهدين السيد صادق الحسيني البغدادي وولده السيد مُحمَّد، وبين المكانين البصرة و الشعبية، الأمر الذي يبعده تماماً عن الباحث المتمكن، لاسيما وهو يتناول تاريخ العراق المشرق، في صفحة من أزهى صفحاته هي مقاومة الاستعمار البريطاني. هذه الآراء المشبوهة المتضاربة في معلومتها، أوردها رشيد الخيون في فصل مستقل من كتابه الذي أصدره سنة ٢٠٠٩م تحت عنوان: «لاهورت السياسية.. الأحزاب والحركات الدينية في العراق»، تحت عنوان: «جماعة البغدادي» وتسمية «جماعة البغدادي» هذه، كما يقول هو نفسه نسبة إلى السيد أحمد الحسيني البغدادي، وعند صدور كتابه المشار إليه تصدى للرد عليه المهندس الأستاذ رعد الجبوري في مقال تحت عنوان: «هل هم أقلام للإيجار؟ (مثقّفون) شيوعيون بين خواء الثقافة وانحراف التطبيق... رشيد الخيون نموذجاً». والمقال موجود في زاوية «الأكثر قراءة» على موقع مكتب سماحة الأخ المرجع القائد أحمد الحسيني البغدادي صوت المستضعفين في العراق، www.alsaed-albaghdadi.com، ونشر كذلك في موسوعة: «هكذا تكلم أحمد الحسيني البغدادي...» ج ٥، ق ٢، ص ٣٤٤ وما بعدها.

وفي عام ٢٠١١ أصدر رشيد الخيون كتاباً جديداً جعل له عنواناً هو «١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق» تناول في الجزء الأول منه الحركات الشيعية، والحركات السنية في الجزء الثاني، والحقيقة أنّ هذا الكتاب لم يكن كتاباً جديداً يراكم معلومات جديدة يضيفها حول الحركات الإسلامية في العراق، وليس سوى إعادة جديدة لكتابه السابق: «لاهورت السياسية.. الأحزاب والحركات الدينية في العراق». أثر عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عَيُوبِي».. والإمام عليه السلام في هذا القول يدعو بالرحمة ويعبّر عن شكره وامتنانه لمن ينتقده وينبئه إلى عيب أو خطأ ارتكبه في قول أو عمل، وهذا درس رائع في الأخلاق والسلوك. والباحث الموضوعي المتمكن الذي يلتزم بأصول البحث العلمي وجوهر أخلاقياته، حين يصدر طبعةً جديدةً من كتاب سابق له، أو يصدر كتاباً جديداً في موضوع سبق أن كتب فيه فانه يبادر، أول ما يبادر، إلى ذكر النقد الذي تعرّض له في الطبعة السابقة من الكتاب، أو الكتاب السابق في الموضوع ذاته، ويورد أسماء الذين نقدوه، ويوجه لهم الشكر والامتنان، بل منهم من يتصل مباشرة بناقديه، ويشكرهم على نقدهم. لأن نقدهم من وجهة نظر الباحث الجاد، يعتبر خدمة

للموضوع الذي يكتب فيه، وإغناءً للمعرفة . يحاورهم في ذلك النقد ثم يعتمد إلى تصحيح معلوماته على ضوء ذلك كله في الكتاب الجديد أو الطبعة الجديدة من الكتاب نفسه.

والحقيقة أنَّ كتاب الخيون الجديد تحت عنوان: «١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق» الذي أصدره عام ٢٠١١م ليس كتاباً جديداً يراكم معلومات وتحليلات وآراء جديدة حول الحركات الإسلامية في العراق، بل مجرد إعادة وتكرار لكتابه السابق الذي أصدره عام ٢٠٠٩م تحت عنوان: «لاهورت السياسة.. الأحزاب والحركات الدينية في العراق».. وفي الكتاب المسمّى جديداً، ضرب الخيون صفحاً عن كُلِّ الانتقادات التي وجهت إلى الكاتب السابق على خلاف ما أسلفنا مما يفترض في الباحث الجاد الساعي إلى الحقيقة الملتزم بثوابت الوطن والأمة... .

يذكر الخيون في كتابه: «لاهورت السياسة..» ص ٢٦٦، ما يلي:

«يبرز اسم آل البغدادي في ثورة العشرين (يونيو ١٩٢٠م) ولهم مدرسة معروفة في النجف هي مدرسة عبد العزيز البغدادي (ت نحو ١٩٦٤م) الدينية».

ثم يعود الخيون في كتابه الجديد ليناقض نفسه بنفسه، فينكر أيَّ دور للأسرة نفسها، آل الحسيني البغدادي، في ثورة العشرين، يقول: ص ٥٠٧، ج ١، ما يلي:

«لكن على حد اطلاعي على الكتب التي أَرَحْتُ للجهاد في البصرة، ثم ثورة العشرين (حزيران ١٩٢٠م) لم تذكر شيئاً عن دور هذه الأسرة في تلك المعارك والمواجهات». نأسف لإعادة إدراج الاقتباس السابق لأننا أوردناه سابقاً، لكننا نعيد إدراجه هنا للمقارنة بين نصين للكاتب نفسه، كل منهما يناقض الآخر، ونوافق الخيون على عبارته «على حد اطلاعي...» لكن يبدو جلياً أنَّ اطلاعه هذا محدود أو منقوص أو على الأقل متسرع مضطرب.

أما في شأن مدرسة البغدادي التي نسبها إلى آل الحسيني البغدادي في "لاهورت السياسة"، ص ٢٦٦، كما ذكرنا سابقاً، فقد جاء في كتابه المزعوم (جديداً) «١٠٠ عام من الإسلام السياسي بـ العراق»، ص ٥٠٨، ما يلي :

«كنت من قبل ذكُرتُ واهماً أنَّ مدرسة البغدادي بالنجف التي انشأها الشري العراقي عبد العزيز البغدادي (ت ١٩٦٤م) لها صلة بآل البغدادي النجفية الدينية، وقد نبهني مشكوراً إلى ذلك الخطأ غير المقصود الأديب مُجَّد رضا القاموسي النجفي». نعم كان الخيون «واهماً» كما يقر أعلاه، وليت «الوهم» عنده اقتصر على مسألة نسبة المدرسة هذه، إلّا أنَّ «الوهم» عنده يمتد على كتابيه طولاً وعرضاً.

من الجلي الواضح أنَّ الخيون في مسألة نسبة المدرسة هذه وجدها تحمل اسم «البغدادي»، وهي قائمة في النجف، وآل الحسيني البغدادي أسرة سياسية أدبية علمية معروفة في النجف أيضاً فأُسرع إلى نسبتها إليهم، وغاب عن باله مسألة بسيطة واضحة أنه، لا في العراق وحده، بل في الوطن العربي كله هناك مئات من الأسر تحمل اسم «البغدادي» فقبل أن يقسّم الاستعمار الغربي الوطن العربي، وثبت الحدود بين أقطاره، كان الرجل ينتقل وأسرته من بغداد إلى الشام أو مصر أو أحد أقطار المغرب وينزل في مدينة أو قرية ما، فيلقى الترحيب والإكرام، ولا يلبث أن يصبح واحداً من أهل الدار، ولأنَّه قديم من بغداد يطلق الناس عليه اسم البغدادي، ولا يلبث اسم «البغدادي» أن يستقر علماً على الرجل وأسرته !

وفيما يلي نقتبس بعض ما جاء في رد الأستاذ المهندس رعد الجبوري على الخيون في هذه المسألة بالذات:

«فبعد أن قمنا بالتدقيق جيداً في الاقتباس الأول وجدنا أن تلك المدرسة الدينية التي ذكرها، لم تكن مدرسة تابعة لـ «آل الحسيني البغدادي» لا من قريب ولا من بعيد، وإنما أسسها الحاج المرحوم عبد العزيز البغدادي عام ١٣٨٥هـ، وإن هذه الشهرة لا أصل لها. انظر موسوعة : «هكذا تكلم أحمد الحسيني البغدادي، المقاومة مستمرة والاحتلال إلى زوال وشعبنا لن يموت» ص ٥٣٧، ط نيسان ٢٠٠٧، بيروت.» علاوة طبعاً على أنَّ الحاج المرحوم عبد العزيز البغدادي لا يمت بصلة قرابة لعائلة البغدادي التي هي موضوع بحث الكاتب. حيث أنَّ المرحوم عبد العزيز البغدادي لم يكن من الأشراف وهذا ليس انتقاصاً من شخصه أو قدره، ولكن الأمانة التاريخية والعلمية تقتضيان التفريق بينه وبين أسرة آل الحسيني البغدادي الغنية عن التعريف بوصفها تنتمي إلى عائلة لها وزنها الاجتماعي ونفوذها، وتتميز أيضاً بتاريخها العلمي والأدبي، ناهيك عن حضورها في العراق والجزيرة العربية، فهم من صلب أشراف مكة المكرمة الذين ينحدر منهم الشريف أبو نمي أمير الحجاز (ت ٧٢١هـ) وجد الشريف الحسين بن علي زعيم ما عرف لاحقاً بالثورة العربية الكبرى في الحرب الكونية الأولى عام ١٩١٤م، ووالد الأسر المالكة في الحجاز و العراق و الأردن، وكذلك فإن الشريف أبا نمي هو جد الأسر العربية الهاشمية التي عاشت في وادي الرافدين كعشيرة آل السيد أحمد العطار الحسيني البغدادي في النجف وبغداد، وآل السادة الحيدري في الكاظمية، وآل السيد عيسى الحسيني في بغداد، وآل سعبر، وآل العلاق، وآل حجاب في الهاشمية في بابل.

ومن الواضح هنا أن الكاتب يخلط بين الأسرتين، أسرة عبد العزيز البغدادي، التي تنحدر عشائرياً من بني تميم، وبين أسرة آل الحسيني البغدادي المعروفة بأنها أسرة أدبية علمية عريقة برزت قبل أكثر من ثلاثة قرون، ومنها السيد مُجد العطار البغدادي (ت ١١٧١هـ) زعيم بغداد والملقب بذي الرئاستين (الإمامة والتجارة)، واستمرت وصولاً إلى المرجعين الفقيهين المجاهدين السيد أحمد وشقيقه السيد علي الحسيني البغدادي

أطال الله عمريهما، ولتجنب مثل هذا الخطأ المعرفي الفادح، كان حرياً بالسيد الخيون أن يطالع بعضاً من كتب علماء الانساب والسير والتراجم التي ذكرت ترجمة هذه الأسرة ومنها . على سبيل المثال لا الحصر «مخطوطات مكتبة آية الله السيد محمد البغدادي الحسني» د. محمد هادي الأميني ١٣٩/٢٢، ط ١٣٨٤، و «مشهد الإمام أو مدينة النجف»، محمد علي جعفر التميمي ٨٤/٢ ط النجف ١٩٥٤، و (جهاد السيد البغدادي دراسة حوارية نقدية وثائقية خلال نصف قرن لمسيرة الإمام المجاهد السيد البغدادي)، (انظر الموقع الالكتروني لسماحة الفقيه المرجع أحمد الحسني البغدادي، زاوية مؤلفات:

(<http://www.alsaed-albaghdadi.com/moulfat.html>)

وغيرها من عشرات الكتب والأبحاث الموسعة».

الكاتب الباحث المتمكن الذي ينشد الحقيقة، ويسعى إلى خدمة وطنه وشعبه حين يبحث في تاريخ الوطن، وفي نضال الشعب وجهاده، لا بد أن يتصف بالتواضع والنفس المطمئنة، وحين ينشر مقالاً أو يصدر كتاباً، فإنه لا يكيل المديح لنفسه، ولا يتعالى عن النقد، ولا ينزه ما يكتب عن الخطأ والزلل، وليس الخيون من هذا في شيء، فالذين يعرفونه عن قرب، والقريبون منه يذكرون أنه لا يكف عن الحديث عن نفسه وعمّا كتب وما نشر !

لقد ارتد الخيون عن الشيوعية، وهذا الارتداد نقله إلى الجبهة المضادة، أي جبهة الإمبريالية المعادية للشعوب، ومنها شعبه العراقي، ويردد رفاهه الشيوعيون الوطنيون أنه ارتبط بجهاز المخابرات المركزية الأميركية، ولعلّ هذا ما قاده إلى تأييد ما يسمّى بالعملية السياسية في العراق التي يقودها أولئك الذين عادوا الى العراق على ظهور الدبابات الأميركية دون خجل أو وجل!! وتأييد «العملية السياسية» والالتحاق بركبها، والركض وراء (منافعها) قاد الخيون إلى موقف عدائي من المقاومة الوطنية والإسلامية التي تناهض الاحتلال الأميركي وتقاومه العلمانية منها والإسلامية سواءً بسواء.

وقوات الاحتلال عنده ليست قوات احتلال بل هي «القوات المتعددة الجنسيات» كما يطلق عليها في كتاباته، أما أولئك الذين يرفضون الاحتلال ويقاومونه فهم عند الخيون «التكفيريون» و «الارهابيون» و «أيتام النظام السابق»!!

وفي السياق نفسه، وللدفاع ذاته يصب جام غضبه ونقده المفتعل على رؤوس القوى والجماعات التي ترفض الاحتلال وتقاومه، وتدين (العملية السياسية) في العراق وتحوّن القائمين بها وعليها وأتباعهم مثل «جماعة البغدادي» و «جماعة الخالصي» و «جيش المهدي» و«هيئة علماء المسلمين» و «الجماعات المسلحة» و«الدولة الإسلامية» ومعظم الاحزاب السنية والشيعة، أما أولئك الذين يؤيدون (العملية

السياسية)، ويتراکضون یناطح بعضهم بعضاً لنیل شیءٍ من فتاھا، والذین یؤیدون المشروع الأمیرکی فی العراق وفي المنطقة کلھا، فالخیون لا یوجه إلیهم أئی نقدٍ، بل علی العکس یدافع عنهم، ویبذل قصارى جهده لتبرئة مواقفهم، ومن یتابع کتاباته ومواقفه یمستطیع أن یمکتشف موقفه هذا منهم، من أمثال الشیخ محمد الیعقوبی (التبریزی) مرشد حزب الفضیلة الإسلامی، والسید عمّار الحکیم (الأصفهانی) رئیس المجلس الأعلى الإسلامی العراقی ...

وأخیراً لا نستطیع إلا القول ..

سبحان الله !.. رشید الخیون ماذا دهاک ؟!!..

حیدر الحسینی
مؤرخ - العراق
٨ من ذی الحجة ١٤٣٢ھ

(٢)

هل لهم أقلام للإيجار؟ (مثقفون) شيوعيون بين خواء الثقافة وإنحراف التطبيق رشيد الخيون نموذجاً

في مقال سابق لنا إنتقدنا فيه أحد الكتاب الشيوعيين الذين تجرأوا على الخوض في مسائل إسلامية دون علم أو دراية، وخلصنا إلى القول إنهم لم يدركوا حتى الآن على ما يبدو أنهم لا يتمكنون من تناول هذه الأمور أو الإقتراب منها، دون تدقيق ودراسة واعية وعميقة متجردة من الهوى العقائدي والحزبي الضيق، التي لا ينبغي أيضاً أن تسعى إلى إستخلاص نتائجها بإستخدام ذات الأدوات التحليلية (العتيقة) التي تدرب عليها هؤلاء الكتاب خلال حياتهم العقائدية والحزبية.

وللأسف فقد لاحظنا ان الكثير من هؤلاء (المثقفين) اليساريين العرب وتحديداً القدامى منهم، ممن فتحو أعينهم على صعود الإمبراطورية الشيوعية، ثم شهدوا لاحقاً صدمة إنحيار المنظومة السوفيتية.

لاحظنا كيف أنهم أضاعوا البوصلة الفكرية، وبدأ نتاجهم الثقافي في السنوات الأخيرة يتسم بالسطحية يفتقر إلى الكثير من المصداقية، كما ان الكثير منهم اصيب بنكوص عقائدي وبنوع من الردة الفكرية، حتى انه إرتضى لنفسه أن يصبح ذليلاً تافهاً للمشروع الإمبريالي الأمريكي في ابشع تحولاته (في زمن المحافظين الجدد) بينما كان قد ترى جل (عمره) على كرهه ومحاربه، وبعضهم زاد على ذلك بأن أصبح متحمساً ومدافعاً عن عملاء أمريكا ويسبح بحمد (فضائلهم) كما كان بالأمس يفعل مع لينين أو ماركس، و ما أسماء مثل حميد مجيد موسى، وفخري كريم، وعبد الأمير الركابي، وعزيز الحاج ... وسواهم إلا نماذج عراقية فاقعة لهذا الوضع الشاذ. وأصبح هؤلاء الكتاب (بقصدية على الأغلب) يبتعدون عن الموضوعية والرصانة في تناول المواضيع المستجدة بشكل عام، أو تلك التي تتناول موضوعات إسلامية بشكل خاص.

هذه المقدمة وجدتها ضرورية كمدخل إلى مقالي الذي استعرض خلاله قراءة الذاتية للكتاب الجديد للدكتور رشيد الخيون «لاهورت السياسة .. الاحزاب والحركات الدينية في العراق» طبعة ٢٠٠٩م، اربيل العراق، الناشر: دراسات عراقية. وسأتناول في هذا المقال تحديداً بعض ما جاء في الفصل العاشر والذي يحمل عنوان «جماعة البغدادي». وهذا الكتاب جاء حافلاً بالأخطاء منها ما هو تاريخي ومنها ما

ينم عن جهل فاضح بأبسط المعلومات والقواعد التي ينبغي أن يلتزم بها أي كاتب مبتدئ، فكيف بكاتب مثل رشيد الخيون وهو صاحب الكثير من المقالات والمؤلفات المطبوعة والمنشورة حيث يفترض فيه أن يكون في نقله مدققاً ومحققاً. وسنستعرض بعض ما توضح أماننا في قراءتنا هذا الكتاب قراءة أولية.

في الصفحة ٢٦٥ يقول الكاتب رشيد الخيون:

"يبرز اسم آل البغدادي في ثورة العشرين (حزيران / يونيو ١٩٢٠)، ولهم مدرسة معروفة في النجف هي مدرسة عبد العزيز البغدادي (ت نحو ١٩٦٤) الدينية."

أو في قوله عن الإمام البغدادي (الكبير) على الصفحة ٢٦٦ :

"ولعل أول مرجع ديني برز من أسرة البغدادي هو آية الله مُجَّد الحسني البغدادي (ت ١٩٧٣)"

فبعد أن قمنا بالتدقيق جيداً في الإقتباس الأول وجدنا أن تلك المدرسة الدينية التي ذكرها، لم تكن مدرسة تابعة لـ (آل السيد الحسني البغدادي) لا من قريب ولا من بعيد، وإنما أسسها الحاج المرحوم عبد العزيز البغدادي عام ١٣٨٥هـ، وإن هذه الشهرة لا أصل لها. أنظر موسوعة : «هكذا تكلم أحمد الحسني البغدادي، المقاومة مستمرة والاحتلال الى زوال وشعبنا لن يموت ٥٣٧، ط نيسان ٢٠٠٧، بيروت.» علاوة طبعاً على ان الحاج المرحوم عبد العزيز البغدادي لا يمت بصلة قرابة لعائلة البغدادي التي هي موضوع بحث الكاتب. حيث أن المرحوم عبد العزيز البغدادي لم يكن من الأشراف وهذا ليس إنتقاصاً من شخصه أو قدره، ولكن الأمانة التاريخية والعلمية تقتضينا التفريق بينه وبين أسرة آل الحسني البغدادي الغنية عن التعريف بوصفها تنتمي إلى عائلة لها وزنها الاجتماعي ونفوذها، وتتميز أيضاً بتاريخها العلمي والادبي، ناهيك عن حضورها في العراق والجزيرة العربية، فهم من صلب اشراف مكة المكرمة الذين ينحدر منهم الشريف أبو نمي أمير الحجاز (ت ٧٢١هـ) وجد الشريف الحسين بن علي زعيم ما عرف لاحقاً بالثورة العربية الكبرى في الحرب الكونية الاولى عام ١٩١٤م، ووالد الأسر المالكة في الحجاز العراق الأردن. وكذلك فإن الشريف أبا نمي هو جد الأسر العربية الهاشمية التي عاشت في وادي الرافدين كعشيرة آل السيد احمد العطار الحسني البغدادي في النجف وبغداد، وآل السادة الحيدري في الكاظمية، وآل السيد عيسى الحسني في بغداد، وآل سعب، والعلاق، وآل حجاب في الهاشمية في بابل.

ومن الواضح هنا إن الكاتب يخلط بين الاسرتين أسرة عبد العزيز البغدادي، التي تنحدر عشائرياً من بني تميم، وبين أسرة آل الحسني البغدادي المعروفة بأنها أسرة أدبية علمية عريقة برزت قبل أكثر من ثلاثة قرون، ومنها السيد مُجَّد العطار البغدادي (ت ١١٧١هـ) زعيم بغداد والملقب بذي الرئاستين (الإمامة والتجارة)، واستمرت وصولاً

الى المرجعين الفقهيين المجاهدين السيد احمد وشقيقه السيد علي الحسيني البغدادي أطال الله عمريهما. ولتجنب مثل هذا الخطأ المعرفي الفادح، كان حرياً بالسيد الخيون ان يطالع بعضاً من كتب علماء الانساب والسير والتراجم التي ذكرت ترجمة هذه الاسرة ومنها . «على سبيل المثال لا الحصر. مخطوطات مكتبة آية الله السيد مُحَمَّد البغدادي الحسيني» د. مُحَمَّد هادي الاميني ١٣٩٠/٢٢، ط: ١٣٨٤، و «مشهد الإمام أو مدينة النجف»، مُحَمَّد علي جعفر التميمي ٨٤/٢ ط: النجف ١٩٥٤، و (جهاد السيد البغدادي دراسة حوارية نقدية وثائقية خلال نصف قرن لمسيرة الإمام المجاهد السيد البغدادي)، (انظر الموقع الالكتروني لسماحة الفقيه المرجع احمد الحسيني البغدادي، زاوية مؤلفات:

(<http://www.alsaed.com/moulfat.html>)

وغيرها من عشرات الكتب والأبحاث الموسعة.

وفي حديثه عن الإمام البغدادي (الكبير) يقول الكاتب رشيد الخيون بلا تمحيص ولا تدقيق بأنه كان:

"من الشخصيات التي تردد أسمها في ثورة العشرين، وقد أصدر فتوى ضد المد الشيوعي حسب تسمية القوى الدينية والقومية له وكان بأثر فتوى اية الله الحكيم جاء فيها : الشيوعية فئة صريحة الالحاد في كتبهم المنشورة وسائر كلماتهم الشائعة التي لا يمكن تأويلها ويكفي ذلك هجر اسم الجلالة وتعقب من نطق به بانواع من الاذى حتى انهم بهذا المبدأ قد قضوا على عباد الله في اديانهم بل حجزوا عليهم جميع ما يعود اليهم والقضاء عليهم خدائع كثير قد اشرنا الى جملة منها."

اما حول الفتوى التي أصدرها سماحة المجاهد السيد البغدادي فإنه يقول لاحقاً ما نصه:

" وهي ليست فتوى تكفير وحسب، وانما فتوى جهاد وبيان حماسي ملتهب، وتشجيع المارك بين الاحزاب السياسية، او بين فئات المجتمع العراقي."

ولا نزن إن هذه العبارة بريئة المقاصد على مبدأ (المدح في معرض الذم)، علاوة على إن فيها مغالطة فاضحة، فهو يشير إبتداءً إلى فتوى الإمام البغدادي، ويصنفها كأنها جاءت بصورة (تبعية) لفتوى الحكيم، بينما الحقائق التاريخية المدونة تشير إلى عكس ذلك، ولعل ما كتبه المفكر عادل رؤوف في هذا المجال يعد من ادق الروايات وقد استند فيها إلى شهادة شهود عيان في تلك الحقبة، ومنهم حفيد الإمام البغدادي، آية الله العظمى السيد أحمد الحسيني البغدادي.

ففي مبدأ الفتوى المشار إليها وتوقيتها يقول المفكر الاسلامي الناقد عادل رؤوف في كتابه: «مُحَمَّد باقر الصدر بين دكتاتوريتين» ط ٦، ٢٠٠٦ م. في صفحة ٢٨٢ وما

بعدها، الذي كتبه في غرة محرم الحرام ١٤٢٢هـ أي قبل ما كتبه الخيون بشماني سنوات، ما يفند هذا الأكذوبة المفصوحة حيث يقول رؤوف في النص المطول التالي :

"على الرغم من ان دراسة توقيت الفتوى تدخل ضمناً مع مبدأ إصدار الفتوى.. الا ان هذا المبدأ، مع مرور أكثر من اربعين عاماً على مروره، لم يدرس هو الآخر دراسة محايدة غير (متعاطفة) ولا(منحازة) وغير (متردة) عن المسألة التي غابت عن واقع الدراسات، سواء تلك التي تناولت العمل الاسلامي في العراق وتأريخه، أو تلك التي غطت رموز العمل الاصلاحى التغييرى أو اقطاب المرجعية التقليدية.. ففي ظل هذه الاساليب والآليات يبرز أكثر من رأي ازاء فتوى آية الله السيد محسن الحكيم في تكفير الشيوعية، وهذا ما بقي طي الكتمان طوال تلك الفترة، ففي حين أن مراجع اخرين أصدروا فتاوى مماثلة ومتزامنة مع فتوى الحكيم ضد الشيوعية كآية الله عبد الكريم الجزائري، وآية الله ابو القاسم الخوئي، وآية الله عبد الهادي الشيرازي فان بعض المراجع الآخرين إما أنهم اضطروا الى اصدار مثل هذه الفتاوى، واما أنهم امتنعوا عن إصدارها، وكان آية الله محمد الحسني البغدادي من الذين رفضوا إصدار الفتوى بالتزامن مع فتاوى المراجع (الاربعة) المذكورين الذين اصدروا الفتاوى في هذا الجانب وعلى رأسهم بالطبع آية الله السيد محسن الحكيم، وكان رأي السيد البغدادي الرافض يقوم على افتراض مهم مفاده إن: هذه الفتاوى سيكون ضحيتها الاولى والاخيرة شيعة العراق لان الشيوعيين العراقيين كانوا اغلبهم من الطائفة الشيعية، ولذا فإنه أفتوح . أي السيد آية الله محمد الحسني البغدادي . إنه: إذا كان لابد من إصدار فتوى ضد الشيوعية إذن فليُصَرَّ الى اقناع علماء اهل السنة باصدار مثل هذه الفتوى أيضاً.

يقول آية الله السيد أحمد الحسني البغدادي في هذا الاطار: "عندما زار وفد من ثلاثة علماء لأقناع السيد البغدادي حول اصدار فتوى ضد الشيوعية بالتزامن مع تلك الفتوى وتألف الوفد من الشيخ مرتضى ال ياسين والسيد أسماعيل الصدر ومحمد جمال الهاشمي بحضور عبد الهادي العصامي، وقالوا له ان خطر الاتحاد أصبح واضحاً، وأن الشيوعيين يسحلون الناس بالجهل وانهم يدعون الى الاباحية، ولا بد من اصدار فتوى ضدهم أجابهم آية الله محمد الحسني البغدادي: ان الفتوى بالعنوان الاولى صحيحة الا انها بالعنوان الثانوي تؤدي الى ذبح الشيعة، وهذا خطأ فادح يجب ألا ننساق إليه ثم أين كنتم عن الشيوعية طوال هذه السنين؟!".

ويضيف آية الله السيد أحمد الحسني البغدادي في حوار خاص معه حول هذا الموضوع قائلاً:

"بعد ان أصر آية الله محمد الحسني البغدادي على رفض قبول طلب الوفد باصدار فتوى ضد الشيوعية بالتزامن مع الفتاوى الاربعة المشهورة قال له محمد جمال الهاشمي في محاولة لاستمالة واقناعه: سيدنا ستكون صورتك وفتواك مقدمة على صورة وفتوى

السيد الحكيم !!.. وقبل ان يكمل كلامه نهره السيد البغدادي قائلاً له: ما هذا الكلام هل نحن اطفال؟!.."

واقترح آية الله السيد محمد الحسني البغدادي (أي الإمام البغدادي) أيضاً أن تكون الفتوى عامة وبما أفاده «لا يجوز الانتماء الى الأحزاب التي لاتؤمن بتطبيق الإسلام كمبدأ وعقيدة ونظام وشرعية». نقلاً عن حوار مع آية الله السيد أحمد الحسني البغدادي. (أنظر هامش الكتاب على الصفحة ٢٨٤)

".. بالطبع ان آية الله محمد الحسني البغدادي الذي رفض اصدار فتوى بالتزامن مع المراجع الاربعة اضطر متأخراً الى ان يصدر فتوى ضد الشيوعية الا ان فتواه كانت أكثر حيلة وحذراً وتحاول ان تفرق بين المؤمنين الحقيقيين بالشيوعية وبين القواعد، التي انحطت في الحزب الشيوعي لأسباب متعددة، ومع ان المذاهب التي ارتكبت بحق الشيوعيين فيما بعد، عندما أصدر البعثيون بيان رقم (١٣) ودعو فيه الى ابادة الشيوعيين.. مع ان الفتاوى الاربعة وظفت في هذه المذاهب عندما اظهروها بصورة عبر التلفزيون كأجراء توظيفي لتنفيذها... ومهما يكن من أمر فان مراجع آخرين رفضوا اصدار فتوى ضد الشيوعية رفضاً تاماً كآية الله حسين الحاملي، وآية الله عبد الكريم الزنجاني، وآية الله الشيخ محمد فاضل القائني.. الا ان ثمن هذا الرفض كان قاسياً عندما تم اتهام الاول بأنه شيوعي، واتهام الثاني بأنه عميل بريطاني، واتهام الثالث بأنه مجنون، وان جهاز مرجعية آية الله السيد محسن الحكيم هو الذي كان يقود الاشاعات ويوجه الاتهامات ويروجها ضدهم، وان هذا الجهاز التهمة السياسية ضد هؤلاء وغيرهم الى تهمة اخرى لا يمكن ذكرها هنا... ان رفض الزنجاني والحمامي والبغدادي (لأول وهلة) والخالصي لتحويل المواجهة مع الشيوعيين الى مواجهة فتاوى كان يشير الى شك في مبدأ الفتوى من جهة، وشك في توقيتها من جهة ثانية، وشك حول اصرار مرجعية الحكيم عليها من جهة ثالثة.. الا فان المواجهة كانت مواجهة خطابات فكرية سياسية كما أنضح سابقاً..."

ويضيف رؤوف بعد ذلك وتحت عنوان «نتائج الفتوى» ما نصه:

"وما حصل بالنهاية هو ما يلي:

أولاً: مساهمة مرجعية آية الله محسن الحكيم في اسقاط حكومة عبد الكريم قاسم سواء عبر الفتاوى أو عبر أي اجراء متشدد آخر أو عبر أسلوب المقاطعة الذي انتهجه آية الله الحكيم ضد قاسم والاصرار على عدم (استقباله) في النجف الاشرف . كما تم تأكيد ذلك . من قبل السيد محمد باقر الحكيم حيث قال: ان لهذا الاسلوب من المقاطعة دوراً في اسقاط حكومة عبد الكريم قاسم ومهما تكن أسباب هذا التشدد وهذا الدور الا أن هناك حقيقة يجب ان تقال للتاريخ وهي: إن علاقة آية الله السيد محسن الحكيم مع العهود الملكية كانت اقل توتراً وأقل تشدداً، وهذا الامر هو

الآخر ساهم في تكريس الشكوك حول هذا التحول لا سيما في ظل استهداف قاسم من شاه ايران ومن بريطانيا والعربية السعودية ومصر بزعماء جمال عبد الناصر، ولا سيما في ظل علاقة مرجعية الحكيم الايجابية مع شاه ايران.

ثانياً: وفي ظل كل ما تقدم قد لا يكفي القول إنَّ سبب ابتعاد المرجعية عن عبد الكريم قاسم كان بسبب الشيوعيين، ويرى الدكتور بحر العلوم أن الحزب الشيوعي له دور في التباعد بين المرجعية والسلطة حيث يقول: «وساهم الحزب الشيوعي بتعميق الهوة بين المرجعية وقاسم وحاول الإمام الحكيم الطلب من قاسم أن يعود الى واقعه الاسلامي وترك الاحكام والقوانين المنافية للاسلام ولكن قاسم اتخذ موقفاً جافاً تجاه المرجع مما ادى الى القطيعة لذا التفت القوى الاسلامية والقومية حول الإمام ضد التيار الشيوعي من جهة، وضد قاسم من جهة أخرى» هذا السبب قد لا يكون كافياً وحده لان التيار الشيوعي كان الشارع العراقي قبل مجيء قاسم واذا كان قاسم قد قرب الشيوعيين وتحول ذلك الى سبب في عدااء المرجعية له فكان ينبغي أن يتوقف هذا العداء بعد أن تخلى قاسم عن الشيوعيين، فاللافت أنه بعد هذا التخلي ازداد عدااء مرجعية الحكيم ضد قاسم.. وهذا الامر هو الآخر كان منبعاً للشك عن السر الذي يكمن وراء اصرار المرجعية (الحكيم) عل عدااء قاسم في ظل جو جامع من العداء الخارجي ضده.

ثالثاً: والادهى من كل ذلك أن التقارب القومي - الاسلامي في تلك المرحلة ضد الشيوعيين كان بتخطيط قومي . بعثي تجلّى عبر الدور الذي مارسه التيار القومي . البعثي في توظيف الفتاوى وحث المراجع على اصداها... ولم يتجل بالمقابل بتخطيط اسلامي متكافئ متوازن، وما فائدة أن يقال بعد كل ذلك أو أن يصار الى الاعتراف بأن «المرجعية انتصرت على قاسم ولكن القوميون استفادوا من ذلك وصعدوا على أكتافنا ونحن (أي الاسلاميين) لم نلتفت الى الامر الا بعد بضعة أشهر بعد فوات الاوان» هذه الشكوك جميعاً هي التي أدت الى القول في نهاية المطاف وبعد مرور أكثر من ثلاثين سنة على رحيل آية الله الحكيم، ومن ثم إعادة قراءة تلك الفترة أدت الى القول في بعض الاوساط إنَّ آية الله السيد محسن الحكيم «أسقط عبد الكريم قاسم وجاء بالبعثيين إلى السلطة!!».

والإقتباس طويل، ولكن يحق لنا أن نتوقف لنسأل الكاتب رشيد الخيون، لماذا لم يعترض بنفس الحماسة و(الموضوعية) على السيد محسن الطباطبائي الحكيم الذي أسقط عبد الكريم قاسم، والذي أباد شيوعي العراق عن بكرة أبيهم من خلال بيان ١٣ السبيء الصيت في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م؟

ونقول نحن ان في ما طرحه المفكر الاسلامي الناقد عادل رؤوف في هذا الصدد ما يكفي للرد عليه. فإذا كان السيد الخيون لم يقرأ ويمحص ويدقق فيما كتب عادل رؤوف فليدقق على الأقل في ما يمكن أن يجيبه به.

وبالعودة من جديد إلى ما أورده الكاتب الخيون نجد في الصفحة ٢٦٧ ما نصه:

" هنا نتوقف عند عبارة (هجر اسم الجلالة) الذي اعتبره كفراً ومفردة الهجر تعني البيانات والكتب والرسائل أو العبادة بمعناها العام الذي يستوجب الكفر من المبالغة حقاً، وبما لا يليق بمرجع ديني ان يأتي بفتواه ما هو غير صحيح او دقيق فتعقيب من نطق بأسم الجلالة لم يحصل وبهذا المعنى حتى تكفر فئة سياسية بكاملها، بل ان هناك رجال دين تعاملوا مع الحزب الشيوعي العراقي من السنة والشيعة من الاعظمي وآل كاشف الغطاء وآل الماشطة وغيرهم من الاسر الدينية وكانوا يستهلون رسائلهم وخطاباتهم بالبسملة عادة، ولا يقال عن تلك الفتوى او فتوى القتل التي اصدرها رجال الدين ضد الحزب الشيوعي في تموز / يوليو ١٩٦٠ اكثر من انها فتوى سياسية حسب وصف الشيخ طه جابر العلواني مبنية على الخلاف الحزبي والمحللي بين التيار القومي والتيار اليساري والمرجعية كما هو معروف تمثل الثوابت الدينية وتتعالى لمهامها المقدسة على مثل تلك الصغائر، ومثال هؤلاء مثال «والذين لا يشهدون الزور واذا مروا بالغو مروا كراما» وما حدث بين الاحزاب آنذاك كان بالنسبة لما يمثلونه من الثوابت هو الغلو بعينه"

أما في الصفحة ٢٧٧ فيقول الخيون ما نصه:

"إنَّ المراجع الدينية ليست على احتكاك مباشر بالناس بل من تقاليد العزلة والاتصال عبر الحجاب وهم عادة من الابناء والوكلاء وتسمع من المقربين، وهؤلاء بطبيعة الحال لهم ميولهم واغراضهم السياسية او الاجتماعية ونوازعهم الشخصية وامزجتهم ضد هذا أو مع ذاك."

وفي ذلك نقول: يبدو ان السيد الخيون كتب هذه الجزئية وعممها إستناداً إلى ما رآه من واقع عزلة السيستاني والهالة المصطنعة التي يحيط بها نفسه هو وأمثاله من (مراجع) الحوزة . الرباعية المتعاشية . ولا نريد ان نقول المتعاونة . مع الإحتلال الأمريكي، تلك (الرموز) التي لا تصلي بين الناس أو تؤمهم في الصلاة، وبعضهم لم يزر الصحن الحيدري منذ سنوات، ناهيك عن الصلاة أو إمامة المسلمين في مفارقة غريبة جداً، تلك (الرموز) لا يراها ولا يكاد يسمع بها المواطن البسيط المسحوق بين فكي الرحي المتمثلة بالإحتلال البغيض وأذنا به الفاسدين والمفسدين من أقطاب (العملية السياسية) من المحتمين بنفس تلك (الرموز) المرجعية، ذلك المواطن الذي يئن منذ ما يقرب من سبع سنوات تحت وطأة الدمار والفقر والمرض في عراق ما بعد (التحرير) المشؤوم. وأنه . أي رشيد الخيون . لم يسمع على ما يبدو أو أنه لا يريد أن يسمع ببقية المراجع الذين اندكوا في عمق معاناة الناس يعانون مثلهم مثل الغالبية العظمى شظف العيش وقلة (التمويل)، وإتفاق الجميع (الإحتلال، السياسيون، النخب الثقافية) على حصارهم والتعقيم على سيرتهم وإنجازاتهم أو نشاطاتهم.

بل على العكس من ذلك نجد أن الخيون يتعرض بالغمز واللمز لأهم رموز المرجعية العروبية. ففي معرض تناوله سيرة آية الله العظمى السيد احمد الحسيني البغدادي أطال الله عمره، عبّر الكاتب رشيد الخيون عن لا موضوعية حادة لا يمكن ان نعزوها إلى جهله، وهو الذي خاض في أكثر من كتاب ومقالة ولقاء تلفزيوني في موضوع الأديان والمذاهب، ففي هذا السياق يقول رشيد الخيون عن السيد احمد الحسيني البغدادي في الصفحة ٢٧٢ ما نصه:

"وتراه يرجع خلافه مع مرجعية ابي القاسم الخوئي إلى سنوات مبكرة، أي إلى بداية الثمانينيات من القرن الماضي. قال كنا نواجه عتابا هادئا عندما قتل الشهيد المرجع محمد باقر الصدر ان المرجع في ذلك الوقت التعيس لم يدافع عنه لسبب الاخذ بالتقية اللاشرعية، ولذا اقول ان الاخذ بالتقية، لا التي تفضي الى نفس معالم اصول الدين من اكبر المحرمات الشرعية، هذه مسألة بديهية لا تحتاج الى تفسير أو دليل فلا يخدعكم رجل دين دجال او حزبي ضيق.

ويحدد البغدادي التقية بفروع الدين لا بأصوله : « أن نصلي بصلاة أهل السنة والجماعة، وأن نحج بحجهم، ونجاهد بجهادهم ضد الهجمات الخارجية، هذا إذا كانت هناك ضغوط طاغوتية ضدنا ... أما الأخذ في التقية في أصول الدين فلا يسوغ ذلك إطلاقاً عند كافة المذاهب الإسلامية المختلفة إذا كان الدين في خطر». وحسب هذا المنطق لا بد أن يعذر البغدادي مَنْ حارب إيران إلى جانب الجيش العراقي كونه عدواناً خارجياً!، وإذا صح ما أدلى به السيد البغدادي، وما كان يعلنه ويمارسه ضد السلطة وضد المرجعية في آن واحد، ومنذ ذلك التاريخ، فإنه استمر موجوداً داخل العراق بعد قتل محمد باقر الصدر لسنوات طويلة، فهل ترك العمل بالتقية، وأعلن صراحة موقفه من السلطة؟! "

ونقول لقد نسي أو تناسى الكاتب الكثير مما كتب في هذا المجال سواءً ما كتبه السيد احمد الحسيني البغدادي نفسه أو ما نقله الآخرون عنه، وفي مقدمتهم المفكر والكاتب الإسلامي عادل رؤوف كما أسلفنا في أكثر من موضع، فسماحة السيد آية الله احمد الحسيني البغدادي معروف جداً بمواقفه الشهيرة بعدم الاخذ بالتقية اللاشرعية، وسماحته قد جسدها عملياً من خلال مواقفه ضد حزب السلطة الحاكمة حين ذاك.

ويمكن لأي قارئ موضوعي التأكد منها من خلال ما قام بمذكراته سماحة المرجع احمد الحسيني البغدادي في كتابه: « السلطة والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق - حوار صريح مع آية الله احمد الحسيني البغدادي»، أجرى الحوار حامد القرشي من قبل المركز العراقي للإعلام والدراسات، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، تحت العناوين البارزة المثيرة للجدل مثل «اسرار وفاة الإمام البغدادي»، «انتفاضة بلا قيادة»، «من انتفاضة الإمام الخميني الى ثورته»، «صراع مع المؤتمر الاسلامي الشعبي»، «بعد

الفتنة أو جسر للعبور»، «الشهيد الصدر بين المرحلية والتأسيس»، «هدية بعد الانتفاضة الخاسرة»، «الانفتاح الخادع على الرموز»، «استفتاء بعد الاحتضار»، «اختفاء قبل النصر الموعود». هذه العناوين، ونحن نفترض أنَّ السيد (الخيون) قد قرأها حتماً بدلالة إستشهادها بهذا الكتاب حصراً، وكذلك فإن نصوص الفقرات التي تحمل تلك العناوين كانت كلها توثق بأن السيد البغدادي كان ضد النظام السابق، بل هو من القلة النادرة التي كانت تمتلك مشروعاً فعلياً على الأرض من خلال نشاط حركي ميداني، وسؤالنا للسيد (الخيون) هو: لماذا هذا التضليل ولمصلحة من؟، ولماذا لم تكتب عن الذين يرتدون (العمامة) أو يخبئون خلفها ولا يجمدون حرجاً في دعم العملية السياسية البائسة في عراق ما بعد الإحتلال؟، وأصبحوا سماسرة لتبرير الخطايا والترويج الإنتخابي الفج لكل من جاؤوا مع الإحتلال. والسؤال الأبرز هنا هو إذا كانت معلومات السيد الخيون خاطئة أو مظلمة في ما يخص الأحياء من الشخصيات ورجال الدين، فكيف يتسنى لنا تصديقه أو الثقة في ما يكتب حين يتعرض في مواضع أخرى لسيرة الأموات منهم؟!!!.

وبالعودة مجدداً للإقتباس مما كتبه المفكر عادل رؤوف في كتابه الموسوم «أنبياء وأصنام ... حوزة الأرض والوطن... حوزة الوافدين الى الوطن». الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م في استثنائه السيد البغدادي من تهمة موالاته السلطة والنظام السياسي قبل الإحتلال، ومن خلال انتقاده الشديد المرجعية النجفية حيث يقول رؤوف في صفحة ٣٠٥ ما يلي:

"لم يكن لنثقل على القارئ بهذه النصوص الصحفية لولا الأهمية القصوى لإعادة قراءتها، والوقوف عند دلالاتها، في إطار المبحث، الذي نحن بصده، فقد أكدنا سابقاً أن هذه «الحوزة» النجفية، التي وظفها صدام حسين بهذا الشكل، الذي يصب في اتجاه سياساته الخارجية والإقليمية والمحلية، برموزها وأسمائها التي أوردتها تلك الصحف، إنما استجابت لذلك مكرهة... إلا أن الثابت في الأمر الذي لا يستطيع أن ينكره أحد، هو مبدأ الاستجابة، الذي عبرنا عنه في ما مضى، بأنه يعبر عن «حوزة مهزومة ذاتياً»... وما يمكن أن يثار بهذا الصدد هو: هل أن الواقع ما كان يسمح لكل هؤلاء . باستثناء مُجدِّ الصدر الذي كان يخبئ مشروعه واحمد الحسيني البغدادي الذي كان لديه تنظيم سري يعمل ضد النظام . بأن يضعوا أنفسهم في موقع الذل تحت عنوان «التقية»، لو اخلصت النوايا فعلاً؟ وهل مبدأ «التقية» يبرر إذلال الأمة من خلال عملهم به الذي قلنا عنه إنه إذلال لا اذلال بعده ؟ إننا نعتقد انه إذا توقف الأمر على هذا الإذلال لهم وللأمة، وعلى خيارات أخرى كانت متاحة، فلا يمكن لعاقل أو متدين أن يرجح هذا الإذلال على خيار الهجرة خارج العراق، أو على خيار ترك «الحوزة» وجلسهم في بيوتهم، إذا ما كانوا لا يملكون جرأة الصدرين الأول والثاني وشجاعتهما... وإذا كانت الذريعة . السيمفونية . المعتادة التي تقال إزاء مثل هذا الكلام بأن أمر بقائهم يرتبط بـ «حفظ الكيان الحوزوي»... فأبي كيان هذا

الذي نحافظ عليه بالذل؟ وما فائدة «حوزة» ذليلة تنفذ إرادة السلطان و تساهم في قتل الناس الأبرياء؟ وما الذي تخسره الأمة من هكذا «حوزة ذليلة» تؤدي إلى إذلالها بالكامل؟ وأي منجز معرفي لهذه «الحوزة» يبرر ذبح الأمة وإذلالها؟ إنه لأمر غريب أن تدعو هذه «الحوزة» للجهاد «مكرهة» من قبل صدام حسين ضد الأميركيين... فيما هي تتخلف عن الجهاد، الذي خاضه الشهيدان الصدران الأول والثاني، وتوجا جهادها بالاستشهاد... وأنه لأمر غريب أن يكون الشعب العراقي ضحية «نخبه» الفكرية والثقافية والسياسية، التي لم توضح له الفرق بين هذين «الجهادين».. «الجهاد الإكراهي» تحت راية صدام حسين.. و«الجهاد الميداني» للصديرين.. وأنه لأمر غريب أن هذه «النخبة» تصالح بين هذين «الجهادين» لـ «حوزة» النجف، ولا تفصل بشكل واضح بين الصديرين ورموز العراق الجهادية الأخرى.. وبين «حوزة» النجف بزعامة «مرجعها» الأعلى."

اما عن قول الدكتور الخيون:

"وحسب هذا المنطق فلا بد أن يعذر البغدادي مَنْ حارب إيران إلى جانب الجيش العراقي كونه عدواناً خارجياً!"

فمن الواضح إن مرده هو عدم فهم السيد الخيون للإسلام على حقيقته، بوصفه علماني التوجه، حيث إن إيران (وفق ما يجتهد به السيد البغدادي) تبقى جزءاً من الوطن الاسلامي الكبير وليست من الدول الاجنبية الكافرة المستكبرة، هذا التوصيف لا ينطبق على ما قصده السيد البغدادي بعبارة (العدوان الخارجي) فالإقتال بين طرفين من المسلمين قد يكون (بغياً) ولكن لا يمكن توصيفه بعدوان خارجي لأنه يجري داخل جسد الأمة الواحدة، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَاهِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات . ٩

أما قول الخيون في صفحة ٢٧٣ من كتابه:

"وكبقية رجال الدين المسيسين يرى البغدادي وهو يخطب في مدينة الثورة حيث معقل الصديرين ان السياسة هي الدين والدين هو السياسة كل من يزعم ان الدين ليس له علاقة بالسياسة هو فاسق باجماع الائمة (ع) وعلماء الاسلام سنة وشيعة سواء بسواء وعلى طريقة ماكان يوصف به خطابات القادة ومنهم صدام حسين اخذ اتباع البغدادي وهم قلة يصفون خطابه بالتاريخي"

ولا نعلم كيف تسنى للدكتور رشيد الخيون معرفة (قلة) اتباع البغدادي، وما هو مقياس شعبية رجل الدين بالنسبة إليه حتى يعلق بتهكم على قولهم (بالتاريخ)

التاريخي)؟. فإذا كانوا أتباعه (قلة) كيف يفسر لنا الدكتور الخيون سبب حضور ذلك الخطاب حشداً يزيد عن مئتي ألف إنسان؟، وكيف تسنى له (أي السيد البغدادي) جمعهم؟. وهو (أطال الله عمره) الزاهد الذي لا يملك الأموال الطائلة التي يمكن أن يغريهم بها كما يفعل الكثير من المثقفين والسياسيين والمعممين ممن جاؤوا مع الإحتلال؟ والبغدادي لا يملك أيضاً السلطة التي تمكنه من إجبار هؤلاء البسطاء للإستماع إليه أو التفاعل العفوي معه، على نحو ما شاهدناه في التسجيلات الفيديوية التي بحوزتنا والموثقة نسخة عنها في الموقع الإلكتروني الرسمي الخاص بالسيد البغدادي.

وأخيراً وعندما صدرت مذكرة الاعتقال غير الرسمية في حق البغدادي بتاريخ ٢٧ كانون الاول ٢٠٠٥م، فكيف يفسر لنا الدكتور الخيون ردود الفعل الإستنكارية في الشارع العراقي بكافة أطرافه الدينية والمذهبية والقومية ناهيك عن نخبه السياسية والدينية والفكرية الوطنية وكذلك الأحزاب والمنظمات والتنظيمات والمنابر الإعلامية والفضائيات، وكذلك التظاهرات في الناصرية والكوت والحلة والكاظمية والانباء؟ وتكررت نفس ردود الأفعال تقريباً حين أقدمت قوات الإحتلال الأميركية وأذئابها على استهداف منزل آية الله العظمى المرجع السيد احمد الحسني البغدادي في النجف الاشرف المحتلة واعتقلت ولده البكر محمد مع ضيفيه فجر يوم الجمعة المصادف ٢٤ شوال ١٤٢٩هـ الموافق ٢٤ تشرين الاول ٢٠٠٨م. وتم ذلك عقب المحاضرة التي القاها الناطق الرسمي باسم سماحته تحت عنوان «مراجع واموال وبالارقام عن هدر المال الشيعي» الاسلامي.

ويقول السيد الخيون في الصفحة ٢٧٣:

"دعا البغدادي الى جبهة وطنية، الا انه يضعها تحت تسمية إسلامية مع انها تحوي في داخلها كفاراً وملحدين وفساقاً على حد عبارته قال: «يجب ان نتعاون مع أي جهة، مع أي فئة ومع أي حزب حتى لو كان فاسقاً بل حتى لو كان كافراً بل حتى لو كان ملحداً بمجرد ان يحاول هذا الحزب أو تلك الفئة التنسيق والتعاون معنا يجب علينا ان نقيم الجبهة الوطنية والإسلامية»، وتبدو دعوة انفتاح لا حدود لها اتت من رجل دين اجده مستلهما اخوان الصفا وخلان الوفا ومذهبهم الديني من اورمة مذهب البغدادي مع الاختلاف وهم القائلون في رسائلهم: (وبالجملة ينبغي لآخواننا ايدهم الله تعالى ان لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لأننا رأينا مذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعاً).

لكن كيف يمكن تكوين جبهة مع من وصفهم بتلك الاوصاف التي تخرج اصحابها من الاسلام والدين عامة وهو يريد لها جبهة ثم دولة اسلامية؟! الا إن لتلك القوى التي يدعوها البغدادي لمشاركة الجبهة الوطنية تجربتها مع آية الله الخميني وقد

اتى به مثالا في خطابه عندما تعاون في بداية الثورة مع الحزب الشيوعي الايراني والقوى الليبرالية واليسارية ثم انقلب عليها مستبدا! هل هو هذا النموذج ام دعوة الى الشراكة في القرار بعيدا عن الاصرار على تحقيق الاهداف تحت مبرر الغاية تبرر الوسيلة؟! والسيد البغدادي حسبما تقدم في سيرته انه قرأ كتاب ميكافيلي (الامير)!"

ونرد عليه بأن إفتراض السيد الخيون إن آية الله السيد احمد الحسني البغدادي يستلهم افكار (إخوان الصفا وخلان الوفا) ومذهبهم الديني، فنحن نرى إن هذا الفرض لا سند له و لا أساس علمياً فيه يمكننا البناء عليه، وهو لا يعدو أن يكون جزءاً من أسلوب (القولبة) الفكرية والإفتراضات التي تحكمها على ما يبدو خلفية السيد الخيون العقائدية في حكمه على ظواهر الأشياء وتفسيرها. اما قوله بأن السيد البغدادي قد قرأ كتاب (الأمير) لميكافيلي وهو دليل على إن السيد البغدادي قد يكون مؤمناً بأن (الغاية تبرر الوسيلة)، فنحن نعتقد أنه إستنتاج تافه لا يتفق مع سلوكيات السيد البغدادي ومنهجه على أرض الواقع، كما أن جعل قراءة كتاب (الأمير) تهمة لقارئه تذكرنا بتهم محاكم (التفتيش) في القرون الوسطى، وهو دعوة عامة وفاضحة للتجهيل من خلال الإيحاء و(النصح) بعدم قراءة الكتب لكي لا تصيبنا عدوى من نوع ما، فمن الواضح أن السيد الخيون لا يميز هنا بين قراءة الكتاب وبين التأثير بالأفكار، بل وينصب من نفسه وصياً على أفكارنا وقراءتنا.

وفي الصفحة ٢٧٤ من كتابه يقول السيد خيون

"بعد «حركة الاسلاميين الاحرار» التي ليس لها ذلك الفعل المؤثر وان وجدت فلا تتعدى الافراد في زمن المعارضة العراقية ضد النظام السابق".

ولا نريد أن نرد على ذلك، بل ننصح السيد الخيون بالعودة إلى مكتبه عادل رؤوف في كتابه الموسوم «العمل الاسلامي بين المرجعية والحزبية» في فصل بارز بعنوان «حركة الاسلاميين الاحرار».

أما ما كتبه الدكتور الخيون صفحة ٢٧٥ فنقتبس منه ما نصه:

"عندما سئل عن المقاومة وما حدث من ارهاب ضد عناصر الشرطة العراقية بعد سقوط النظام اجاب بما كان يجب به ابو مصعب الزرقاوي وقادة القاعدة: «من الناحية الشرعية يجوز قتلهم من جهة ولا يجوز قتلهم من جهة اخرى» يقتلون اذا تعاونوا مع الامريكان، وبصراحة لا يمكن التمييز اذا كانت الحكومة العراقية بكاملها تنسق سياسيا وعسكريا مع الامريكان كواقع حال"

أو قوله:

"وتراه وبتعال على الواقع والابتعاد عن الخطاب الهادئ البناء والسياسي الناقد يصف مجلس الحكم في مقابلة مع جريدة التيار الصدري «الحوزة الناطقة» التي أغلقها بول برمر لتشجيعها على العنف بالقول: «محباً يندس وراءه اللصوص والقتلة وكل الملوئين والمخادعين والمتسللين»

أو قوله:

"ويأتي البغدادي بمثال الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ت ٩٤هـ ٧١٢ ميلادية) ودعائه لاهل الثغور المعروف في الصحيفة السجادية وما تمناه للجيش الاموي من حفظ وانتصار على الرغم من ان هذا الجيش قتل اباه وعمومته وحارب جده علياً بن ابي طالب من قبل واخذ يسب ويشتم من على المنابر بظله حتى اتى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ ٧١٩ ميلادية) فالغى تلك السنة، وما يريده البغدادي في هذا المثال هو شرعنة التعاون مع البعثيين السابقين واتى ايضا باحاديث الرباط التي رويت عن الإمام جعفر الصادق وبقية الائمة الداعين فيها الى القتال مع الجيش (الذين عزلوا الإمام علي عن قيادة البشرية)"

فجميع هذه الإقتباسات لا تستحق الرد عليها على الرغم من إنها تدافع بشكل مبطن وماكر عن الإحتلال الأمريكي للعراق وعن أحد أسوأ إفرازاته المتمثل بـ (مجلس الحكم) سيء الصيت.

أما قول الخيون صفحة ٢٧٧:

"وقيل انه نال درجة الاجتهاد بتأييد من جده محمد الحسني البغدادي (ت ١٩٧٣) والشيخ علي الغروي (قتل ١٩٩٨)"

فهذا القول ليس فيه مغالطة ولا موضوعية فقط بل ينم عن حقد وتحامل شخصي مجهول السبب بالنسبة لنا، وإلا ما معنى عبارة (قيل)، فهل لدى السيد الخيون شك في فقه السيد البغدادي وعلمه ونيله درجة الاجتهاد؟. نقول إن هذا كلام مرسل لا قيمة علمية أو نقدية له، فما هي القيمة العلمية والفقهية لرأي الخيون في ميزان المذهب الجعفري كي نحتكم إليها في تقييم علم هذا (الفقيه) أو رأي ذلك (المجتهد)؟ وإذا كان هدف الخيون (نبلاً) ومقصده هو البحث عن الحقيقة مجردة ومنزهة عن الهوى، فهل نفهم أنَّ الدكتور الخيون كان قد بحث ومحص في سير وعلم واجتهاد كل علماء النجف والمذهب الجعفري في عموم العالم وتحديداً المعاصرون منهم على الأقل، وخلص إلى هذه النتيجة البائسة والتقييم المهلهل الذي لا يتفق معه الكثيرون ممن كتبوا عن السيد البغدادي وأشادوا بعلمه وجهاده، ومنهم كتاب ومفكرون وصحافيون عراقيون وعرب وأجانب معظمهم ليسوا على المذهب الجعفري وبعضهم ليسوا من المسلمين أصلاً!!!.

وفي الصفحة ٢٧٧ يقول الدكتور الخيون ما نصه:

"انصب الكلام على البغدادي الشخص لا البغدادي التنظيم، لان حقيقة الأمر هو تحرك شخص أكثر منه تحرك تنظيم أو حزب، فلو رفعت أسم البغدادي من الحركة لم يبق لها حضور، وهي مشاهة للعديد من الحركات الدينية أو القومية، وحتى اليسارية، تلك التي لا تتجاوز شخص مؤسسها أو متزعمها."

"مازال البغدادي صوتاً معارضاً، لكن ليس بالوزن المؤثر، الذي يتمكن به عن طريق العملية الانتخابية من كسب جمهور كذلك لا يمتلك ولا غيره تلك القدرة التي تعيد امجاد ثورة العشرين الى العراق، وبهذا لا يعدو نشاطه أكثر من النشاط الاعلامي."

ونرد عليه بالقول: من أين لكم بهذه القناعات؟ هل كنتم في الميدان في حينها؟ حتى حكمتم على حركته بأنها مجرد (تحرك شخص) أم كنتم في وقتها (وما تزالون) تجلسون في أبراجكم العاجية وتقيّمون وتحسون نبض الشارع السياسي في العراق، من خلال (التنظير) بجلوسكم وراء مكاتبكم وعلى مقاعدكم الوثيرة في دول الإغتراب وفنادق الخمسة نجوم؟.

رعد الجبوري
كاتب وسياسي مستقل
٢٠١٠/١/٢٠

(٣)

فتوى الحكيم «الغز المحين».. و«حماية من؟»..

يحاول الكيان الصهيوني السيطرة على الثرى الوطني الفلسطيني والعربي والإسلامي، وتصفية الأمة جسدياً، ونسف بنيتها التحتية على الصعد كافة.

فالمجازر الرهيبة التي مارسها الطاغوت الصهيوني في الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨، والمذابح التي أعقبتها بعد ذلك، ثم المذابح التي تعرض لها الشعب اللبناني لسنوات طوال.. كل هذه الممارسات تشير إلى أن المؤسسة العسكرية الصهيونية تنهض على استراتيجية موحدة بلا هوادة وبلا تراجع، فعلاقة الإرهاب والاستغلال والتصفية هي العلاقة الفريدة، التي مارسها المؤسسة العسكرية الصهيونية مع أمة القرآن المحيدة.

فالمنطلقات السياسية والجغرافية، التي تحرك الصهيونية لتحقيق بلا انقطاع بممارسة الترغيب والترهيب حيال الأمة مع حرصها التام أن يتم ذلك على أساس خطوة خطوة، وبصورة انفرادية مع قطر من الأقطار الإسلامية.. هي أخطر مؤامرة ظلت الأمة تدفع ثمنها على امتداد تاريخها.

هكذا تحرز استراتيجية ميزان القوى العام ليغدو لصالحها، وبخاصة أن قوى الاستكبار العالمي تقف إلى جانب مصالحها السياسية.

لا يمكن في حساباتنا الدقيقة أن المجازر الفلسطينية واللبنانية قد حدثت لمجرد صدفة طارئة، فهذا من رابع المستحيلات.

فكل ما حدث تحت مظلة مخطط صهيوني طاغوتي رهيب، فإذا احتل الطاغوت الصهيوني العراق (مثلاً) سيهدف بطبيعة الحال فيه، التصفية الجسدية الجماعية، بلا رحمة وبلا شرف، وهو سيحصل في أي قطر إسلامي آخر يمر بنفس الظروف.

كما سيكتمل مخططه الوحشي في طرد الشعب الفلسطيني من الضفة الغربية المحتلة، حتى تبقى المنطقة بأجمعها مفتوحة له حسبما يرام.

وستنطلق اليهودية التي تقدر بـ«خمسة وعشرين مليون» نسمة، الذين تحتفظ بهم المؤسسة العسكرية الصهيونية في الأقطار، التي يعيشون فيها فعلاً في أقطار أوروبا الاستكبارية، سينطلقون بالهجرة الجماعية فور ما تسنح لهم الفرصة الذهبية بالاستيطان في الأماكن، التي تم تشريد الأمة منها، ومعنى هذا أنه إذا أستمتر التعامل مع مخطط الطاغوت الصهيوني، كما هو حاصل بالفعل، أي دون صحوة، ودون

تحرك، وتنظيم الأمة، والاعتماد على النفس، والايمان بعدالة القضية، والتفافها حول شعاراتها الإسلامية الميدانية الداعية للتحرير والعودة.. فذلك يعني أن الأمة كلها على أبواب التداعي والانحزام الداخلي، والسقوط الحتمي.. فالخطط الذي يستهدف مسيرة الأمة فولاذي لا يتزحزح، ينبغي بلا ريب أن يقابله بالمثل موقف إسلامي من التصدي والصمود، واليقظة والطموح نفسه.. ذلك أن تحدي مجابهة خطط استكبارية مدروسة كالخطة التي يروجها الطاغوت من قبيل، أن هناك فتوى فقهية لمرجع ديني مشهور.. جاء في فتواه بهدف التطوع في منظمة فلسطينية أنه يرى أن تكون القيادة حكيمة، وأن يكون الضرر أقل على المسلمين فحينئذ يجب التطوع!! معنى هذا أن اليهود إذا كانوا أكثر قوة ومنعة، والأمة لم تقدر على ذلك، ويؤدي إلى ضررها، فلا يصح مقاتلتهم!!

وأي تخاذل ومهانة للعقل الإسلامي، والتصور الإسلامي، والفكر الإسلامي؟!..

وأي احباط للجهد الدفاعي بمفهومه الفقهي الشامل لطرد الاستكبار العالمي، وربيته «إسرائيل» عن المنطقة؟!..» عندما يحكم الطاغوت، أحمد الحسني البغدادي، الحلقة الأولى، الطبعة الثانية، تموز ٢٠٠٨م.

(٤)

تكرار العوكة وتكريس الفشل السيستاني أنموذجاً*

الكتاب الذي بين يديّ مذكرات احمد الحسني البغدادي في مواجهة الدين الآخر نقد .. مواقف .. توقعات.

هذا الكتاب لمرجع من مراجع النجف المعاصرين الأحياء، من المجموعة المغضوب عليها، هنالك مجموعات من المراجع في النجف على انحاء، مجموعة من مجموعات المراجع في النجف، المجموعة المغضوب عليها.

من الذي يغضب عليها؟ السيستاني.

المجموعة التي يغضب عليها السيستاني لها احكامها وشأنها.

أحمد الحسني البغدادي هو من هذه المجموعة، من المجموعة المغضوب عليها.

رجاءً عرضوا لنا صورة السيد احمد الحسني البغدادي، هذه صورة السيد احمد الحسني البغدادي. الصورة الثانية وهذه صورة ثانية. الصورة الثالثة: وهذه صورة ثالثة.

وأما كتابه الذي على الطاولة الذي بين يديّ (مثلما قرأت عنوانه قبل قليل) هو الطبعة الثانية ٢٠١١ ميلادي رجاءً عرضوا لنا صورة الكتاب. هذا هو كتاب مذكرات احمد الحسني البغدادي.

إذن، المؤلف حي يرزق، وما هو بشخص نكرة مجهول، المؤلف حي يرزق في النجف، شخصية حوزوية معروفة، هو حفيد مرجع معروف، السيد محمد الحسني البغدادي الذي كان على خلاف مع محسن الحكيم ولهما حكاية حكايتهما طويلة والخلافات بين العوائل العلمية من الميراث.. تتوارث الحكاية في النجف، معقدة معقدة.. معقدة.

* حديث سماحة الأخ الشيخ عبد الحليم الغزي (صوت وصورة) في شاشة القمر الفضائية حول الزعم الشائع أنَّ السيد السيستاني رفض التصدي للمرجعية الدينية وإنما فرضت عليه قهراً (الناشر).

كما قلت لكم في الحلقة الماضية، في النجف زوايا، وفي الزوايا تكايا، وفي التكايا خبايا، وفي الخبايا خفايا، وفي الخفايا طوايا، وفي الطوايا منا ضحكوا علينا هوايه!.. هذا هو واقع النجف قديماً، وحديثاً، والويل كل الويل فيما سيأتي سيخرجون لقتال إمام زماننا في وقت ظهوره.

اذن، المؤلف موجود في النجف، والكتاب أيضاً موجود في النجف، وهذا الكتاب كما قرأت عليكم محتوم بختم السيد احمد الحسني البغدادي، فالمؤلف حي يرزق في النجف والكتاب مطبوع في النجف [في دمشق]، وهذه الطبعة الثانية، 2011 ميلادي.

قطعاً قبل هذا التاريخ فالمعلومات التي تذكر في هذا الكتاب، لو لم تكن صحيحة ودقيقة لكذبوها هم يكذبون أبسط الأشياء، لكن الحقائق لا يستطيعون تكذيبها، لأن ذلك سيعود عليهم بالفشل والفضيحة.

في صفحة ١١٧، وتحت عنوان: «تكرار العودة وتكريس الفشل».

قبل أن أقرأ عليكم اذهب لكم الى فاصل...

إن المؤلف يقول في مذكراته:

«وفي يوم من الأيام توجهت لإمامة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف (متى هذا الكلام، بعد وفاة الخوئي، وبعد ان صار السيستاني مرجعاً في بدايات مرجعيته)، فرأيت السيد السيستاني يقف قرب باب الحرم العلوي المطهر متوجهاً بكليته للسلام على ضريح الإمام علي واذا بنجله الأكبر (من هو؟ محمد رضا) يهمس في اذنه، فالتفت اليّ رافعاً يديه، يعانقني بحرارة، ويخاطبني بكلام إنشائي جيد:

«أنا برسم الخدمة». (السيستاني يقول لصاحب المذكرات انا برسم الخدمة!..).

ثم ضرب لي المثل العراقي الدارج أنت فصل وأنا أخيط!.. (ومعناه: أطلب ما تريد في سبيل ترويض مرجعيتي).

فقلت له بلا تردد صدقني يا أبا محمد رضا كما صرحت لك بالأمس إن تكن على سيرة السلف الصالح وعلى نهج استاذنا الإمام القائد (يشير الى السيد الخميني) ترآني مسانداً لك ان شاء الله تعالى». (مراد المتكلم بالأمس يبدو لي من خلال تسلسل المذكرات يعني فيما مضى من أيام قريبة بالامس، ليس على نحو الحقيقة كما يبدو لي من خلال سياق الكلام وانما فيما مر من ايام قبل فترة وجيزة لأن كان قد التقاه في مجلس فاتحة عبد الاعلى السبزواري كما قلت لكم انها الفترة الاولى من مرجعية السيستاني).

إنَّ صاحب المذكرات في صفحة ١٠٣، وتحت عنوان: «أهداف مشتركة بين السيستاني والاميركان».

وفي العنوان الأول الفرعي:

أولاً: الكسب المستحيل... بحسب ما جاء في صفحة ١٠٣:

في صيف ١٩٩٢ كنت اجلس في مسجد الخضراء في النجف الاشرف، في الفاتحة المقامة على روح المرحوم السيد عبد الأعلى السبزواري، في حين لا يزال السيد علي السيستاني، يجلس في محرابه وبعد إنتهائه من أداء فريضة صلاة العشاء.

نفض لقراءة الفاتحة متوجهاً اليّ للجلوس الى جنبي حصراً. اعتقد ان التاريخ ١٩٩٢، ليس دقيقاً في صيف ١٩٩٢ بالنتيجة.

جاء في المذكرات صفحة ١٠٣: كنت أجلس في مسجد الخضراء في النجف الاشرف في الفاتحة المقامة على روح المرحوم السيد عبد الأعلى السبزواري في حين لا يزال السيد علي السيستاني يجلس في محرابه وبعد إنتهائه من أداء فريضة صلاة العشاء، نفض لقراءة الفاتحة متوجهاً اليّ، للجلوس الى جنبي حصراً ولم يستجب لثلة من المعممين حاولوا قدر طاقتهم اجتذابه، للجلوس بينهم، سلم عليّ وجلس الى يساري يسأل عن احوالي. (الحكاية طويلة، الى ان يقول صاحب المذكرات):

خاطبني بمراة، يا أبا مُجَّد ستراني بعون الله ومدده، أني اختلف إختلافاً كلياً عن نُهج مرجعية هذا (من هو هذا؟ اشار الى قبر السيد الخوئي، لأنَّ السيد الخوئي مدفوناً في مسجد الخضراء)، أحقق كل آمالك التي تطمح الى تحقيقها، بل ستراني أحقق، طموحات الشيعة في اصقاع العالم. فبادرته بحذر:

إن يكن نُهجك على سيرة السلف الصالح لا سيما نُهج أستاذنا الإمام الخميني رضوان الله عليه، ستراني أسناد مشروعك المستقبلي المنشود».

الى بقية الحكاية... والحكاية طويلة، فيها تفاصيل ما أشرت اليها، ولها نهاية ايضاً، لكنني ذهبت الى موطن الحاجة فقط.

من أنَّ الرجل يتشبث تشبثاً شديداً بهذا المنصب الذي وصل اليه عن طريق مُجَّد تقي الخوئي وعبد المجيد الخوئي، وها هو يحاول أن يتمسك بكل شخصية يعتقد هو أنَّه سينتفع من خلالها في تثبيت رئاسته وسلطته الدينية ومرجعيتها التي تعلق بها، وتعلقت به.

الكلام واضح لا يحتاج الى كثير من الشرح، أو الى كثير من الذكاء، الحكاية من أولها الى آخرها تعلقاً وارتباطاً بالرئاسة.

وهذا هو الذي دفع مرجعية السيستاني الى ان تلقي بنفسها في الحضي الاميركي
لأجل ان تحافظ على هذه الرئاسة، كي تستمر الى الاولاد والاحفاد!..

هكذا هم يتصورون، وهكذا هم يعتقدون، وما بين المغرب والعشاء، يفعل الله ما
يشاء، الأمور تتبدل وتتغير هذه هي الدنيا، وهذه هي الحياة.

الإسلاموية الشيعية وسؤال التوطين

يوجد أكثر من مرجع ارتبط اسمه على نحو من الأنحاء بالنظام السياسي العراقي في عهد صدام حسين، ولكن هذا الارتباط لم تؤكد الدراسات، بل إن بعضها قدّمته في إطار سياسة التشويه التي يُقصد بها الإساءة الى الحوزة. وما قدّمه عباس كاظم من نتائج استصفافها من دراسة بعض الوثائق الأرشيفية التي كانت تحت تصرف القيادة القطرية لحزب البعث العراقي يُبيّن، على سبيل المثال، أنّ المرجعين أبا القاسم الخوئي (١٨٩٩ - ١٩٩٢م) ومحمّد ومحمّد صادق الصدر (١٩٤٣ - ١٩٩٩م) لم يكونا، كما أُشيع عنهما، على وفاق مع السلطة، وأنّ إجراءات أُتخذت ضدهما لتقليل تأثيرهما في جمهور الشيعة (١٥٢). ويذكر عبّاس كاظم أنّ الوثائق أثبتت استعصاء تطويع الخوئي، وكشفت عن قرار لجنة متابعة يرأسها عزّة الدوري مضمونه تشديد مراقبة النشاط الحوزوي وإضعاف سلطانه على الناس والبحث عن طريقة تنقل الحوزة من زعامة ذات انتماء فارسيّ الى زعامة عربية (١٥٣). كما أثبتت أنّ الصدر لم يكن متواطئاً مع حزب البعث او منقذاً اطروحاته (١٥٤).

واستوقفنا في هذا المجال رسالتان متبادلتان بين الرئيس صدام حسين والمرجع محمد باقر الصدر يعود تاريخهما على الأرجح الى الأيام الأولى من شهر نيسان/ أبريل ١٩٨٠م: يعرض الأول دخول الثاني تحت باب الطاعة والولاء مقابل الاحرام والتبجيل، ويرد الثاني بالسخرية والتهكم والتحدي (١٥٥)، ولكن تصدي بعض الدارسين الى هاتين الوثيقتين بالانكار والتكذيب بناء على عدد من المعطيات والفرضيات جعلنا نستنكف من اتخاذها مدخلاً الى «دراسة الحالة» التي نحن بصدددها.

Abbas Kadhim, The Hawza Under Siege: A Study in (١٥٢) the ba,th PartyArchive, Institute for Iraqi Studies, Boston, 2003.

.Ibid, pp. 16-35 (١٥٣)

.Ibid, pp. 36-51 (١٥٤)

(١٥٥) انظر نص الرسالتين والطعن في حقيقتهم، عبد سليمان، علي، «حقيقة رسالة آية

الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر الى صدام»:

(<http://burathanews.com/news/155751.html>)

ولما كان المرجع احمد الحسني البغدادي هو من كشف بنفسه عن صلات تربطه بالسلطة [على حد تعبيراته. راجع لتصحيح ما دار من حوار في اصل ما ورد في كتابه: السلطة والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق، و/راجع موقعه الرسمي زاوية مؤلفات: www.alsaed-albaghdadi.com] فضلنا الانطلاق مما جرى بينهما حاملين ما عرضه في هذا الشأن مجمل الوثيقة التاريخية التي توفر ارضية مناسبة لرصد مساعي السلطة بقصد استيعاب الحوزة و«تعريبها» أو «عرقنتها». يظفر المتأمل في التفاصيل، التي اساقها البغدادي في كتابه: (السلطة والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق) (١٥٦)، باتجاه الدولة نحو «تعريب» الحوزة، و «عرقنتها»، او على الاقل عدم حصر مصدر القرار فيها في مرجع واحد. ينقل البغدادي ان احدهم زاره في شتاء ١٩٩٢م واخبره بما يأتي: «جئتكم مبعوثاً شخصياً من قبل الرئيس القائد صدام حسين يطرح عليكم التصدي للمرجعية الدينية العربية حتى لا تنتقل الى ايران بعد وفاة الشيخ الخوئي» (١٥٧).

من ينظر في السبب، الذي دفع السلطة الى هذا الاختيار يقف على حضور الهاجس القومي عندها، وتخوفها من ان تكون الحوزة بزعامتها غير العربية خطراً يترصص بها «نحن نريد مراكز قوى في المرجعية، وهي لصالح العراق وسيادته، حتى لا تنحصر بواحد، ويكون بالتالي خطراً على امننا القومي العربي، عندما تثني له الوسادة» (١٥٨). ولم ينكر البغدادي في رده حيازته شرف الانتماء العربي وان عبر عنه في سياق عدم ابداء الرغبة في قبول هذا التكليف في ظل وجود منافسين، هما المرجعان: حسين بحر العلوم ومُجد الصدر: «اما انا فواضح بوصفي من اسرة عربية ذات نزعة وطنية اسلامية عربية مستقلة...» (١٥٩). وبدا الحوار بين الطرفين قائماً على الترغيب والترهيب: «يا ابا مُجد، كيف ترد رغبة السيد القائد... هذا الرفض ليس لصالحكم» (١٦٠).

وتكررت اللقاءات بين السلطة والبغدادي. فمن بين ما سجله ايضاً مقطع من حوار دار في صيف ١٩٩٤م، بين صدام حسين و احد اعوانه [د. باسم آل السيد سلمان عميد كُلية القائد صدام للبنات] جاء فيه: «هل من جديد في النجف؟ فقلت له، يا سيادة الرئيس، الجديد الذي نعتز به هو، هناك علماء عرب اقحاح تتفجر العروبة في افكارهم، وبخاصة سماحة السيد احمد الحسني البغدادي» (١٦١). ويضيف: «فبادرني

(١٥٦) الحسني البغدادي، احمد، السلطة والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق، المركز العراقي للإعلام والدراسات، دمشق، ٢٠٠٢م..
(١٥٧) المرجع نفسه، ص: ٢٣.
(١٥٨) المرجع نفسه، ص: ٢٤.
(١٥٩) المرجع نفسه، ص: ٢٤.
(١٦٠) المرجع نفسه، ص: ٢٤.
(١٦١) المرجع نفسه، ص: ٢٨.

السيد الرئيس مبتسماً: «بلغ تحياتي لسماحة الشيخ» (١٦٢). انها تحية سياسية بامتياز تجر خلفها ما تجر من مطالب فقد اخطر رسول صدام حسين البغدادي بما يأتي: «انت تعلم كل العلم ان العراق يعيش وضعاً استثنائياً وان المسار الخاص والعام ينظر لمقامكم كعنصر عربي التوجه اسلامي الحركة» (١٦٣). ولا ريب ما ترتب على التفريط الهوهوي من تبعات منها ضرورة ان يتحمل الحوزوي العربي امر المرجعية اسناداً للسلطة والوطن.

ما يمكن الخروج من مثل هذه اللقاءات هو أن السلطة العراقية كانت تدرك ادراكاً جيداً الأذى الذي يمكن ان يلحقها في ظل الحصار المطبق والتهديد بالاحتلال لو انها زكت لمقام المرجعية عالماً من الحوزة له ارتباطات بمصادر الضغط الخارجي عليها (وخاصة ايران). وهذا يلمس بوضوح في جواب قديم رد به صدام حسين على من استفسره وقد توفي المرجع الاعلى محسن الحكيم (١٩٧٠م) عن سبب اعتراضه على تزكية أحد رجلين للمنصب الشاغر: الخميني الذي كان حينها مقيماً في العراق، أو محمد الحسيني البغدادي (الجد). أما الخميني فعلى الرغم مما وفرته له الدولة من حماية، فانه يعمل على «إقامة الدولة الدينية في ايران، وهي خطر علينا وعلى الأمن القومي العربي بشكل عام» (١٦٤)، واما البغدادي (الجد) ف«متعصب في تأييد ومساندة طقوس الشعائر الحسينية. وتجمعات هذه المراسيم ليست لصالحنا» (١٦٥)، وقدرت السلطة السياسية أن أفضل من يشغل هذا المركز الخطير الامام الخوئي. والافضلية في منطق السلطة ذات معيار خاص. إن الخوئي صالحٌ لهذا المنصب؛ لأن فيه مميزات تخدم السلطة في إطار «لعبة» التوازنات الاقليمية، فصلاحه إذاً ليس آتياً من فضائل فيه، وإنما من «عيوب لا يمكن أن يتحرك من خلالها ضد الحزب والثورة، منها أنه تركي لا فارسي... يمكن تحجيمه في أي وقت إذا تحرك ضدنا. والشاه لا يتحمس له ولا يدخل معنا في صراعات جانبية على حساب مصالحه في المنطقة» (١٦٦).

ويحسن التذكير في هذا المقام بأن هذه الحسابات، التي ارتأتها السلطة لتأمين استقرارها، كانت في السبعينيات من القرن العشرين، يوم كانت الدولة العراقية باسطة سلطتها في قوة. وهي بذلك لا تحتاج الا لمرجعية ضعيفة الجانب. لكن الحال، الذي ينقل أحمد الحسيني البغدادي وقائعه هو غير الحال آنذاك. فالدولة ضعيفة والسلطة مهددة بالانحيار. وهي، وعلى عكس السابق، في حاجة ماسة الى مرجعية قوية تُعينها على مصائبها. ولا تكون المرجعية قوية الا اذا ما كانت عروبية الهوى. ومن هنا كان

(١٦٢) المرجع نفسه، ص: ٢٨.

(١٦٣) المرجع نفسه، ص: ٢٩.

(١٦٤) المرجع نفسه، ص: ١١.

(١٦٥) المرجع نفسه، ص: ١٠.

(١٦٦) المرجع نفسه، ص: ١٠.

الاختبار قد وقع على البغدادي (الابن) [الحفيد] هذه المرة في ظلّ ما استجدّ من الأمور.

ولعل البغدادي كان سيقبل هذه التزكية ليملاً هذا المنصب الخطير، وهو الذي ما فتى يلجّ في ما يكتب على الهزال الذي أصاب الحوزة النجفية، وعلى فساد بطانتها وانصرافها الى غير ما يُتوقّع منها، وخاصّة أن بعوث السلطة اليه لم يترك صفة حسنة إلا جاء بها، فإذا الشيخ أمام إغراء جارف. كان يمكن أن يقبل العرض السخيّ، ولعلّ شيئاً فيه مال به الى المنصب فيعيد المرجعية الى المسار الذي يراه صحيحاً. لكننا وجدناه يستدبر الإغراء لسببين:

انخراطه في العمل السياسي الحزبيّ المعارض والقائم على أسس عقائديّة ذات منشأ شيعيّ من جهة، وبقينه أن حزب البعث الحاكم لا يريد من تقديمه على غيره من العلماء إلا صوتاً حوزوياً قوياً ينتصر به على أعداء الداخل والخارج، وهم الذين بدؤوا يجمعون أمرهم للانقضاض عليه من جهة ثانية.

يستطيع القارئ في ضوء ما توافر من معطيات أن يلتقط ممّا كتب البغداديّ ما يشبه إحساسه بالمرارة. فهو من ناحية يرى نفسه أفضل من غيره لتحمل مسؤوليّة المرجعيّة بعد رحيل الخوئيّ وتحليص الحوزة من الروابط التي تشدّها الى غير وطنها وذلك بإكسابها اللون العروبيّ الاسلاميّ الذي عُرِفَ به. وها هي الفرصة التي لعله أحلم بها النفس طويلاً بجيئه منقاداً. ولكنه من ناحية أخرى يمنع النفس من أن تنقاد الى ما تشتهي. وربّما تصوّرنا، في سياق هذا الصراع الداخليّ، أن البغداديّ ودّ لو كانت الدعوة التي تلقّاها صادقةً.

ولا ندري على وجه اليقين لم استحضّرنا ونحن نقلّب مضامين الحوار الذي دار بين البغداديّ وصدّام حسين (خلال الوسطاء) ذاك الذي كان بين الإمام الكرّي (١٤٦٥ - ١٥٣٣م) والشاه طهماسب (١٥١٤ - ١٥٧٦م). لقد كان كلّ طرف في حاجة الى الطرف الآخر، فرجّل الدولة لا يستقرّ مطمئناً على كرسيّ الحكم في مجتمعات متديّنة إلا بشهادة اعتراف له بالأهلية من رجل الدين. ورجل الدين الذي يحدّثه مذهبه بأنّ الفقيه وحده من يقوم مقام الإمام المعصوم يرى في اقترابه من الحاكم أنّه قطع شوطاً من الرحلة الى ما يطلب. والتنازل المتبادل عن قسم من الصلاحيات الذي قام به الكرّيّ وطهماسب كان ضرورياً سياسياً وفكرياً لإقامة أركان الدولة الفتية من ناحية وتطوير الفقيه الاجتهاديّ الإماميّ من ناحية ثانية.

لكننا وقفنا على فرق جوهري بيت التجربة الصفويّة - الكرّيّة من جهة، والتجربة العراقيّة المعاصرة (صدّام - البغداديّ) من جهة ثانية. فالصفويّون أعلنوا المذهب الاماميّ الاثنيّ عشريّ يبارك مسعاها أولاً، وينتهر الفرصة فيفتكّ من الحاكم مُقايضةً ووظائف سلطانية تُشعره بأنّه غير بعيد عن موقع الإمام ثانياً أمّا الدولة العراقيّة

المعاصرة فكانت مدنيّة علمانيّة على نحو من الأنحاء. وكانت تصطنع لنفسها العقيدة البعثيّة العروبيّة. وكان النسيج المذهبيّ في البلاد متعدّد الألوان. وكثيراً ما كان التضيق على النشاط الدينيّ عاقبة والحوزويّ منه خاصّة سمة العلاقة بين الدولة والأطراف المعنيّة بذاك النشاط. وعلى أساس من ذلك لم يكن سعيها الى تركية مرجع على حساب آخر داخليّاً في إطار انتصارها العقديّ لاتجاه مذهبيّ معيّن، أمّا من حيث المبدأ ضدّ اقحام الدين في الحياة العامّة.

الإسلاموية الشيعية
السياق والأسس والخصائص
علي الصالح مولى
إشراف نادر الحمّامي
ط: الاولى، ٢٠١٠م
مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، المملكة المغربية
ص: ١٦٧ وما بعدها



الإمام محمد الحسني البغدادي يأمّ المصلين في صحن الإمام علي بالنجف



السيد الحسني البغدادي مع ثلة من رجال الحوزة الدينية في النجف الأشرف



الإمامان الحسيني البغدادي وروح الله الخميني



الحسني البغدادي مع الرئيس عبد السلام محمد عارف



الحسني البغدادي مع عبد الرزاق محي الدين



جماهير النجف الاشرف تودع الإمام المجاهد عند ذهابه الى حج بيت الله الحرام



الحسني البغدادي مع جعفر عبد الحسين شرف الدين



الحسني البغدادي مع الشيخ موسى الجواهري ومتصرف (محافظة)
كربلاء جابر حسن حداد



الحسني البغدادي مع محمد علي كمونة ومحمد رضا الحساني وقائد
الفرقة الأولى خليل سعيد وسالم عبد الرزاق محافظ كربلاء ومدير الشرطة



الحسني البغدادي مع خير الله طلفاح وعبد الحسين الرفيعي وشبيب المالكي
ومدير شرطة النجف وأحد الصحفيين



الحسني البغدادي مع العقيد عبد الصاحب القرغولي ومحمد رضا الحساني
ومدير الشرطة العام



الحسني البغدادي مع محافظ كربلاء شبيب المالكي



الحسني البغدادي مع طلال سلمان وشبيب المالكي والسيد محمد الحلي



الحسني البغدادي مع مجموعة من علماء السنّة اللبنانيين



الحسني البغدادي مع رئيس الوزراء الأسبق محمد فاضل الجمالي
ومحمد علي كمّونة - 1956



التقطت هذه الصورة ويبدو من اليمين الشهيد الشيخ عبد الجبار الاعظمي والامام البغدادي والاخ احمد الجزائري عضو المكتب السياسي للجبهة القومية لتحرير عريستان والسيد الشهيد ابراهيم احمد الفاضلي رئيس جمعية التوجيه الديني في النجف الاشرف.



التقطت هذه الصورة عام ١٢٨٢ هـ ترى من جهة اليمين السيد احمد الخونساري المرجع الديني في إيران والسيد الإمام المجاهد محمد الحسيني البغدادي وثلة من اساتذة الحوزة النجفية



السيد الحسيني البغدادي مع السيد علي نقي الحيدري



السيد الحسيني البغدادي مع د. موسى الموسوي حفيد السيد ابو الحسن الاصفهاني



الحسيني البغدادي مع الشيخ أحمد محمد كاظم الاخوند الخراساني

وجوب النهضة

رؤية تأسيسية استباقية حول الجهاد الدفاعي

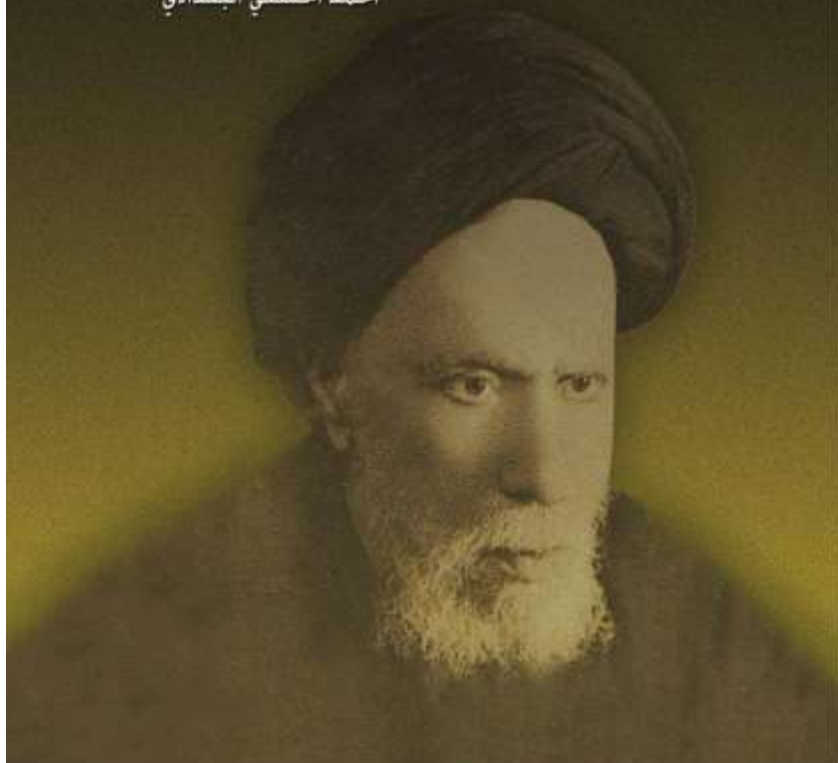
لسماحة الامام المجاهد

محمد الحسني البغدادي

١٢٩٨ هـ - ١٣٩٢ هـ

تحقيقات وتعليقات وترتيبات فصوله

أحمد الحسيني البغدادي





الإمام المؤسس الخميني وخلفه السيد كاظم نجل الإمام المجاهد البغدادي



السيد كاظم الحسيني البغدادي نجل البغدادي الكبير مع الملك حسين والرئيس
عبد الرحمن محمد عارف



أخذت هذه الصورة لسماحة أحمد الحسني البغدادي في أيام طفولته في
أواخر أربعينيات القرن الماضي.



أخذت هذه الصورة شتاء ١٩٦٣م ويبدو فيها سماحة الامام المجاهد
السيد البغدادي وإلى جنبه حفيده أحمد الحسني البغدادي.



الحسني البغدادي ونجله السيد كاظم وحفيده أحمد



أخذت هذه الصورة في سبعينيات القرن الماضي، ويبدو فيها من اليمين سماحة السيد البغدادي والشهيد محمد علي نصار القيادي البارز في منظمة الشباب المسلم في العراق.



التقطت هذه الصورة في بداية سبعينيات القرن الماضي وهو يؤدي صلاة المغرب والعشاء في الصحن الحيدري الشريف.



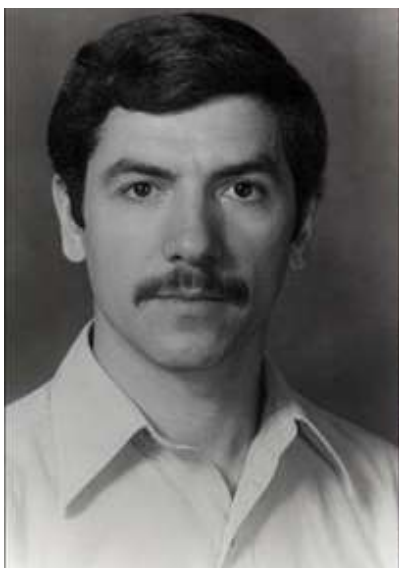
أخذت هذه الصورة صيف ١٩٧٨م في مصيف شقلاوة في شمال العراق



اخذت هذه الصورة في ثمانينات القرن الماضي ويبدو من جهة اليمين السيد علي والسيد احمد الحسني البغدادي والسيد صادق نجل سماحة السيد مهدي شقيق الامام السيد البغدادي والسيد حيدر الحسني البغدادي.



اخذت هذه الصورة في ثمانينات القرن الماضي.



الشهيد صادق تقي الحسيني البغدادي



الشهيد فيصل كاظم الحسيني البغدادي



الشهيد حسنين
أحمد الحسيني البغدادي



اخذت هذه الصورة في ايام النضال السري في دمشق عام ١٩٩٩م ويبدو من جهة اليمين فارس حسين ابو صبيح، وطلال بلال، وعصام جواد الياسري، واحمد الحسني البغدادي، ومسلم ابن الشهيد فاخر اليعقوبي، وعلي جمعة اليعقوبي.



لحظة اعلان نبأ استشهاده السيد محمد الصدر رضوان الله عليه اقامت الجماهير العراقية الغاضبة تشيعاً رمزياً في ضاحية دمشق والقيت الكلمات التابينية في باحة الصحن الزينبي الشريف.



أخذت هذه اللقطة في دمشق في أيام النضال السري عام ١٩٩٨م ويبدو من جهة اليمين السيد أحمد الحسني البغدادي ومحمد اخلاقي مسؤول مكتب حزب الوحدة الافغاني في دمشق ويتوسطهم نوري كامل المالكي أبو اسراء (أصبح رئيس مجلس الوزراء في حكومة الاحتلال الرابعة عام ٢٠٠٦م).



أخذت هذه الصورة في أيام النضال السري في دمشق ١٩٩٩م ويبدو من جهة اليمين أحمد الحسني البغدادي، ومحمد مهدي الخالصي، وعامر الكفيسي، وجواد الخالصي.



التقطت هذه الصورة في مساء يوم الاربعاء ٢٨/٥/٢٠٠٣م، وهو يؤدي صلاة المغرب والعشاء في الصحن الحيدري الشريف بعد غياب دام اكثر من خمسة سنوات خارج وطنه.



استقبال جماهيري في لحظة دخوله الى مدينة الصدر عام ٢٠٠٣م



خطاب تاريخي على جماهير مدينة الصدر بمناسبة ميلاد الامام
الحسن (ع) ١٥ من رمضان المبارك ١٤٢٤هـ - ٩ تشرين الثاني
٢٠٠٣م.





بعد انتهاء خطاب سماحة آية الله السيد البغدادي على جماهير مدينة الصدر، اقام اداء فريضة صلاة المغرب والعشاء في جامع المحسن.



الفقيه المرجع أحمد الحسني البغدادي مع الدكتور الداعية أحمد الكبيسي



ويبدو في الصورة من جهة اليمين الشيخ جواد الخالصي والشيخ صديق عبد العزيز حلبجة، ويتوسطهم السيد احمد الحسني البغدادي.



اخذت هذه الصورة في الندوة الحوارية الثانية المنعقدة في جامع ام القرى بتاريخ ٢ كانون الثاني ٢٠٠٤م. ويظهر من اليمين الشيخ السوداني، والشيخ جواد الخالصي، والسيد احمد الحسني البغدادي، والشيخ أحمد حسن الطه.



أخذت هذه الصورة في الندوة الحوارية الثانية المنعقدة في جامع ام القرى بتاريخ ٢ كانون الثاني ٢٠٠٤م. ويظهر فيها من اليمين الاخ عبد الستار السامرائي، والشيخ جواد الخالصي، والسيد احمد الحسني البغدادي، والشيخ حارث الضاري.



لقاء السيد الرئيس بشار الاسد مع المرجع السيد احمد الحسني البغدادي عام ٢٠٠٤م.



في عام ٢٠٠٤م وفد المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني في بيروت، من جهة اليمين الدكتور عبد الرزاق الهيتي عن الحركة الوطنية الموحدة، ومحمد بشار الفيصلي عضو هيئة علماء المسلمين، وسماحة الفقيه المرجع احمد الحسني البغدادي ورشيد الصلح رئيس وزراء لبنان الاسبق والشيخ جواد الخالصي ممثل الحركة الاسلامية في العراق، والاستاذ عصام الجبوري امين عام حزب الاصلاح الديمقراطي، والاستاذ عبد الجليل المهدي امين سر اللجنة العليا لحقوق الانسان في العراق.



أحمد الحسني البغدادي مع عادل رؤوف وكمال شاتيلا



احمد الحسني البغدادي يلقي خطاباً استثنائياً مرتجلاً على الحاضرين أثناء
إنعقاد المؤتمر القومي العربي السابع عشر في الجزائر عام ٢٠٠٥م



احمد الحسني البغدادي مع السيد مقتدى الصدر



الاستاذ محمد ساجد عمدة الدار البيضاء يلقي كلمة ترحيبية في حفل عشاء كبرى على شرف السادة المشاركين في المؤتمر القومي العربي السابع عشر عام ٢٠٠٦م ويبدو من جهة اليمين موسى ابو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وسليم الحص رئيس الوزراء اللبناني الاسبق، وسماحة الفقيه المرجع السيد احمد الحسني البغدادي، واحمد عبيدات رئيس وزراء الاردن سابقا، وعمدة الدار البيضاء محمد ساجد، و الشيخ د. حارث الضاري الامين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق، وعبد الحميد مهري الامين العام للمؤتمر القومي العربي الاسبق، والامين العام لجهة التحرير الوطني الجزائري الاسبق، والمجاهد المغربي الكبير محمد سعيد أيت إيد، والاستاذ معن بشور الامين العام للمؤتمر القومي العربي الاسبق.



أخذت هذه الصورة أثناء انعقاد المؤتمر القومي العربي السابع عشر في الدار البيضاء في المغرب عام ٢٠٠٦م ويبدو من اليمين أ. عبد العزيز السيد الأمين العام لمؤتمر الأحزاب العربية، و الشيخ د. حارث الضاري الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق، و د. خير الدين حسيب الأمين العام للمؤتمر القومي العربي، و د. سليم الحص رئيس الوزراء اللبناني الأسبق، و سماحة الفقيه المرجع السيد أحمد الحسني البغدادي، و الأستاذ معن بشور الأمين العام للمؤتمر القومي العربي الأسبق، و اللواء طلعت مسلم المنسق العام للمؤتمر القومي العربي.



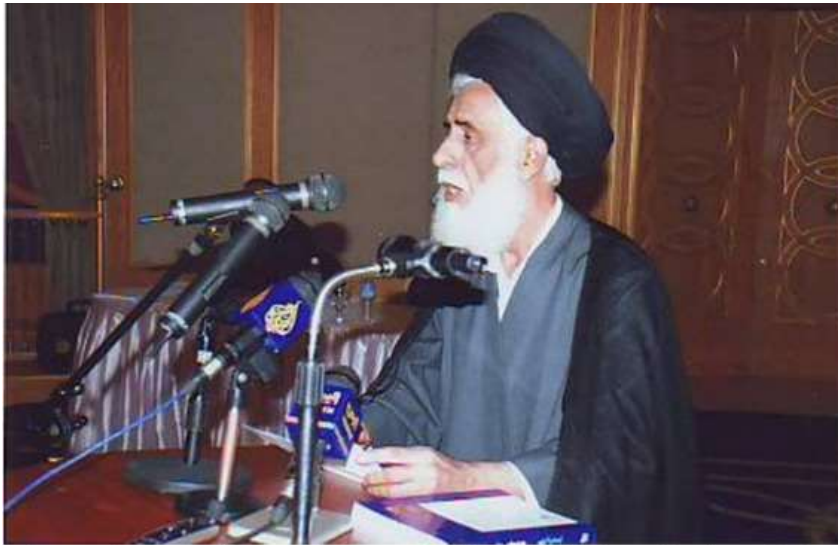
أخذت هذه الصورة أثناء انعقاد المؤتمر القومي العربي السابع عشر في الدار البيضاء في المغرب عام ٢٠٠٦م ويبدو سماحة السيد أحمد الحسني البغدادي يلقي خطاباً مرتجلاً على الحاضرين.



التقطت هذه الصورة في المؤتمر القومي العربي السابع عشر في الدار البيضاء في المملكة المغربية بتاريخ الخامس من أيار ٢٠٠٦م.



احمد الحسنى البغدادي يلقي خطاباً بمناسبة ذكرى انطلاق جبهة التحرير الفلسطينية (الثامن والعشرون) في مخيم اليرموك في دمشق بتاريخ ١٢ ايار ٢٠٠٦م



اخذت هذه الصورة اثناء انعقاد المؤتمر القومي العربي التاسع عشر في صنعاء في اليمن عام ٢٠٠٨م ويبدو سماحة السيد احمد الحسنى البغدادي يلقي خطاباً مرتجلاً على الحاضرين.



بيدو في مؤتمر اليمن من اليمن سليم الزغبى وزير العدل الاردني الاسبق
وابو أحمد فؤاد نائب الأمين العام للجبهة الشعبية خارج فلسطين المحتلة،
وأحمد الحسني البغدادي المرجع الديني في النجف الاشرف وتيسير التميمي
قاضي القدس المحتلة والشيخ حارث الضاري رئيس هيئة علماء المسلمين
في العراق



أحمد الحسني البغدادي خلال مشاركته في احياء الذكرى ٤٣ في تأسيس الجبهة الشعبية في فلسطين عام ٢٠١٠م



مع السيد محمد حسين فضل الله في دمشق أواخر ايامه عام ٢٠١٠م



اخذت هذه الصورة في بيروت قبل عودته الى الوطن عام ٢٠١٢م



في صيف ٢٠١٢م لحظة دخول سماحة الفقيه المرجع احمد الحسني البغدادي الى مدينة النجف الاشرف (بعد غياب جهادي طويل دام نصف عقد من الزمن خارج وطنه المحتل اميركياً) اتصل هاتفياً من قم المقدسة زعيم التيار الصدري سماحة السيد مقتدى محمد الصدر، بالدكتور كرار صالح الخفاجي رئيس الهيئة السياسية للتيار لتهنئة سماحته بسلامة وصوله الى مسقط رأسه.



ويبدو في الجلسة الصباحية الاولى في ندوة في اصلاح المجال الديني الجالسون على اليمين سماحة أحمد الحسني البغدادي المرجع الديني في النجف الاشرف، و د. احمد ملي رئيس مركز الدراسات في كلية الحقوق والعلوم السياسية الجامعة اللبنانية، و د. توفيق السيف باحث مستقل - السعودية...



اللقاء التاريخي مع الشيخ راشد الغنوشي مرشد حركة النهضة
الاسلامية في تونس خلال مشاركته في ندوة «في اصلاح المجال الديني»
٢٨ - ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٦م، الحمامات - الجمهورية
التونسية.



من جهة اليمين سماحة السيد احمد الحسني البغدادي، والدكتور عبد
الحسين شعبان عام ٢٠١٨م.



في خريف ٢٠١٩م، حضر سماحته في بغداد قادما من النجف الاشرف ليشترك ابناء أمته بانتفاضة الخامس والعشرين من تشرين الاول، حيث وصل الى ساحة الخلاني وسط العاصمة. ومن هنا انطلق في مسيرة راجلة الى ساحة التحرير وسط الجماهير المحتشدة من المحرومين الجوع، في تلك اللحظة تنهال على سماحته، وعلى الثوار القنابل المسيلة للدموع، والقنابل الصوتية المرعبة، واعظم من ذلك اطلاق الرصاص الحي حينما توجه الثوار نحو جسر الجمهورية.

وكان هنالك حضورا مهيباً لتيار المرجعية الاسلامية المتمثل بسماحته بآرك الله عمره المديد. وكان بصحبته نخبة من الشخصيات الاسلامية والوطنية، والقى سماحته كلمة توجيهية مقتضبة بين الثوار بديمومة موقفه العنيد لمساندة انتفاضتهم الرشيدة، ورفض الموقف المتفرج من المرجعيات «الدينية» وموقفها المخجل امام سلطة الاحتلال السابعة، التي نفذت نفس البنى التحتية والاجتماعية، بسبب العملية السياسية العرجاء البعيدة عن مبادئ الدولة العلمية في الاسلام، والتي يجب ان تكون هي الاساس في بناء الدولة، واقامة الحكومة الصالحة، فهي النظرية الحقيقية الواجب اتباعها، والاخذ بها في هذا الوطن الجريح، والتي فيها سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. وقد ارجع سماحته الويلات والخطوب، التي حدثت في هذا الوطن المذبوح بسبب تطبيق دستور المندوب السامي الأميركي بول بريمر، وبسبب المحاصصة العرقية والمذهبية والجهوية، التي سرقت المال العام، ودعا الشعب العراقي الى تغيير كل ذلك من خلال الثورة والتصدي والصمود في حرب الطاعوت السياسي والفكري والاقتصادي سواء بسواء.



ويبدو في الصورة من جهة اليمين رجل الاعمال السيد منذر مكي الحسيني والاخ ضياء السعدي نقيب المحامين العراقيين وسماحة احمد الحسيني البغدادي المرجع الديني وسماحة السيد عصام جواد الحسيني الياسري استاذ جامعة المثنى و الحوزة الدينية فى النجف الاشرف.



سماحة السيد البغدادي
في وسط شباب الانتفاضة



أحمد الحسني البغدادي في وسط شباب الانتفاضة الشعبية
التشرينية



أحمد الحسني البغدادي مع جماهير الإنتفاضة في ساحة التحرير



احمد الحسيني البغدادي مع الشيخ حسين شحادة



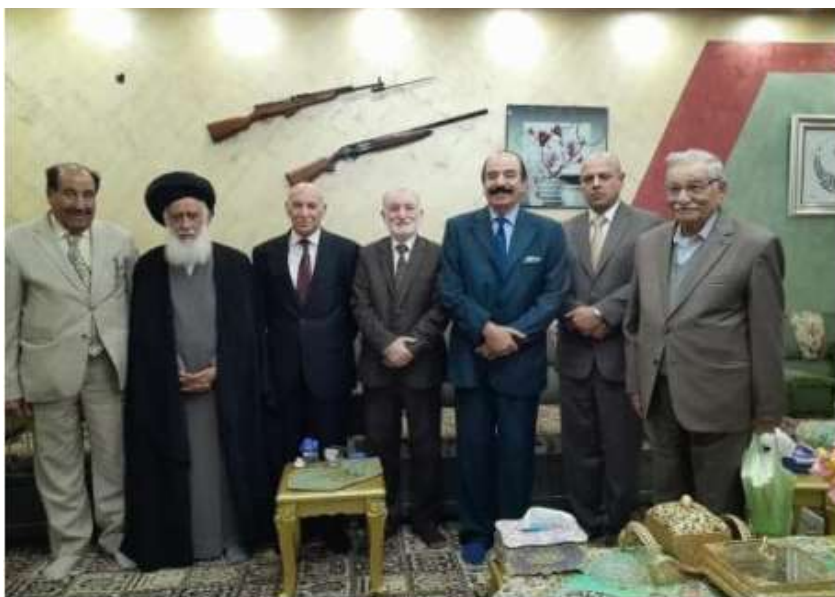
احمد الحسيني البغدادي مع الدكتور أمير العطية والسيد عبد الرحمن ابو الغيث الحسيني



أحمد الحسيني البغدادي مع طالب السنجري وأمير العطية وعماد الخفاجي



أحمد الحسيني البغدادي مع عصام الحسيني الياسري وماهر الشمري ونديم الجابري



أحمد الحسيني البغدادي مع أحمد الجبوبي وحكمت النزاري وصاحب العطية وحسين الموسوي وماهر الشمري وعدنان عبود العزاوي



أحمد الحسيني البغدادي مع فاضل الدهان العامري ومقداد الصرخي وحسين الموسوي وطلال الزوبعي وأحمد العشوش السامرائي وعبد الصاحب العطية



أحمد الحسني البغدادي مع محمد جاسم علي شعبان (محمد جاسم العاني) وماهر الشمري
وطه بديوي العلواني



أحمد الحسني البغدادي مع الدكتور عبد الصاحب نصر الله
سادن الروضة الحسينية ود. رياض الإسماعيلي



أحمد الحسني البغدادي مع الدكتور محمد جاسم العاني ود. عصام الياسري
والقاضي حسين الموسوي والأستاذ ماهر الشمري و د. العطية والسيد حيدر الربيعي



أحمد الحسني البغدادي مع د. العطية والقاضي سعيد البهاسي



أحمد الحسني البغدادي يعزي الأسرة الخالصة الكريمة بوفاة عميدها الشيخ محمد مهدي الخالصي رضوان الله عليه



أحمد الحسني البغدادي مع عصام البو هلاله وقاسم الكعبي وعبد الرزاق الندائي وصفاء الدين الدباغ وجواد الخالصي وفيصل الأسدي وعصام الحسيني الياسري



أحمد الحسني البغدادي مع د. محمد الرفاعي



الفقيه أحمد الحسن البغدادي مع السيد ناجي الراوي شيخ الطرق الصوفية في العراق



أحمد الحسن البغدادي مع السيد لطيف أبو خمرة الرفاعي



أحمد الحسني البغدادي مع نجاح كامل سميسم وعقيل هاشم الفحام وحسين علي عبود
سميسم



أحمد الحسني البغدادي بين تجليه محمد وعلي وبين حفيديه حسين وحيدر



أخذت هذه الصورة في عام ٢٠٢٥م

نُبذة عن سيرة المؤلف الذاتية

* ولد في مدينة «النجف الأشرف» في العراق يوم الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.

* سمّاه سمّاه الحفيد الأكبر للإمام المجاهد السيد مُحَمَّد الحسني البغدادي المُتوفى سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م صاحب الكتاب الفقهي الخالد «وجوب النهضة رؤية تأسيسية إستباقية حول الجهاد الدفاعي».

* ينتمي سمّاه إلى أسرة «آل الحسني البغدادي»، وهي أسرة عريقة أدبية علمية مشهورة منذ قرون عديدة، لها ثقلها السياسي من حيث تمسكها بالثوابت الوطنية والإسلامية، ومنها ينحدر الشريف أبو نمي أمير الحجاز المتوفى سنة ٧٢١هـ، جد الأسر الحسنية التي تقطن العراق، وجد الأسرة الهاشمية التي حكمت في الحجاز والعراق، وما زالت تحكم في الأردن.

* درس الأدب والفقه والأصول والعقائد على يد فقهاء النجف الأشرف إلا أنّ معظم تتلمذه كان على يد الإمام المجاهد السيد البغدادي رضوان الله عليه.

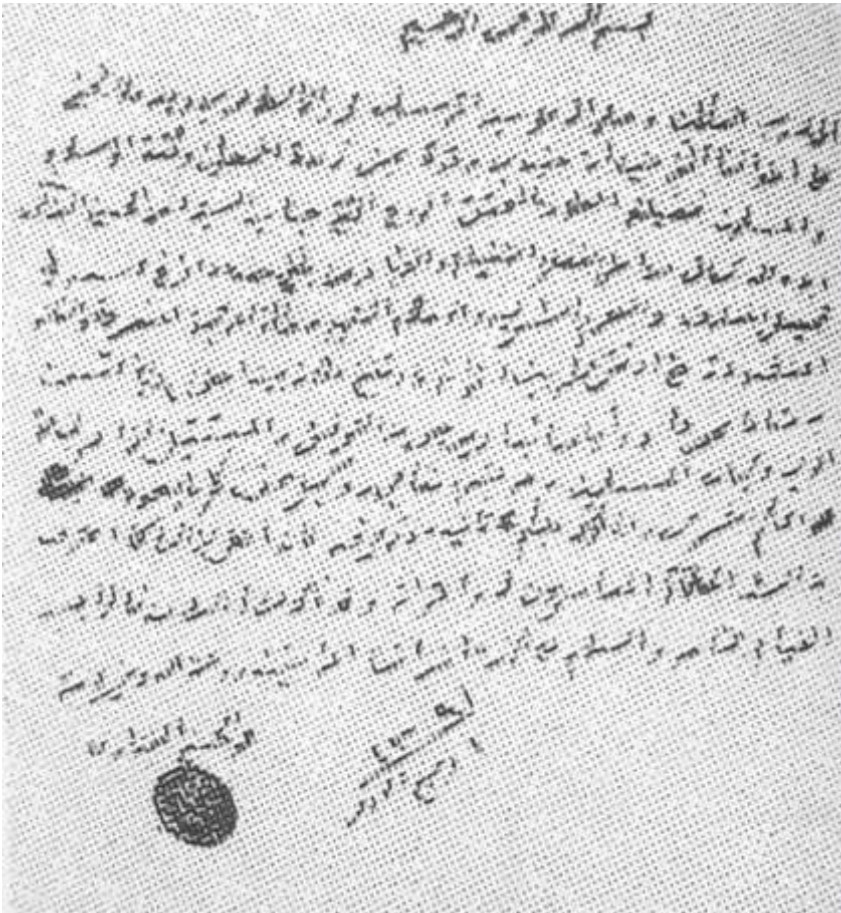
* في ريعان شبابه، قرأ سمّاه فكر الثقافات والأطروحات الجديدة ودراسات وأدبيات الأحزاب والحركات العربية والإسلامية والعالمية، وتاريخ الثورات والانتفاضات والاعتصامات الشعبية التي تناهض الاستعمار والإقطاع والرأسمالية وتقاومها.

* بدأ نشاطه السياسي الحركي الملتزم في شتاء ١٩٦٢م فانخرط في تنظيم «منظمة الشباب المسلم».

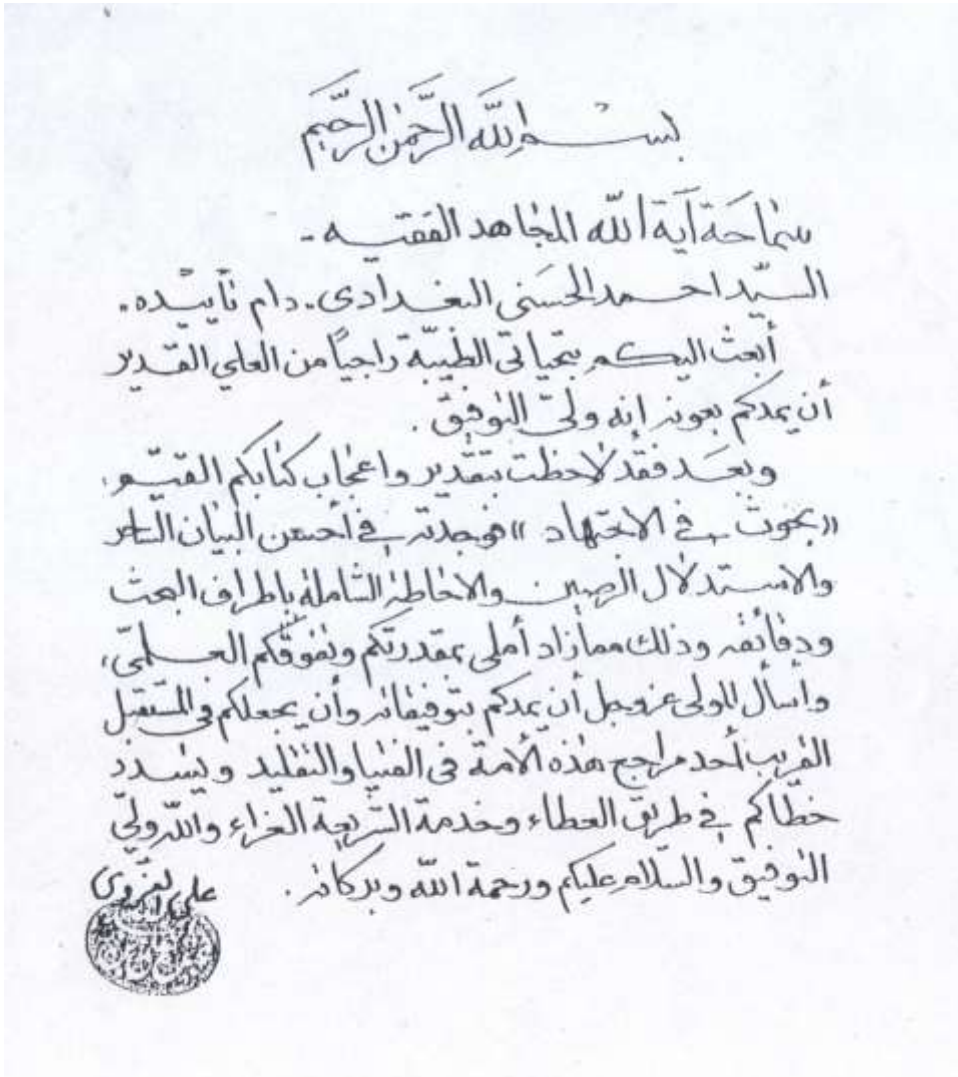
* في صيف ١٩٦٣م أيد انتفاضة «خرداد» بقيادة الإمام القائد السيد روح الله الخميني، التي اندلعت ضد قانون «كأبتي لاسيون» اللا ديني، واستمر يدعم ويساند مقدمات ثورة شباب «بهمن» ١٩٧٩م، وتصدر تظاهرة جماهيرية تأييداً لها يوم انتصارها بعد أداء صلاتي المغرب والعشاء.

* في شتاء ١٩٦٥م قدّم استقالته من تنظيم «منظمة الشباب المسلم» الى مسؤوله الشهيد محمد صالح الحسيني ليتفرغ للدرس والتدريس والمذاكرة مع زملائه في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ولكنه بقي على اتصال مستمر مع المنظمة كصديق، وأكد هذا التواصل بمصاهرته حفيدة الشيخ المجاهد الإمام عبد الكريم الجزائري عم مؤسس المنظمة ومرشدها المرحوم الشيخ عز الدين الجزائري رحمه الله تعالى.

* في صيف ١٩٧٠م أمره سماحة الإمام المجاهد السيد البغدادي في أواخر حياته بإقامة صلاة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف، ووصفه على مسمع حشد من تلامذته الحوزويين بالمقام المحمود، والرأي الصائب، والاجتهاد «الملكي»، ودعا له بالتوفيق، والمستقبل الزاهر في خدمة الدين وكيان المسلمين، وأكد عليهم بتأييده وترويجه، لأنه أهل لذلك، ثم خطّ بيده الشريفة هذه المناقب في غرة ربيع الأول سنة ١٣٩١هـ، وقد اقرّ له بهذه اقرانه والعلماء الذين عاصروه، وفيما يلي نصها:



* نال أعلى درجات الاجتهاد والاستنباط في فقه الشريعة الإسلامية الخاتمة، ولم يتجاوز العقد الثالث من عمره، وقد توه بشخصيته الإسلامية، وأشاد بها طائفة كبيرة من العلماء والمؤرخين والمفكرين الإسلاميين والليبراليين، نكتفي بواحدة منها وهي ما تفضل بها الشيخ الفقيه المرجع الشهيد السعيد علي الغروي إذ كتب إليه يقول:



* حين اندلعت الحرب العراقية - الإيرانية أعلن انه لن يحضر اجتماعا دينيا، أو مؤتمرا إسلاميا، ولن يجري أي مقابلة مرئية، أو مسموعة، أو مقروءة، ضد الجمهورية الإسلامية وقائدها الرمز.

* في خريف ١٩٨٢م أُقيمت ندوة جماهيرية بدعوى أنَّ إيران دولة باغية كونها لم ترسخ لقرارات وتوصيات المؤتمر الشعبي الذي دعا الى وقف إطلاق النار دون قيد وشرط والجلوس على مائدة المفاوضات لحل الخلافات بين البلدين الجارين. وقد استجاب رموز الفقهاء والحوزة العربية فقط وفقط! تحت طاولة العنف والقتل الرمزي لحضور الندوة وفي طليعتهم الشيخ محمد تقي آل راضي المرجع الكبير والفقير الضليع، والمرجع الفقيه الشيخ محمد ابراهيم الكرباسي!..

وبيت القصيد كان حضوره الى تلك الندوة قسرياً، إذ ألقي القبض عليه عند مغادرته إلى بغداد صباحاً الى كراج بغداد «علاوي الحلة»، وألقي القبض عليه وأقتادوه في سيارة كانت من صنف «لاندكروز» إلى جهة مجهولة معسوب العينين، وبقي مدة إحدى وعشرين ساعة لا يعلم في أي معتقل هو، وسمع ضوضاء وأقداماً تدب في الدهليز، ووقف عند باب زنانه فتساءل في سره كما ذكر في مذكراته: «ماذا يريدون مني، وهل يأخذونني إلى ضابط التحقيق-، والتحقيق في لغة العفالة يعني الضرب بالعصي الغليظة، وبالكابلات الكهربائية، والصعق بالكهرباء، والكي بالكاوية الكهربائية والتعليق بالصنارة، والحرق بالتيزاب، وأخذ الضمانات مني لحضور هذه الندوة المعادية للجمهورية الإسلامية في إيران؟!.. إذن لماذا يؤخرونني هذه الساعات الطوال.. أتراهم يريدون سحق أعصابي، وإهانة كرامتي، ومن ثمَّ يملون عليَّ ما تشتهي أنفسهم؟!..»

وفتح باب الزنانة، ودخل إليها بعض النور، وصوت من وراء الباب: أخرج يا شيخ.. فخرجت، وتقدم رجلٌ مسلحٌ برشاش، فتأبط ذراعي، وقادني إلى غرفة فيها شخص، عندما صرت ماثلاً أمامه، أصابته رهبة وصمت مطبق ينظر نحوي تارة، ويطأطي رأسه تارة أخرى، وكأنه لا يريد أن أعرفه، وسبق أن رأيته، والتقيت به عند الإمام المجاهد السيد البغدادي في مكتبه بصحبة محافظ كربلاء السيد عليّ وتوت، وانشغل تفكيري حوله من هو.. وما هو مركزه؟!.. - حينذاك - ولكن ذاكرتي خانتني - الآن - فلم أعرفه.. تكلم الرجل، وهو يتصنع الأدب واللفظ والنصح في محاولة للتظاهر بالتعاطف معي بأني سألقي عذاباً شديداً لا يستحق هذا العناد، لا سيما وأن أكثرية «العلماء ورجال الحوزة» استجابوا لحضور «الندوة الجماهيرية»، وفي مقدمتهم طلاب الشيخ الخوئي، وجهازه الإداري «الحاشية»!!.. ثمَّ لا تنسى جدك الإمام المجاهد الشيخ البغدادي، فهو مشهور بمواقفه الوطنية، ومن أركان ثورة العشرين، وكان المحور الأساسي لمقاومة المجلس التأسيسي في عهد الملك فيصل الأول، وقبلها اشترك في حرب العراق لصد الغزو البريطاني عام ١٩١٤م، وكان مرجعاً غيوراً على بلده.. فلماذا لا تكون على نهجه وسيرته العطرة؟!.. أتتصور أنَّ الفرس يعطونك موقعاً لائقاً بشأنك؟ إذن يجب أن تستجيب لأي دعوة تدعى إليها؟! وإلا... ثمَّ بعد ذلك اقتادوني إلى غرفة صغيرة فيها ثلاثة تحفظ فيها أجساد ماتت تحت سياط التعذيب، وكان هذا الاحتجاز في هذه الغرفة الملعونة نوعاً من أنواع

الإرهاب النفسي دون أن أتعرض لأي تعذيب تماماً، كما كان الحال في المرة السابقة.

وفي اليوم الثاني بعد الساعة الثانية والنصف ظهراً نقلوني بسيارة خاصة مغلقة متجهة نحو مرحلة جديدة مجهولة المصير.. وبقيتُ في هذه السيارة لا يكلمني ضابط المخابرات، الذي جلس إلى جانبي من جهة اليمين، ومع ذلك كان الصمت المطبق مرهقاً ومطبقاً ومؤملاً لطول الطريق، وفي هذه الأثناء وقفت السيارة، ورفعت العصابة عن عيني، فأُنزلني من السيارة، وقادني إلى قصر فخيم قرب دائرة البريد والبرق، يوجد فيه مدير دائرة المخابرات، الذي لا أتذكر اسمه، فاستقبلني أحسن استقبال مع الاعتذارات الحارة عن كُلِّ ما حدث، ثم بعد فترة أخذني بسيارته الخاصة إلى انعقاد الندوة في الصحن الحيدري الشريف، في مطلع باب الصحن الرئيس قابلني حشد من المسؤولين، وتقدم أحدهم وهو محمود شعبان مدير دائرة الأوقاف والشؤون الدينية، كي يأخذني إلى مكان خاص، إلا أنني ذهبت إلى وسط الجماهير المحتشدة بعيداً عن الأضواء الكاشفة. رأيتُ بعض زملائي في الحوزة، يتصدرون «الندوة الجماهيرية» حيال المنصة، حيث جلس عليها السيد حسين بحر العلوم، والشهيد السيد محمد الصدر، والشيخ عبد الحسن الغراوي، والشيخ أحمد كاظم البهادلي، بيد أن نجم مزهر جريو (قتل عام ١٩٩١) عضو شعبة حزب السلطة، وقف على رأسي يخاطبني بصوت خافت: أرجوك سماحة الخال أن تكون إلى جانب زملائك في صدر المجلس، فاعتذرتُ بذلك، فأصر عليّ بناءً على رغبة ممثل الرئيس صدام حسين عبد الغني عبد الغفور عضو القيادة القطرية لحزب البعث، فأجبتُه بجفاء: أتم تريدون الحضور، فقد استجبنا بـ «القهر والقوة»، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ سورة الاحزاب، ٢٥، وبقيتُ مصراً على رأيي لا أحرك ساكناً. وفي أثناء الكلمات، التي تندد بالسياسة الإسلامية الإيرانية، التي ترفض الرضوخ لقرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامي الشيعي، التي تهدف لوقف اطلاق النار، وحل الخلافات بين الجانبين، شهدت النجف زخات مطر شديدة، فلم يعد بالإمكان استمرار الاجتماع، وانصرفت الجماهير الحاضرة، وكان بعض «رموز الحوزة العلمية» يتمتمون «إنا لله وإنا إليه راجعون»!! وأنا رحتُ في سري أقول: إذا استمرت هذه «المؤسسة الدينية» النجفية على هذا النهج الاستسلامي الذليل، فسوف يغدو مصيرها الفاجع متجهاً إلى المجهول.

* تغيرت نظرة سماحته الى مسيرة «الثورة الإسلامية» بالتدرج بعد صعود أستاذه الإمام القائد المؤسس رضوان الله عليه الى الملاء الأعلى فانتهج موقف الصمت منها خوفاً من مؤامرات الاستكبار والكفر العالمي التي تحاول تقويض هذه الدولة الثورية.

* في ربيع ١٩٩١م شارك وأشقائه في انتفاضة آذار المجيدة المعروفة بالانتفاضة الشعبانية، فاستقبله الثوار بالهتافات والأهازيج وإطلاق العبارات النارية، وخطب فيهم يحثهم على الصمود والتصدي في سبيل تقويض النظام الدكتاتوري.

* انسحب من الانتفاضة الشعبانية بعد يومين من اندلاعها نظراً لغياب المعارضة الوطنية والإسلامية العراقية، وانحزام المؤسسة «الدينية» الشيعة الرسمية بزعامة آية الله السيد أبي القاسم الخوئي.

* توارى سماحته عن الأنظار واختفى في قضاء المشخاب «من نواحي مدينة النجف الاشرف».. حيث بقي فيه منعزلاً عن الحياة العامة لنحو شهر تقريباً، وأثناء اختفائه عرف باستشهاد شقيقه المهندس فيصل الحسيني البغدادي «أبو مرتضى» إذ دُوهِم منزله وقُبِض عليه، واقتاده جلاوة النظام السابق الى فندق السلام، ثم أُعدم رمياً بالرصاص بحضور طه ياسين رمضان الجزراوي أحد أركان ذلك النظام.

* في صيف ١٩٩١م، بعد انتكاسة الانتفاضة الشعبانية مباشرة أسس «حركة الإسلاميين الأحرار»، وأعلن عنها بعد استكمال بنائها في عام ١٩٩٤م بهدف إسقاط الدكتاتورية والاستبداد ومقاومة هجمات رموز حزب السلطة في العراق حصراً من خلال جناحها العسكري «أفواج الرفض والمقاومة».

* في صيف عام ١٩٩٢م زاره وفد رسمي برئاسة «أبو خلدون» مسؤول المنطقة السادسة في مديرية المخابرات العامة يرافقه عجيل هزاع التكريتي مدير الأمن العام في دولة الكويت قبل انسحاب الجيش العراقي منها، وبادره «أبو خلدون» بقوله : أنا أبلغك سلام السيد الرئيس صدام حسين وتحياته، وهو يطرح عليك التصدي لـ «المرجعية العربية» لكي لا تنتقل الى إيران بعد وفاة الشيخ الخوئي، وقد نسق مع الشيخ حسين بحر العلوم والشيخ محمد محمد صادق الصدر وخصص لهما مبالغ مالية، وهو يريد مراكز قوى متعددة في «المرجعية العربية» لأسباب لا يمكن فهمها . رد سماحته على هذا العرض بالاعتذار، بيد انه دافع عن الشهيد الصدر الثاني.

* في ربيع ١٩٩٨م اكتشفت المخابرات العراقية جانباً من تنظيم «حركة الإسلاميين الأحرار» فقسم منهم اعتقل، والقسم الآخر أُعدم، ولوحق سماحته فاضطر الى الخروج من الوطن الجريح مشياً على الإقدام الى إيران حيث استقبله أعلى موقع قيادي فيها السيد الخامنئي المرشد العام، كما زاره عدد من مراجع الفتيا والتقليد، وحوزات عربية وإيرانية وتركية، وعدد من العراقيين من مختلف الشرائح، إضافة إلى السياسيين منهم قواعداً وقيادات، ثم استقر في سوريا وطنه الثاني مدة خمس سنوات بعيداً عن أهله وعشيرته وعارفي فضله.

* في صيف ١٩٩٩م وجّه رسالة استنكار مفتوحة الى الدكتور محمد خاتمي رئيس جمهورية إيران الإسلامية حول «أزمة» قضايا اللاجئين العراقيين من جديد عند مصادقة مجلس الشورى الإسلامي على قانون طرد «الأجانب» الذين يعملون دون رخصة.

* وبعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م وتدمير برجى مركز التجارة العالمي وأحد مقرات «البنتاغون» حاول الاميركان استمالة الى جانبهم بطرق ملتوية عن طريق العراقيين العاملين معهم : أبو حسين المحامي مبعوثاً من الشيخ عبد الكريم الماهود المحمداوي، والسيد عبد الزهرة الحلو مبعوثاً من الدكتور احمد الجليبي رئيس «المؤتمر الوطني العراقي»، والشيخ نديم الموصللي (أغاي حاتمي) مبعوثاً من قبل سي. آي. أي الأميركية وعزت الشابندر مبعوثاً من الحكومة الكويتية التي لا تتحرك إلا باملاءات أميركية، والدكتور سعدون الدليمي وزير الدفاع العراقي الأسبق مبعوثاً من خبراء ومستشارين في الكونغرس الأميركي أعضاء الحزب الديمقراطي الأميركي «المعارض»، والسيد عماد الخرسان مبعوثاً من رايان كروكر السفير الأميركي في العراق، ويستطيع القارئ الاطلاع على تفاصيل هذه الأسرار الخطيرة بالرجوع الى كتابه: «فتاوى احمد الحسني البغدادي في فقه المقاومة و«ثقافة الاستسلام»»، ط: ١، ٢٠١١م، ص: ١٠٧، ١١٧ و/في مواجهة الدين الآخر مذكرات أحمد الحسني البغدادي نقد.. مواقف.. توقعات، ط: ٢، ٢٠١١م، ص: ١٥٣ وما بعدها.

* في ربيع ٢٠٠٣م بعد احتلال أمريكا العراق اتخذ سماحته موقفاً ناقداً من القيادة السياسية في إيران لأنه رآها تؤدي دوراً انتقائياً فهي تساند المقاومة والمواجهة في فلسطين ولبنان وتدخل في تحالف استراتيجي مع سوريا للتصدي لأمريكا و«إسرائيل» وصمودها في وجه مخططاتها لكنها تتخذ موقفاً يمالئ أمريكا في العراق فقد دعمت العملية السياسية، وكانت أول المعترفين بمجلس الحكم الانتقالي.

* في خريف ٢٠٠٣م، بعد احتلال أميركا العراق، تميّز سماحته بمواقفه المستقلة المناوئة للاحتلال، وسعى إليه الإعلاميون ورجال السياسة والرأي العام يطلبون رأيه وتوجيهه في مكتبه بالنجف الأشرف، وأثناء حضوره المؤتمرات والندوات العربية والإسلامية، وقد أصدر ما يزيد على ستمائة بيان وحديث ومقابلة مع وسائل الإعلام العربية والأجنبية.

* في ربيع ٢٠٠٤م أصدر الحاكم المدني بول بريمر أمراً وبالتنسيق مع ما سُمي بـ«المرجع الديني الاعلى» بمنعه من أداء صلاة الجماعة في الصحن الحيدري الشريف بسبب مساندته للأنتفاضة العسكرية النيسانية التي أدت الى طرد القوات العسكرية الاسبانية والشرطة «الوطنية» العراقية من مدينة النجف القديمة، وعلى إثر ذلك أقدمت هذه القوات المحتلة على محاولة اغتياله بعد انتهائه من مؤتمر صحافي عُقد في مكتب السيد الشهيد محمد الصدر بالنجف الاشرف مساء السابع من نيسان، غير أنّه نجح بإعجوبة من تلك المحاولة الغادرة في حين استشهد على إثرها أحد افراد حمايته وأصيب آخر بجرح خطيرة.

* في ربيع ٢٠٠٤م ساهم في تأسيس «المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني» وشغل منصب رئاسة اللجنة التحضيرية لعدة أشهر، وترأس وفداً من أعضائه متوجهاً عن

طريق البر الى سوريا ولبنان، حيث التقى بقيادة سياسيين ورجال دين لمشاورتهم والتباحث معهم حول كيفية الخلاص الأبدى من الاحتلال الأمريكي، وإتخاذ مشروعه الثوراتى الفتوى في المنطقة برمتها، وفي مقدمة من التقى بهم: الرئيس السابق بشار الأسد، والشهيد خالد الذكر السيد حسن نصر الله، والبطريك نصر الله صفيير، وسماحة المرجع المرحوم السيد محمد حسين فضل الله، وسماحة الشيخ محمد رشيد قباني، والرئيس الدكتور المرحوم سليم الحص، والاستاذ نبيه بري، وكثير غيرهم وأعلن عن ذلك في اجتماع جماهيري في قاعة فندق بابل في بغداد صباح التاسع من أيار ٢٠٠٤م، وهذا كله بعد أن عُرض ميثاق العمل الوطني على العديد من مناهضي الاحتلال الأجنبي ومقاوميه، ووافق عليه ما يقارب نحو ثلاثين مرجعية دينية وسياسية وعشائرية.

* اضطر ثلة من المكونات الأخرى وفي طليعتهم سماحته لتقديم استقالتهم من «المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني» وأعلن انسحابه منه بتاريخ الرابع من جمادى الأول ١٤٢٦هـ (٢٠٠٦م)، وذلك لأنهم رأوا «المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني» يفرز في مسيرته خلافاً واضحاً في الأداء الوطني، وتبلورت عنه بعض المخالفات الشرعية ليس المجال مناسباً للحديث عنها حفاظاً على وحدة العمل الوطني المشترك.

* في شتاء ٢٠٠٤م أسس: «تيار المرجعية الإسلامية» وجناحه العسكري: «ألوية الشريعة الخاتمة» لمواجهة الاحتلال الاميركي - البريطاني عن التراب الوطني العراقي.

* في شتاء ٢٠٠٥م اصدر سماحته صحيفة «براءة» صوت المستضعفين في العراق باسم مكتبه الإعلامي في النجف الأشرف، وهي صحيفة شهرية إسلامية شاملة، انفرد بكتابة افتتاحياتها، ونشرت له كثيراً من الوصايا والأحاديث، وكانت غاية هذه الصحيفة رسم خط وطني لمناهضة الاحتلال ومقاومته، وكشف مخاطر المشروع الأميركي الذي يتجاوز العراق الى فرض الهيمنة على بلاد العرب والمسلمين كلها، والحفاظ على وحدة العراق وسيادته.

* في خريف ٢٠٠٥م هاجمت منزله ومكتبه في النجف الأشرف ميليشيات «منظمة بدر» التابعة للمجلس الإسلامي الأعلى العراقي لتنفيذ مذكرة اعتقال أصدرتها في حقه سلطات حكومة الاحتلال الثالثة، إلا أنها تراجعت عن تنفيذها نظراً لتصاعد إدانات أطراف المعارضة الوطنية والإسلامية المناهضة والمقاومة للاحتلال، والتظاهرات التي أطلقها العراقيون الأشاوس خصوصاً في الفلوجة والناصرية والكاظمية...

* في صيف ٢٠٠٧م عاد الى وطنه الثاني سورية كما يصفها باعتزاز وفخر نظراً للمخاطر التي تهدده بسبب مواقفه الثورية الصارمة، وخطابه الإسلامي الوجداني،

الذي لا يتغير ولا يتبدل حول الاحتلال وأذنا به القابعين في المنطقة الخضراء. وساهم في تأسيس تجمع سياسي عام ٢٠٠٨م مع قياديين معارضين للعملية السياسية الجارية في العراق المحتل اميركياً، واسموه: «اتحاد قوى تحرير العراق» وأنتخبوا بالإجماع أميناً عاماً هو الشيخ بركات برغش الفارس شيخ عشائر زوبع - العراق، وبسبب الأوضاع السياسية في سوريا تم تعليق نشاطه.

* في صيف ٢٠٠٨م هاجمت منزله الفرقة القذرة التابعة للقوات العسكرية الأمريكية بطريقة وحشية في زمن حكومة الاحتلال الرابعة، فطوقته بالمصفحات وطائرات الهيلوكوبتر، وألقت عليه قنابل صوتية مرعبة، في سبيل إلقاء القبض على سماحته، بيد أنهم لم يعثروا عليه، وبالتالي اعتقلوا ابنه البكر «مُحَمَّد» واثنين من أفراد حمايته بدلاً عنه، وسرقت مبالغ مالية من الحقوق الشرعية، وأجهزة كمبيوتر، وهواتف نقالة، وغُبَّت بكل محتويات المنزل، فكُسرت الأبواب والنوافذ والمصابيح وسبب ذلك الهجوم يرجع الى أمرين:

١ - رفض - سماحته - لقاء ريان كروكر السفير الأمريكي الأسبق في العراق بعد فشل العملية السياسية.

٢ - محاضرة ألقاها الناطق الرسمي باسم سماحته ندّد فيها بمواقف «مرجعية» السيد السيستاني تحت عنوان: «مراجع وأموال»، فضحت هدر المال «الشيعي» الإسلامي بملايين الدولارات في حين يموت الملايين من أبناء الإسلام جوعاً وعرياً في كشمير وبنغلادش وأريتريا وأفغانستان والصومال والسودان وفلسطين.

* في صيف ٢٠١١م حاول رئيس مجلس الوزراء نوري كامل المالكي تلفيق تهم شتى وإلصاقها بسماحته، كما تعرض سماحته مراراً لحملات تشهير شتّى ضده حزب المالكي الحاكم، ووصل الأمر الى حد التنسيق مع الشرطة الدولية «الانتربول» لإلقاء القبض عليه وتسليمه للقضاء العراقي (المسيس) بزعم أن هنالك ملفات خطيرة ضده تتعلق بـ«الارهاب»، حيث تم تحويل الصراع من سياسي إلى جنائي.

* في صيف ٢٠١٢م غادر الشقيقة سورية بسبب الحرب الأهلية الظالمة، وتوجه الى لبنان، ومكث في عاصمتها لمدة شهر واحد ونيف، وبالتالي قرر الرجوع الى النجف الاشرف مسقط رأس آبائه واجداده، وعند سماع النبأ جن جنون أعدائه وخصومه الذين انخرطوا في العملية السياسية. وعلى أساس هذا هرع الأخ هاتف الماضي المعاون الاداري لمحافظة النجف - وهو من الموالين لعائلة آل الحسيني البغدادي - بتبليغ أشقائه أنه بمجرد وصول سماحته الى مطار النجف الدولي سيلقى القبض عليه من قبل أزام المجلس الأعلى الإسلامي الحاكم إدارياً واستخباراتياً في المحافظة، وعندما أخبر بهذا الأمر لم يكتث ولم يضطرب، بل صمم على العودة الى وطنه الأشم، واختار لنفسه أسلوباً مرجعياً خاصاً بعيداً عن الطريقة المألوفة وهي -

كما يقال - في المصطلح السياسي «الاقامة الجبرية»، أو «الاغتراب» إقامة اختارها لنفسه لا خوفاً من هؤلاء المتورين القابعين في المنطقة الخضراء، وهي إقامة جده الإمام القائد علي بن أبي طالب (ع) بعد الاحداث المؤسفة، إذ راح يقدم نصائحه وارشاداته لمن يطرق بابه بالسؤال والمشورة، أو يتبع خطواته للمسجد.. وها هو سماحته بارك الله عمره المديد يتبع نفس الاسلوب الأمثل يقدم ما يجول بفكره الحدائوي الاسلامي من خلال إصدار الكتب التفسيرية المعرفية المعمقة، التي تتقاطر الواحدة تلو الاخرى، تقاطر الغيث من السماء في عز الشتاء، إقامة لن تعزله عن الوطن المنكوب، وعن العالم المعولم، بل العكس إذ لم يكن في هذا الكون الفسيح شاردة أو واردة إلا وحطت بين يديه كالطير حين يحط على بيدر القمح، لانه يرى من الواجب متابعة القضايا والاحداث. ومن هنا اصدر عدة رسائل وبيانات وتصريحات وتغريدات وفتاوى بوصفها مصيرية من ابرزها: رسالته المفتوحة الى العراقيين الأكارم حول انبثاق التظاهرات الجماهيرية في المدن العراقية في ٣١ كانون الاول عام ٢٠١٢م، وحول الاحداث المؤسفة ضد المنتفضين في المحافظات الستة في ١٥ كانون الاول عام ٢٠١٣م، ورأي حول استفتاء تقرير المصير في «کردستان» العراق في ٢٢ ايلول ٢٠١٧م، وحول جريمة نقل السفارة الاميركية من تل ابيب الى القدس الشريف في ٧ كانون الاول ٢٠١٧م، وحول وجوب مقاطعة الانتخابات والذهاب الى صناديق الاقتراع لانتخاب هؤلاء وهؤلاء تحت اي شعار.. تحت اية فكرة تختفي وراءها اضخم الكاذيب، وافجر الطغاة الأميين الفاشلين والفاستدين في ١٢ ايار ٢٠١٨م، وحول انبثاق التظاهرات الشعبية في المدن العراقية في ٢٠ تموز ٢٠١٨م.

لا بد من الإشارة هنا الى اتصال هاتفي أجراه المرحوم الشيخ حارث الضاري الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق مع سماحته ورد فيه: سمعت أنك ستغادر بيروت متوجهاً إلى مسقط رأسك (النجف)، وأنا أخشى ان يجرك نوري كامل المالكي صديقك (القديم) أيام النضال السري ضد الديكتاتورية إلى مشروعه الطائفي فأجابه: يا أبا مثني يبدو أنك ما زلت لم تفهمني، صدقني من المستحيل أن اتعاون مع من ينفذ المشروع الأميركي القائم على الفوضى الهجينة في وطننا ومنطقتنا، وبعد فترة وجيزة اتصل مرة أخرى قائلاً: ستوجه لسماحتك دعوة رسمية من الشيخ حمد بن خليفة أمير قطر أرجو أن تقبل هذه الدعوة الكريمة وسيزورك السفير القطري مساء هذه الليلة حاملاً لجنابك تلك الدعوة المباركة، غير أن سماحته أبى ولم يستجب إلى دعوة من ارتقى في أحضان الامبريالية الأميركية المتوحشة، وظل مصراً على الرجوع إلى وطنه الجريح.

* في صيف ٢٠١٧م هاتف الدكتور يوسف الناصري مسؤول العلاقات العامة للمقاومة الإسلامية لحركة النجباء. وقال لسماحته انا مشتاق للقاءكم مرة ثانية وأكون ضيفاً عند سماحتكم ظهر يوم الجمعة وإن كنت أنا في هذا اللقاء الأول لم

أحصل على ما أصبو اليه غير أنّ عندي مفاجئة أخرى لم تكن في الحسبان، فأجابه:
أهلاً وسهلاً.

وعندما جاء اليوم الموعد فوجئ بضيف آخر من غير موعد مسبق، الا وهو
السيد حسين مُجَد رضا العوادي، وبعد ان استقر به المقام، اتصل هاتفياً بالناصري،
وقال له: قد سبقتك بالجيء، فاين انت الآن؟ قال: قد وصلت على مشارف
المدينة، وسأصل أليك عما قريب بعونه تعالى.

وبعد أن وصل الى سماحته، وكان باستقباله ولده الأكاديمي المحروس السيد علي،
وبعد أن استقر به المقام، بدأ الناصري يفتح سماحته نيابة عن الشيخ اكرم الكعبي
أمين سر حركة النجباء، وقال لسماحته مخاطباً:

شهد الله، وشهدت الملائكة أنت خير خلف لخير سلف للإمام المجاهد السيد
البغدادى رضوان الله عليه، الذي دافع عن عرين العراق منذ سبعة عقود من الزمن،
وأنت سليل عائلة وطنية كريمة... أحدثك بلا مقدمات، وسأكون معك صادقاً
للقول المأثور: «صديقك من صدقك»، وانا سأصدقك بقول ما يعتقد به الأخوة في
الحركة التي تستهدف خدمة العراق وسيادته، ووحدته أراضيه ومياهه.

فأقول: سنهيئ لك مخصصات، وحمايات، وجكسارات تليق بمقامك الرفيع،
ودعم تيار مرجعيتك الاسلامية في سبيل ان تتعاون معنا تعاوناً معرفياً وثقافياً وميدانياً
من أجل خلاص العراق والعراقيين من التسبب والضيعاء، ومن الدمار والبنار...

فأجابه: يا دكتور لو قدر الله أن أتعاون مع حركتكم الجهادية، فماذا سيكون
موقفكم من تدخلات ايران في شؤون العراق؟!..

قال: فلنكن صرحاء، كما تحدثنا في لقائنا الاول: نحن مع ولاية الفقيه الممثلة
بمرشدنا سماحة آية الله الخامنئي.. قولاً وفعلاً.

فأجابه: يا دكتور أن العراقيين لا يقرون بذلك لوجود أديان ومذاهب واحزاب
كأهل السنة والجماعة، والمسيحيين، والصابئين، والايديين، فضلاً عن شيعة العرب
القوميين، والعلمانيين، والمدنيين، واليساريين، وعليه فاني لا استطيع العمل لهذا الاتجاه
الولائي.

واثناء حديث سماحته، فوجئ الناصري بمكالمة هاتفية، واذا به صوت الشيخ اكرم
الكعبي أمين عام الحركة، يسأله: هل وصلت؟ قال: نعم، حالياً أنا جالس بين يدي
سماحة آية الله السيد البغدادي، ثم قدم له جهاز الهاتف، وسلم عليه، وسأل عن
احواله، وقال له بالنص: «نحن يا سماحة السيد برسم الخدمة»، ثم ضرب له المثل
العراقي الدارج: «انت فصل، وحنه نخيط»، فقال له بلا تردد: صدقي يا ولدي

اكرم، أنا صرحت في الاجتماع الأول مع الشيخ الناصري، انا لست قريباً من ايران، وانتم قريبون لها، وكان يسمع الناصري الحديث المتبادل بين الجانبين، من هنا، انتهى الاجتماع وغادر الناصري بعد ان يأس دون ان يظفر برضا سماحته ورجع بخفي حنين.

* في صيف ٢٠١٩م في خضم الحملة الاعلامية ضد الاسلام والمسلمين، التي اراد توظيفها الرئيس الاميركي دونالد ترامب في الرابع من شهر مايو / أيار اعد نشر مقطع فيديو على صفحته الشخصية في Twitter مترجم من العربية الى الانجليزية من برنامج «سحور سياسي»، وقد بث على قناة البغدادية في آب ٢٠١١م، تحدث سماحته عن فرضية فريضة وجوب الجهاد الابتدائي.

ونشرت فرضية الجهاد الابتدائي في سياق اعلامي انتقائي لصفحة « Deep State Exposed® مناهضة الدولة العميقة» على تويتر بعنوان جاء فيها: «ان اميركا يجب ان تخضع للإسلام، والا؟!...». فأتارت بذلك العنوان لغطا في الرأي العام من خلال اقتطاع الفرضية، التي تحدث عنها سماحته، مستغلين جهل الشارع الاميركي باللغة العربية، ولتجد الفرضية المنشورة عبر « Deep State Exposed® مناهضة الدولة العميقة» اختياراً من ترامب ليرسلها "Retweet" عبر تغريدة على صفحته Donald J. Trump الرسمية الموثقة، فحقق الفيديو في ذلك اليوم اعلى رقم من المشاهدات في اميركا، وبعث ترامب رسالة الى الشعب الاميركي حول ذلك التهديد، في سبيل تحريض الرأي العام من أجل كسب تأييده في حملته السياسية الانتخابية المرتقبة في عام ٢٠٢٠م، ولممارسة الضغوط السياسية على ايران، لا سيما بعد انتهاء مهلة الاعفاء للدول، التي تشتري النفط الايراني، والبدء بفرض عقوبات شديدة على قطاع النفط، والمال، التي قد يصل التصعيد فيها الى اشتعال الحرب، او القيام بضربة محدودة.

* في خريف ٢٠١٩م، حضر سماحته الى بغداد قادماً من النجف الاشرف ليشترك ابناؤ أمته بانتفاضة الخامس والعشرين من تشرين الاول، حيث وصل الى ساحة الخلائي وسط العاصمة. ومن هنا انطلق في مسيرة راجلة الى ساحة التحرير وسط الجماهير المحتشدة من المحرومين والجوع، في تلك اللحظة تنهال على سماحته، وعلى الثوار القنابل المسيلة للدموع، والقنابل الصوتية المرعبة، واعظم من ذلك اطلاق الرصاص الحي حينما توجه الثوار نحو جسر الجمهورية. وكان هنالك حضوراً مهيباً لتيار المرجعية الاسلامية المتمثل بسماحته بآرك الله عمره المديد. والتف حوله نخبة من العراقيين من مختلف الاتجاهات والاختصاصات، إضافة إلى جمهور غفير، والقى سماحته كلمة توجيهية مقتضبة بين الثوار بدعومة موقفه العنيد لمساندة انتفاضتهم الرشيدة، ورفض الموقف المتفرج من المرجعيات «الدينية» وموقفها المحجل امام سلطة الاحتلال السابعة، التي نفذت نفس البنى التحتية والاجتماعية، بسبب العملية السياسية العرجاء البعيدة عن مبادئ الدولة العادلة في الاسلام، والتي يجب ان تكون

هي الاساس، واقامة الحكومة الصالحة، فهي النظرية الحقيقية الواجب اتباعها، والاخذ بها في هذا الوطن الجريح، والمُتأمل فيها سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. وقد ارجع سماحته الولايات والخطوب، التي حدثت في هذا الوطن المذبوح بسبب تطبيق دستور المندوب السامي الأميركي بول برنر، وبسبب المحاصصة العرقية والمذهبية والجهوية، التي سرقت المال العام، ودعا الشعب العراقي الى تغيير كل ذلك من خلال الثورة والتصدي والصمود في حرب الطاغوت السياسي والفكري والاقتصادي سواء بسواء.

* في ربيع ٢٠٢٣م، وجهت له القيادة السياسية الايرانية دعوة رسمية من خلال د. يوسف الناصري رئيس أمناء المجلس الوطني للأديان في العراق، والأمين العام لشورى العلماء في العراق، والمنسق العام للتجمع العالمي لدعم خيار المقاومة في العراق، للقاء اسماعيل قآءني قائد فيلق القدس للحرس الثوري الايراني، بيد أنه اعتذر عن الاجتماع معه لأسباب يمكن فهمها!..

* كل هذا النشاط التي اتسم بالتنقل والترحال لم يمنعه من الانصراف الى التأليف، لان سماحته خير من يعرف قيمة الكتاب الموثق في ميدان المعرفة، فأتحف المكتبة العربية بكم قيم من الكتاب، كـ«بحوث في الاجتهاد، ط: بغداد ١٩٩١، ط: بيروت ١٩٩٤، و/الاستنباط مواجهة حضارية، ط: بيروت ١٩٩١، ط: بيروت ١٩٩٥، و/منشأ اختلاف الأمة، ط: ١٩٩٢، ط: ١٩٩٤، و/جهاد السيد البغدادي دراسة حوارية نقدية وثائقية خلال نصف قرن لمسيرة الإمام المجاهد محمد الحسني البغدادي، ط: النجف ١٩٩٢م، ط: بيروت ٢٠٠٨، و/وقال ربكم ادعوني، ط: النجف ١٩٩٥، و/فصول رسالية، ط: بيروت ١٩٩٥، و/عندما يحكم الطاغوت، ط: ٢، ٢٠٠٨م (الحلقات الثلاث) و/حق الامام في فكر السيد البغدادي، ط: بيروت ١٩٩٧، ط: بيروت ١٩٩٩، و/خطر التقية المعاصرة، ط: قم ١٩٩٨، ط: بيروت ١٩٩٩، و/الثورة والعرفان، ط: بيروت ١٩٩٩، و/السلطة والمؤسسة الدينية الشيعية في العراق، ط: دمشق ٢٠٠٢، و/الخطاب الآخر مع آية الله احمد الحسني البغدادي، ط: بيروت ٢٠٠٢، و/فقاوى أحمد الحسني البغدادي في فقه والسكون، وهو كتاب مشترك، ط: ٢٠٠٢، و/ثقافة الاستسلام»، اعداد وتحقيق: علي الحسني، ج: ١، ط: ٢٠١٠، و/في مواجهة الدين الآخر مذكرات احمد الحسني البغدادي، ط: ٢، ٢٠١١م، و/وجوب النهضة رؤية تأسيسية إستباقية حول الجهاد الدفاعي، محمد الحسني البغدادي، تحقيقات وتعليقات وترتيبات فصوله احمد الحسني البغدادي، ط: ٢٠١٢م، و/التفسير القرآني للاقتصاد، ط: النجف ٢٠١٤، و/التفسير الأصيل القرآن ونقد الرأي الآخر، ط: ٢، ٢٠١٤، و/التفسير الجديد لحركة التاريخ في النص القرآني، ط: ٢٠١٥م، و/التفسير المعرفي لرؤية الكلام القرآني الجديد، ط: ٢٠١٥، و/التفسير المقاصدي تصحيح مفاهيم ونظرة تجديد، ط: ٢٠١٦، و/محمد الحسني

البغدادي المسيرة الجهادية والفكرية في قراءة حوارية ووثائقية خلال سبعة عقود من الزمن، ط: ٢٠١٧، و/خطاب المقاومة من العراق الى الامة ما بين ٢٠٠٣ - ٢٠١٧، اعداد وتحقيق: أبو جعفر المجاهد [عبد العزيز الماضي]، جزان، ط: ٢٠١٧م، و/التفسير العرفاني بين البعد المعرفي والمنطق الواقعي، ط: ٢٠١٨، و/ايران والعراق اسرار وقضايا، ط: ٢٠٢٠م و/آخرها موسوعة «تأصيل معرفي بين الثورة واللا ثورية هكذا تكلم احمد الحسني البغدادي» في عشرة مجلدات بدءاً من عام ٢٠٠٥ الى نهاية ٢٠١٥، و/دين العقل وفقه الواقع، كتاب مشترك، ٢٠٢١م، و/نقد العقل الديني أديان الأرض.. ودين السماء، ط: ٢٠٢٢م، وقد رد عليه الاستاذ عباس عبد الله شاهين باللغة الانجليزية تحت عنوان: مطارحات على المطارحات في نقد العقل الديني، وقد تُرجم الى اللغة العربية عام ٢٠٢٣ و/في الثقافة الدينية إضاءات وتأملات تفسيرية جديدة، ط: ٢٠٢٣م، ولا يزال سماحته يتابع جهده الفكري في إصدار كتابه الجديد: مفارقات الحوزة بين المنظور والمستور.

الجدير بالذكر أن مناظراته مع المفكر الأكاديمي العراقي الكبير الدكتور عبد الحسين شعبان، التي صدرت عن مركز دراسات الوحدة العربية في العام ٢٠٢١، وتحت عنوان "دين العقل وفقه الواقع"، لقت اهتماماً كبيراً، وُكُتِبَ عنها الكثير ونُظِّمَت بخصوصها ندوات ولقاءات عديدة فكرية وثقافية وأكاديمية. وكان المفكر شعبان قد أشاد بدور سماحته في كتابه عن جدّه "الإمام السيد مُجَدِّد الحسني البغدادي - مقاربات في سيسيولوجيا الدين والتدين، الذي صدر في العام ٢٠١٨.

* في كل ما قال ويُقال، وما كتب ويُكتب، وضع سماحته نفسه ومواقفه وآرائه فوق كل الولاءات التي تحط من الوطن، إذ تجاوز الصراعات المذهبية والعرقية والخصومات الجانبية، وكل هذا، لأنه أدرك ويدرك طبيعة اليسار الإسلامي ومهماته، وحال الأمة وما يمزقها من نزاعات من قبل احتلال أميركا العراق وبعده.

كل هذه المواقف الاسلامية فقد لى تارة ورفض تارة اخرى حضور المؤتمرات العربية والاسلامية والدولية: (١) المؤتمر الاسلامي الاول في العراق المنعقد بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٦٥م. (٢) المؤتمر الاسلامي الشعبي المنعقد في بغداد بتاريخ ١٩٨٢م. (٣) مؤتمر المعارضة العراقية في نيويورك المنعقد بتاريخ ١٩٩٩م. (٤) المؤتمر العالمي للامام الشهيد مُجَدِّد باقر الصدر المنعقد في طهران بتاريخ ١٨ كانون الثاني ٢٠٠١م. (٥) المؤتمر القومي - الاسلامي المنعقد في بيروت بتاريخ ١ - ٢ كانون الاول ٢٠٠٤م. (٦) المؤتمر الوطني الثالث للجمعيات الاهلية في بيروت المنعقد بتاريخ ٣ كانون الاول ٢٠٠٤م. (٧) المؤتمر القومي العربي السادس عشر المنعقد في الجزائر بتاريخ ٦ - ٩ نيسان ٢٠٠٥م. (٨) المؤتمر العام الثالث لتجمع لجان نصره العراق المنعقد في مدينة حمص بتاريخ ٧ نيسان ٢٠٠٥م. (٩) مؤتمر التضامن مع المقاومة العراقية في روما المنعقد بتاريخ ٩ تشرين الاول ٢٠٠٥م. (١٠) المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني المنعقد في بغداد بتاريخ ٨ آيار ٢٠٠٥م. (١١) مؤتمر الوفاق الوطني

العراقي المنعقد تحت رعاية الجامعة العربية في القاهرة بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٥م. (١٢) المؤتمر العام الرابع لدعم المقاومة المنعقد في بيروت بتاريخ ٣٠ آذار ٢٠٠٦م. (١٣) المؤتمر القومي العربي السادس عشر المنعقد في الدوحة بتاريخ ٤ كانون الاول ٢٠٠٦م. (١٤) المؤتمر القومي العربي السابع عشر المنعقد في الدار البيضاء في المملكة المغربية بتاريخ ٥ أيار ٢٠٠٦م. (١٥) المؤتمر العالمي التضامني مع المقاومة الوطنية العراقية المنعقد في كيبيك نوتير من مقاطعة ايطاليا بتاريخ ٢٤ آذار ٢٠٠٧م. (١٦) مؤتمر جبهة القوى العراقية المناهضة والمقاومة للاحتلال المنعقد في دمشق بتاريخ ٢٢ تموز ٢٠٠٧م. (١٧) المؤتمر القومي العربي التاسع عشر المنعقد في اليمن بتاريخ ١٠ أيار ٢٠٠٨م. (١٨) المؤتمر العربي الدولي لحق العودة المنعقد في دمشق بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٨م. (١٩) المؤتمر الوطني العراقي للتحريض والديمقراطية المنعقد في بيروت بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٠٨م. (٢٠) المؤتمر القومي - الاسلامي في دورته الثامنة المنعقد في بيروت بتاريخ ١٦ نيسان ٢٠١١م. (٢١) ندوة في اصلاح المجال الديني الثاني ٢٠١٦م المنعقدة في الحمامات - تونس بتاريخ ٢٧ - ٣٠ تشرين.

وقد لبي الدعوة من كل ما تقدم في: الخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس والسابع عشر والعشرون والواحد والعشرون.

والجدير بالذكر: إن سماحته استجاب لحضور مؤتمر التضامن مع المقاومة العراقية في روما وتحمياً للمغادرة بطريق الجو متوجهاً إليها غير ان كبريات الصحف الايطالية نشرت تصريحاً لوزير الخارجية الايطالية «فرانكو فيني» يؤكد لكل من سماحة المرجع القائد وغيره من المدعويين أنه لا يجوز دخولهم الى الاراضي الايطالية، معتبراً ان الرفض قائم للحفاظ على أسس الأمن القومي الاوربي، والمعايير الأمنية الايطالية، ومبادئ اتفاق شينغن. راجع بتوسع ملحق ردود وستقرأ مزيداً من المعلومات في صفحة (٢١٤) من موسوعة: «تأصيل معربي بين الثورة والا ثورية هكذا تكلم احمد الحسني البغدادي» الجزء الثاني، طبعة: ٢٠٠٦، بيروت.

لعلّ سيرة سماحة السيّد البغدادي المعطرة ترتكز على خمسة عناصر؛ أولها - شجاعته اللامتناهية؛ وثانيها - جرأته في الاجتهاد؛ وثالثها - تواضعه الجم؛ ورابعها - زهده ونظافته كفه؛ وخامسها - وطنيته وإنسانيته غير المحدودة.